

السلسلة الأندلسية

4

ديوان

إبراهيم بن الحاج النميري

تقديم وضبط

د : عبد الحميد عبدالله الهرامة


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

811.61

ح ا د ي

ابن الحاج، أبو القاسم إبراهيم بن عبد الله ، 173-768هـ.

ديوان إبراهيم بن الحاج النميري الأندلسي / تقديم وضبط عبد الحميد عبد الله الهرامة.- أبوظبي؛ المجمع الثقافي، 2003.

227 ص، 24سم.-(السلسلة الأندلسية؛4) .

ببليوجرافية: ص227.

يشتمل على كشاف.

1- الشعر العربي - الأندلس.

أ- عبد الحميد عبد الله الهرامة، محقق.

ب- العنوان.

ج- السلسلة.

أبوظبي-الإمارات العربية المتحدة

ص.ب: 2380- هاتف: 6215300

Email:nlibrary@ns1.cultural.org.ae

http:/www.cultural.org.ae



ديوان

إبراهيم بن الحاج النميري الأندلسي



المحتويات

الإهداء

إلى الأستاذين العالمين:

المرحوم: عبد الله محمد الهوني

والدكتور: أمين توفيق الطيبي

سَمَتْ بِهِمَا الأَفْضَالُ فِي مَدْرِجِ العُلا   وَطَالَ بِهِمْ دَهْرُ المَفَاخِرِ أَعْصُرا

المحقق



مقدمة

تعود صلتي بشعر ابن الحاج النميري إلى مطلع الثمانينيات حين آثرني أستاذي المرحوم عبد الله محمد الهوني[1] بمصورة من «مزاين القصر» كان أهداها له الأستاذ الدكتور أمين توفيق الطيبي المعروف بأياديه الكريمة على الباحثين.

فنظرت في نصها، فإذا فيه بعض المستغلقات التي يصعب معها الاعتماد على النسخة الواحدة، فاستعنت بآثار الشاعر في مصادر مخطوطة ومطبوعة ومرقونة، وكنت حريصاً على أن يخرج العمل في حياة الأستاذ، فيرى كلمات الوفاء التي يستحقها، غير أن المنية عاجلته، ولمّا ينته التحقيق والجمع.

ثم رأيت في الفهرس المعرَّب لمخطوطات المكتبة الوطنية بباريس[2] ديواناً لبرهان الدين إبراهيم بن عبد الله، دون ذكر للقبه وبلده، فحال ذلك دون استكمال العمل قبل الحصول على نسخة من هذا الديوان. . . وحين تحصلت على صور منه بعد فترة ليست بالقصيرة، وجدته يخص الشاعر المصري إبراهيم بن شرف الدين بن عبد الله القيراطي الملقب ببرهان الدين، والذي عاش في القرن الثامن الهجري أيضاً (726 - 781هـ)[3] فقطعت الشك باليقين.

وعدت إلى ديوان النميري بعد ذلك، مكتفياً بما جمعته عنه، وعرَّفت بجانب منه

---

(1) توفي الأستاذ الهوني سنة 1986، وكان نسيج وحده في الإيثار ومد يد العون لجميع من تعرَّف إليه، وقد عكس كتاب «الوفاء» الذي جمع نصوص تأبينه، دفقاً وهَّاجاً من تلك المشاعر التي يكنها له أصدقاؤه ومحبوه.

(2) تعريب الدكتور هادي حسن حمودي.

(3) طبع ديوان شعره قديماً بدون تحقيق باسم «مطلع النيرين». (ترجمته في: حسن المحاضرة: 1\274، والمنهل الصافي: 1\89، والدليل الشافي: 1\18، والنجوم الزاهرة: 11\196، والعقد الثمين، لمحمد الفاسي: 3\217، وإنباء الغمر: 1\200، والدرر الكامنة: 1\32).

في ندوة التراث المغربي والأندلسي بتطوان سنة 1991[1]، ثم عزمت على أن يكون ملحقاً بأطروحتي لدكتوراه الدولة.

وبهذا يكون هذا المجموع قد مكث في دائرة اهتمامي المتقطع ما يزيد على عقد من الزمن، تعرض خلالها للإضافة والتنقيح والتعليق، ورُقن مرتين حتى خرج بهذه الصورة الأخيرة. وقد وقفت في موضع التوسط بين من يرى أن المطلوب في التحقيق هو إخراج النص مجرداً، ولا عبرة بالتعليق والشرح ما لم يكن ذلك متصلاً بتقديم المتن ورواياته اتصالاً وثيقاً. ومن يرى أن النص في حاجة إلى حواشٍ وهوامشَ كثيفة تقوِّم متنه، وتضيء إشاراته، وتخرِّج اقتباساته، وتعرِّف بأعلامه، وتشرح معمياته، فلم أترك ما رأيته مُهِمّاً من هذه الجوانب، ولا أثقلت النص بها في تقديري.

وبالله التوفيق

(1) صدرت أعمال هذه الندوة بعنوان: «التراث المغربي والأندلسي - التوثيق والقراءة - عن كلية آداب تطوان (أبريل 1991). (انظر نصوص مخطوطة من التراث الأندلسي: 225).

نسبه وحياته

هو أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن أسد بن موسى ابن إبراهيم بن عبد العزيز بن إسحاق بن أسد بن قاسم النميري، المعروف بابن الحاج الغرناطي، والملقب ببرهان الدين[1].

وصف بالفقيه، والمحدث، والرحالة، والقاضي العالم، والرّاوية والشاعر، والكاتب[2]. وزادته بعض المصادر أوصافاً أخرى مثل الإمام[3]، والخطاط[4]، وصاحب العلامة[5].

ولد ابن الحاج سنة ثلاث عشرة وسبعمئة للهجرة (1313م)، كما جاء في معظم المصادر[6]. غير أن معاصره الصلاح الصفدي كتب في الوافي بالوفيات

---

(1) ترجمته وأخباره في: الإحاطة: 1\342، نثير فرائد الجمان: 313، نفح الطيب: 2\534، 7\108، 5\531، نيل الابتهاج: 36، المنهل الصافي: 1\66، جذوة الاقتباس: 1\91، الكتيبة الكامنة: 260، الوافي بالوفيات: 6\40، مسالك الأبصار للعمري (نسخة باريس) 17\215، رحلة البلوي، ورقة: 209، الدرر الكامنة: 1\29، المسند الصحيح الحسن، لابن مرزوق: 376، مستودع العلامة: 69، والدليل الشافي: 1\17 لابن تغرى بردى (مخطوطة بدار الكتب المصرية رقم: 1889، وحققه فهيم شلتوت في جزأين بمركز البحث العلمي في أم القرى 1983)، شجرة النور الزكية: 1\229، ريحانة الكتاب: 2\372-232، تاريخ الشعر والشعراء للمنيسي (ط. فاس، ص. 21، وفهرس الفهارس للكتاني: 129، فهارس الخزانة الحسنية: 1\389، نفاضة الجراب (ثلاثة مواضع متفرقة)، فيض العباب وإجالة قداح الآداب (وهي رحلة ابن الحاج صحبة السلطان المريني إلى قسنطينة والزاب) إيضاح المكنون: 1\160، 330، 595، 607، أوصاف الناس: 64، 142، وموضوع عن ابن الحاج لبرمبير، وآخر لهوبكنز تجدهما في قائمة المصادر والمراجع، ومجلة المناهل، ع. 38، ص. 163، وأدب الرحلة بالمغرب للحسن الشاهدي: 2\372.

(2) ذكرت هذه الصفات أغلب المصادر السابقة، ومن ذلك المسند الصحيح الحسن لمعاصره ابن مرزوق.

(3) المنهل الصافي: 1\66، وإعلام المراكشي: 1\178.

(4) الكتيبة: 260، والجذوة: 91، والإحاطة: 1\342. وانظر نموذجاً من خطه في هذا الملحق.

(5) مستودع العلامة: 69.

(6) راجع على سبيل المثال: الإحاطة: 1\362، ونيل الابتهاج: 47.

أنه اجتمع به في القاهرة فأخبره أن ولادته كانت سنة اثنتي عشرة وسبعمئة للهجرة[1].

وحظيت حياته بالتسجيل لأبرز أحداثها، فقد ارتسم في سلك كتابة الإنشاء وعمره إحدى وعشرون سنة، ثم انصرف إلى المشرق بعد ثلاثة أعوام من بداية عمله، فمر خلال رحلته بالدول في شمال أفريقية، وأهمها الدولة المرينية بالمغرب، والدولة الحفصية بتونس، ووصل إلى القاهرة سنة ثمان وثلاثين وسبعمئة، ثم أكمل رحلته إلى المشرق وعاد بعدها إلى الشمال الأفريقي، فحضر في تونس وفاة السلطان أبي يحيى ابن أبي بكر صاحب الدولة فيها، وتولية ابنه أبي حفص. واستقر به المقام في بجاية فترة، ومنها إلى قسنطينة.

ثم انتقل إلى بلاط السلطان المريني أبي الحسن، فانخرط في سلك الدولة كاتباً بعد الأربعين وسبعمئة، وتجول في معيته أثناء رحلاته داخل المغرب، وحينئذ ألف ابن الحاج «مذكراته» التي تعد مصدراً مهماً لارتساماته عن الحياة الثقافية في ذلك العصر، ولبعض النصوص التي تنفرد بها. ثم قرر العودة إلى المشرق ثانية.

لقد أفاد ابن الحاج من رحلتيه المشرقيتين أداء فريضة الحج ولقاء العلماء، وسجل وقائع إحداهما في صورة رحلة مهمة، وصفها ابن الخطيب بالطرفة[2]، وقال ابن مرزوق إنها «رِحْلَةٌ جَامِعَةٌ في عِدَّةِ أَسْفَارٍ»[3]، ويقول المقري: «كَانَ عِنْدِي بِالمَغْرِبِ مُجَلَّدٌ مِنْ رِحْلَتِهِ الَّتِي بِخَطِّه، وَقَدْ أَتَى فِيهِ بِالْعَجَبِ العُجَابِ»[4]، ونقل منها في «نفحه» نتفا قليلة[5].

وفي رحلتيه المشرقيتين اجتمع بأعلام الفكر في المشرق، وأخذ عن محدثيه،

---

(1) انظر: الوافي بالوفيات: 6\40، والمنهل الصافي: 1\66.

(2) الإحاطة: 1\344.

(3) المسند الصحيح الحسن: 249.

(4) النفح: 7\109-110.

(5) النفح: 2\532، 535.

قال ابن الخطيب: «وَأَخَذَ فِي رِحْلَتِهِ عَنْ أُنَاسٍ شَتَّى يَشُقُّ إِحْصَاؤُهِمْ»، ولذا عدّه الكتاني في أصحاب الفهارس[1]، لما في آثاره من تسجيل لأسماء هؤلاء الشيوخ[2]، وكان من الذين التقى بهم في المشرق: خليل التوزري إمام المالكية بالحرم الشريف[3]، وشهاب الدين ابن فضل الله العمري[4] (759هـ/ 1349م)، والصلاح الصفدي ([5] 764 هـ/ 1362م)، وجمال الدين يوسف بن الزكي، عبد الرحمن المزي[6] (742هـ/ 1341م)، والحافظ علم الدين أبو القاسم محمد بن يوسف البرزالي[7] (739هـ/ 1339م)، والحافظ شمس الدين الذهبي[8] (748هـ/ 1348م)، والأمير قطب الدين أبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق بن بدر الدين صاحب الموصل[9]، وعماد الدين الكندي الذي أخذ عنه بالاسكندرية[10]، والقاضي وجيه الدين يحيى بن محمد الصنهاجي[11]، وأثير الدين أبو حيان الغرناطي الذي كان في مصر «مَلْجَأً وَعُـدَّةً»[12] للمغاربة بعامة. وكان لقاؤه لهؤلاء العلماء في مصر أو الحجاز أو الشام أو العراق.

وعاد بعد رحلته الثانية إلى المغرب ليجد أن دولة مخدومه أبي الحسن قد دالت وحلّ محله ابنه أبو عنان، فاشتغل كاتباً في بجاية فترة، آثر بعدها الانقطاع إلى العبادة في تربة الشيخ أبي مدين بن شعيب بتلمسان[13]. ثم أُجبر على العمل

---

(1) فهرس الفهارس والأثبات: 129، عنوان: 19.
(2) من الكتب المشار إليها في هذا الشأن ما رواه عن الأمراء والشيوخ الذين رووا عن الملوك والأمراء والشيوخ الذين رووا عن الملوك والخلفاء.
(3) النفح: 2\534.
(4) انظر: مسالك الأبصار: 17\215.
(5) الوافي بالوفيات: 6\40.
(6) النفح: 7\110-111.
(7) (8) المصدر نفسه.
(9) النفح: 7\111.
(10) (11) المصدر نفسه:
(12) الإحاطة: 3\43.
(13) الإحاطة: 1\344.

في الدولة المرينية فعاد كاتباً رئيساً ومرؤوساً[1]. وفي هذه الفترة ألف «فيض العباب» ونال الحظوة والتقريب في قصر أبي عنان[2]. وعند موته عاد إلى الأندلس، وقد وخطه الشيب في السنة السادسة والأربعين من عمره، وقد عُيِّن فيها قاضياً بالتسليم بقرب غرناطة[3].

وفي عام ثمانية وستين وسبعمئة أُرسل في سفارة عن ابن الأحمر إلى صاحب تلمسان، فوقع في أسر العدو بأحواز جزيرة حبيبة من جهة وهران، ثم تخلص من المحنة بعد خمسة عشر يوماً من وقوعها «بفدية تَنِيفُ على سَبْعةِ آلافِ مِنَ العَيْن»[4].

ويطالعنا في كتابه «مزاين القصر» نص مهم يؤكد أن الشاعر كان ما يزال بقيد الحياة سنة 776هـ، فقد مدح السلطان الغني بالله بمناسبة افتتاح حضرة فاس للمرة الأولى سنة 776هـ[5].

وفي هذا النص نجد دليلاً على حبه للحياة، ورغبته في الخدمة بالقصر، وهو ما ينبيء عن قوة بدنية تسمح بانفساح الأجل في الظروف الاعتيادية إلى ما بعد الثمانين وسبعمئة. وبهذا الدليل تنتقض كل التحديدات السابقة، التي تشير إلى وفاته قبل هذا التاريخ، وتنسب مصادرها إلى بعض القدامى والمعاصرين، منهم ابن حجر العسقلاني الذي قال: «وَانْقَطَعَ فِي تُرْبَةِ الشَّيْخِ أَبِي مَدْيَنَ إِلَى أَنْ مَاتَ فِي سَنَةِ 64 أو 765هـ»[6]. وإسماعيل البغداي الذي حدد وفاته بسنة 770 هـ، وهو ما فعله محمد عبد الله عنان في فهرس التاريخ بالخزانة الحسنية[7]، وبلنثيا الذي

(1) الإحاطة: 1\344-345، والتعريف بابن خلدون: 43، والمسند الصحيح: 249.
(2) نثير فرائد الجمان: 313.
(3) الإحاطة: 1\345.
(4) نفسه: 1\363، وتطلق «العين» على العملة من الذهب والفضة، والغالب أن المراد هنا هو الذهب.
(5) مزاين القصر: 28 ب.
(6) الدرر الكامنة: 1\29.
(7) فهارس الخزانة الملكية: 389. Conzalz Palencia de literatura, Arabigo-Espanole, First edition. ولكنه أغفل في الطبعة الثانية كل مرجع إلى ابن الحاج.

قال إنه توفي سنة (762 هـ/ 1360 م)، وأشار الزركلي إلى وفاته سنة 768 هـ، وحدد د. الحسن الشاهدي تاريخ وفاته ما بين 770 هـ، وتاريخ تقديم «فيض العباب» الذي قدم لأبي فارس (796هـ و799هـ)، وأشار محقق «الفيض» إلى وفاته بعد سنة (774هـ) ولعله اعتمد في ذلك على نص في الكتيبة صريح حول بقائه على قيد الحياة في أواخر هذه السنة[1].

ويظل أقرب المعاصرين تحديداً لتاريخ الوفاة هو «هوبكنز» الذي استشف من كون الشاعر أستاذاً لابن عاصم صاحب «تحفة الحكام» أن يكون على قيد الحياة سنة (780هـ/ 1378 م) وذلك لأن ابن عاصم كان قد بلغ العشرين من عمره بحلول هذه السنة، ثم قال: «وَلَعَلَّ وَفَاتَهُ حَدَثَتْ مَا بَيْنَ (780هـ ـ 790هـ)»[2] ولكنه لا يدعم رأيه هذا بغير ما ذكره عن ابن عاصم.

وتأكيداً لهذا الاحتمال، نجد أن ابن عزيم يقدم نصوصاً من شعر ابن الحاج مصحوبة بالدعاء له بالرحمة دليلاً على وفاته في ذلك التاريخ[3]، فإذا علمنا أن مختاراته أُلِّفت حوالي سنة 793هـ ترجَّح أن يكون الحد الأعلى الذي وضعه «هوبكنز» معقولاً، وكذلك الحد الأدنى الذي يؤيده نصُّ «المزاين»، وبذلك يصبح تحديد وفاته في غضون العقد التاسع من القرن السابع هو المرجَّح عندي حتى يتم العثور على نص أكثر تحديداً وتوثيقاً.

أسرته

عُرفت أسرة ابن الحاج بأصالتها واتصالها بمجالات العلم والسياسة، وقد اشتغل أعلام منها بالكتابة في ديوان الإنشاء، إذ قال إسماعيل بن الأحمر في تعريفه بالشاعر هو «الفَقِيهُ الكاتب صاحبُ القَلَم الأعلى إبراهيمُ بن الفقيهِ الكاتب عبد اللَّه بن الفَقيه الكاتب إبراهيم»[4]، وقال لسان الدين بن الخطيب: «بيتٌ نبيهٌ، يزعمُ من يُعنى بالأَخبار أن جدَّهُمْ الدَّاخلَ إِلَى الأَنْدَلُسِ ثوابةُ بنُ حَمْزَةَ

(1) الكتيبة: 15، وفيض العباب: 18.

(2) J.F.P. Hopkins "An Andalusin Poet..." (School of an African Studies, 24 (1961), p.57).

(3) مختارات ابن عزيم: 25.

(4) نثير فرائد الجمان: 314.

النميري»[1].

وقد تولى أخوه أبو عمرو محمد خطة بلوشة، واندرش، ومالقة، ومهام أخرى في المرية وغرناطة، وأسند إلى إبراهيم بن محمد هذا النظر في زمام العسكر الغربي وهو الذي جمع رحلة عمِّه المسماة بـ«فيض العباب» وقدَّمها إلى أبي عنان راجياً بها عنايته التي أسبغها على عمه ووالده «فالعبدُ يَرْغَبُ في تجديدِ ما جَرَتْ بِهِ العَوَائِدُ مِنَ العِنَايَةِ بِذَلِكَ المَوْضِعِ بِالْعَمِّ والوَالِد، لِيَلْحَقَنِي مَا لَحِقَهُمَا مِنَ الحُرْمَةِ والرِّعَايَةِ»[2].

وكما أشاد ابن الخطيب بنسب الأديب من جهة أبيه، أشاد بنسبه من جهة أمه، فقال: «مُعَمئ مُخَوَّلاً فِي العِنَايَةِ»[3] وهي إشارة إلى أخواله بني عاصم، ومنهم أبو عبد الله بن عاصم الفقيه الكاتب الذي رثاه الشاعر بنونية وصفت بأنها بارعة، وإنها لكذلك[4]، ومنهم أبو بكر محمد بن أبي محمد المذكور وهو مؤلف تحفة الحكام وأحد تلاميذ الشاعر[5].

آثاره العلمية

يبدو أن لجميع الصفات العلمية التي خُلعت على ابن الحاج ما يؤيدها في تراثه العلمي، فهو أديب بليغ وله من تراثه في ميدان الأدب والبلاغة:

1 ـ ديوان مزاين القصر ومحاسن العصر.

2 ـ كتاب التورية على حروف المعجم.

3 ـ كتابٌ شرح فيه شطر الحماسة لأبي تمام.

---

(1) الإحاطة: 1\342.

(2) فيض العباب: 1.

(3) الإحاطة: 1\343.

(4) نثير الفرائد: 314. وله في خاله مرثية أخرى دوّنها في مذكراته. (مخطوطة الاسكريال رقم: 734، ص. 45).

(5) انظره في: النفح: 7\169، والأزهار: 2\19، ونيل الابتهاج: 491، وشجرة النور الزكية: 247، ومقدمة جنة الرضا: 1\40.

4 ـ مثاليث القوانين في التورية والاستخدام والتضمين.

5 ـ شعر كثير في مصادر مختلفة يدل عليه قول ابن الخطيب بأنه كان «لايَغِبُّ النَّثْرَ وَالنَّظْمَ وَلا يُعْفِي الْقَرِيحَة»[1] وقد بقي منه جزء في مصادر مخطوطة ومطبوعة.

6 ـ رسائله الإخوانية والديوانية وقد بقيت نماذج منها في «الإحاطة» و«النفح» و«نفاضة الجراب». وفي محفوظات التاج «الأرجواني» رسالة تحمل رقم (52) صادرة عن أبي الحسن علي المريني بتاريخ 746هـ، يرجَّح أنها بخط ابن الحاج نفسه[2]، لأنه كان الكاتب المقرب إلى أبي الحسن في هذه الفترة، ولتشابه خطها مع خط المذكرات.

وكان المؤلف قد انقطع فترة من حياته للعبادة، مؤثراً حياة التصوف والنسك، فألف بتأثير هذه النزعة في نفسه:

7 ـ كتابَ اللباس والصحبة، وهو الذي جُمعت فيه طرق الصوفية، حتى ظُن أنه لم يُجمع مثله في بابه[3].

8 ـ وجزءاً في بيان اسم الله الأعظم، ذكر ابن الخطيب أنه عظيم الفائدة[4].

9 ـ و«روضة العباد المستخرجة من الإرشاد» وقد جاء في الإحاطة، بتحقيق أ. عنان، ما يفيد أنه مستخرج من «الإرشاد» لأبي محمد الشافعي، ولعله مستخرج من «الإرشاد والتطريز في فضل ذكر الله وتلاوة كتابه العزيز» لعبد الله بن أسعد اليافعي المتصوف[5]. وعلى ذلك يكون الخطأ من المحقق وليس من ابن الخطيب لقرب كلمة الشافعي من اليافعي.

كما كان ابن الحاج محدِّثاً راوياً للأَحاديث، وله مما يؤكد هذه الصفة من تراثه:

---

(1) الإحاطة: 1\323.

(2) نهاية الأندلس: 135.

(3) الإحاطة: 1\347.

(4) الإحاطة: 1\347.

(5) ترجمته في: طبقات الشافعية للسبكي: 6\210، والدرر الكامنة: 20\247، والبدر الطالع: 1\378.

10 ـ كتابُ الأربعين حديثاً البلدانية، والمستدرك عليها من البلاد التي دخلها وروى فيها زيادة عن الأربعين.

11 ـ وكتاب الأربعين حديثاً التي رواها عن الأمراء والشيوخ الذين رووا عن أمثالهم من الخلفاء، والخاتمة الملحقة بهذا الكتاب فيما رواه عن الملوك والأمراء.

12 ـ وجزء في تبيين مشكلات الحديث الواصلة من «زبيد» اليمن إلى مكة.

ومترجمنا رحّالة جاب الكثير من البلدان، فسجَّل مشاهداته ودوّن أحداثاً سياسية أو طبيعية أو ثقافية بارزة في مؤلفاته التالية:

13 ـ رحلته إلى الحج، وقد وصفها ابن الخطيب بأنها طرفة[1]، ووصفها ابن مرزوق بأنها جامعة في عدة أسفار[2].

14 ـ و«فيض العباب وإجالة قداح الآداب في الحركة إلى قسنطينة والزاب» وهي الرحلة التي قام بها صحبة أبي عنان فارس بن علي المريني عام 758هـ، ذكرها ابن الخطيب بعد الإشارة إلى الرحلة السابقة وأطلق عليها صفة التأليف، وقد تقدم أنها نُشرت بتحقيق د. محمد بنشقرون في الرباط سنة 1984م.

15 ـ ومذكرات ابن الحاج أثناء رحلته صحبة أبي الحسن المريني في بعض المدن المغربية، (مخطوطة في الاسكوريال في قسمين يحملان رقم: 1734 و483) وهي التي حققها برميير لنيل درجة الماجستير..

أما صفة الظَّرف وحسن الدعابة التي أُطلقت على ابن الحاج فيقابلها في تآليفه:

16 ـ كتابُ المساهلة والمسامحة في تبيين طرق المداعبة والممازحة.

17 ـ وله رسائل وأشعار في «النفح» و«الإحاطة» وغيرهما[3].

---

(1) الإحاطة: 1\344.

(2) المسند الصحيح: 376.

(3) انظر مثلاً: النفح: 9\317، والإحاطة: 1\355 وما بعدها.

وهو، بجوار الصفات المتقدمة، فقيه قاض تولى القضاء في الأحكام الشرعية وألف فيها:

18 ـ رجزَه في الأحكام الشرعية المسمى «الفصول المقتضبة في الأحكام المنتخبة».

19 ـ رجزه في الفرائض.

وله كتب أخرى ربما دلَّت على صفات غير ما تقدم، أو كانت لها صلة بالصفات السابقة، وقد أدى عدم التفصيل في ذكرها إلى إيرادها هنا بحسب ذلك الإيجاز الذي اختصها به ابن الخطيب في الإحاطة، وهي:

20 ـ رجز في الجدل.

21 ـ رجز صغير في الحجب والسلاح.

22 ـ إيقاظ الكرام بأخبار المنام.

23 ـ تنعيم الأشباح بمحادثة الأرواح.

24 ـ كتاب الوسائل ونزهة المناظر والخمائل.

25 ـ الزهرات وإجالة النظرات.

26 ـ نزهة الحدَق في ذكر الفِرَق.

شعره

كَلِفَ ابن الحاج النميري بالأدب منذ نعومة أظفاره[1] حتى صار معدوداً في المكثرين من الشعراء[2]، ويبدو أن القدر الأكبر من شعره قد بات في حكم المفقود، وذلك لأن أشعاره الباقية محدودة الأغراض بعكس ما عُرف عن نتاجه من غزارة المادة وتعدد الفنون، وهو ما عبر عنه ابن الخطيب بقوله: «وَأَدَبُهُ طَمٌّ وَرَمٌ، وَحدثٌ، وهمٌ، مُعْمَلُ التَّخَيُّر يرْمى بِالتَّحَيُّر، لِكَثْرَةِ عُيونِه، وَغَزارَةِ عُيونِه، وَتَعَدُّدِ فُنُونِه، وَتَعاقُبِ زُهْرِهِ وَجُونِهِ»[3].

---

(1) أوصاف الناس: 64.

(2) أنظر: الكتيبة: 260، والنفح: 7\109، وأوصاف الناس: 142.

(3) الكتيبة: 261. الزُّهر: البيض، والجُون: السُّود، وهما جمعان.

ثم إن هذا الذي وصلنا ينتمي في معظمه إلى فترة حكم الغني بالله، وقد عاش الشاعر قبلها ما يقرب من خمسين سنة، تكونت فيها أدواته الفنية، وعُرف خلالها بالمشاركة في مجالي النثر والشعر[1].

وقد تحصل من جمع نتاجه الباقي وتحقيقه واحد وعشرون ومئة عمل بين قصيدة ومقطوعة، تشتمل على أغراض المدح والرثاء، ومقطوعات التورية والتضمين، ثم تأتي بعض الموضوعات الأخرى بصورة ثانوية وقليلة.

ويندر أن تجد في شعره الهجاء، وتلك طبيعة العصر، ولكنه يفخر بأن انعدام هذا الغرض من شعره خصوصية تبعث على العجب من شاعر وكاتب سر: [طويل].

لِيَ الْمَدْحُ يُرْوَى مُنْذُ كُنْتُ كَأَنَّمَا تُصُوِّرْتُ مَدْحاً لِلْوَرَى وَثَنَاءَ
وَمَا لِي هِجَاءٌ فَاعْجَبَنَّ لِشَاعِرٍ وَكَاتِبِ سِرٍّ لاَ يُقِيمُ هِجَاءَ[2]

وابن الحاج متفاوت الشعر، يعلو فيه ويسف، وربما تعلق ذلك بحالته النفسية وظروف التأليف، وقد حكم أدباء غرناطة بعلو كعبه في الأدب حيناً وبتراجع طبعه في بعض المولديات التي أنشدها أمام الغني بالله[3]. وله بعض الصور الطريفة التي تأخذ بالألباب وبعض التشبيهات النازلة، والصور التي تفتقد منطقية التأليف، الأمر الذي يعكس تأثير الحالة النفسية على أعماله، ويسبب في تفاوت المستوى الفني بينها. وربما فسر ذلك ما قاله ابن الخطيب من «تَعَاقُبِ زُهْرِهِ وَجُونِه».

وقد عاش النميري في عصر امتزجت فيه خصائص الاتجاهات الأدبية الرئيسة في الشعر العربي، مع غلبة تأثير الاتجاه المحافظ المجدد، الذي احتفظ بملامح طريقة القدماء وجدد في إطارها. وأدرك الأدباء في عصر الشاعر وجود خصائص الاتجاهين في شعره، وعبروا عنه صراحة في مثل قول ابن مرزوق: «لَهُ التَّقَدُّمُ

(1) أنظر مثالاً عن شعره قبل هذه الفترة في: المذكرات رقم: 1734، ص. 45.

(2) الكتيبة: 266.

(3) النفاضة: 3\301.

فِي طَرِيقَةِ أَشْعَارِ الْعَرَبِ وَالْمُحْدَثِين»[1]. وضمنا في مثل قول ابن الخطيب: «فَنَجَمَ وَبَرَع وَتَمَّمَ الْمَعَانِي وَاخْتَرَع.. مِنْ بَلِيغ يُطَارِدُ أَسْرَابَ الْمَعَانِي فَيَقْتَنِصُهَا، وَيَغُوصُ عَلَى الدُّرَرِ الْفَرِيدَةِ فَيُخْرِجُهَا، وَيَسْتَخْلِصُهَا، بِطَبْعٍ مَذَاهِبُهُ دَافِقَةٌ»[2]. فالاختراع والغوص على المعاني من خصائص المحدثين، والطبع المتدفق من خصائص القدماء.

وداخل هذا الإطار المحافظ المجدد، كان هناك ما يشبه المدارس الفنية في غرناطة، منها ما يمكن أن نسميه مدرسة البيان، ويمثلها شعر ابن الخطيب وابن زمرك، ومدرسة العروض أو النظم، وممثلوها تلاميذ ابن عبد النور ومن جرى مجراهم، ومدرسة الصنعة ومن أعلامها المستحيي وابن الحاج النميري وابن خاتمة الأنصاري.

ويعود ميله لهذه المدرسة، في نظري، إلى اتصاله بالمغرب والمشرق، حيث يتسم الشعر في البيئتين بالصنعة البديعية خلال القرن الثامن الهجري[3]، وهما في ذلك تختلفان عن البيئة الأندلسية التي يغلب عليها الاهتمام بالبيان[4].

مصادر شعره

تتكون مصادر شعر النميري من مؤلفاته، ومؤلفات معاصريه، وبعض المصادر التالية لعصره. وفي الصفحات التالية ملاحظات على هذه المؤلفات، تختلف في اتساعها، باختلاف مستوى مشتملاتها من النصوص، وصلتها بالشاعر وعصره...

أولاً: مؤلفاته:

أهم ما وصلنا من مؤلفات ابن الحاج النميري، مما له صلة بشعره: ديوان

(1) المسند: 374.

(2) الإحاطة: 1\345.

(3) انظر: المقدمة لابن خلدون: 3\1275 وفيه أن المغاربة اختصوا بالبديع. والنقد الأدبي في القرن الثامن الهجري: 186 وفيه أن الصنعة البديعية كانت الهواء الذي يتنفسه الأدباء في المشرق.

(4) بسطتُ القول عن هذا الأمر في مظانه من مباحث القصيدة الأندلسية.

«مزاين القصر»، ورحلته «فيض العباب» و«المذكرات» وقد تيسر الاطلاع على أصولها المخطوطة بفضل الله، وهذه بعض الملاحظات عليها:

1 ـ مزاين القصر ومحاسن العصر في مدح أبي عبد الله بن نصر

تأليف الأديب إبراهيم بن عبد الله بن الحاج.

هكذا جاء عنوان هذا الديوان في مخطوطته الوحيدة الباقية ـ فيما نعلم ـ وفيه إثبات لنسبة الكتاب إلى عصرٍ محدد، ومؤلفٍ غير مشترك النسب مع غيره في ذلك العصر، وغرضٍ واحد استغرق الكتاب بكامله، وهو المدح المشوب في مقدمته أو ثناياه بأغراض أخرى أحياناً.

وتلفت النظر في العنوان كلمة «مزاين» التي قرأها كل من أشار إلى هذا المخطوط في الدراسات السابقة، بلفظ «القرائن» وفي أصحاب هذه الدراسات عرب ومستشرقون[1].

وقد وقعتُ في هذا الخطأ عندما عرَّفت بالمخطوط في «ندوة التراث المغربي الأندلسي» بتطوان[2]، متأثراً بالمراجع المتنوعة التي ذكرته، وما جرى على ألسنة بعض العلماء في المجالس الخاصة، متوقعاً أن يكون ذلك منطلقاً من رجوعهم إلى مصادر لم أقف عليها.

كل ذلك مع ملاحظتي أن القاف كتبت ميماً بشكل واضح، ولكن تعلوها نقطتان ترجِّحان كون ذلك الحرف قافاً في الأصل، ولم تكن النقطتان في الواقع سوى نقطتي الياء من «مزاين» كما يظهر من العنوان الذي نعرضه في الصفحة المخصصة للعنوان المخطوط، (انظر صورة من المخطوطة) ومن الإنصاف القول بأن مصدراً شفهياً واحداً حوَّل الشكوك التي في نفسي إلى يقين، ذلكم هو الأستاذ العالم عبد القادر زمامة، فهو على الرغم من إثباته لعنوان «القرائن»

(1) انظر أمثلة على ذلك في: دائرة المعارف الإسلامية: EI2 Vol III,p.780. (Bulletin of the School...) 24. (1961). p.57. ورحلة فيض العباب: 41، ومجلة المناهل، العدد: 38، ص. 171، ومذكرات ابن الحاج (مقدمة التحقيق): 40، وأدب الرحلة بالمغرب 2\378، وانظر أعلام الزركلي، ومعجم المؤلفين لكحالة.

(2) التراث المغربي والأندلسي (التوثيق والقراءة) جامعة عبد المالك السعدي.



بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا

الصفحة الأولى من المزاين

بالقاف في آخر أبحاثه[1]، أبلغني شكه في انتماء هذه المفردة إلى عصر الشاعر[2]، وعندما عرضت عليه قراءة «مزاين» اقترح التثبت من وجود الكلمة في المعاجم وأساليب شعراء القرن الثامن.

ولم يكن الكشف عن الكلمة في المعاجم مشكلاً، فقد ثبت وجود هذا الجمع واستعماله في الأساليب العربية، وبقي الكشف عن تداول هذه المادة في شعرهم المتعلق بالزخارف المعمارية، حسبما يدل عليه العنوان، وقد اهتديت من ذلك إلى نصوص نقشت على الحمراء نفسها، كقول ابن الجياب: [كامل].

قَدْ زَيَّنَ الْحَمْرَاءَ هَذَا الْمَصْنَعُ   هُوَ لِلْمُسَالِمِ وَالْمُحَارِبِ مرْبَع[3]

وقوله:

زِينَتْ بِهِ الْحَمْرَاءُ حَتَّى إِنَّهَا   تَزْهَى بِحُسْنِ حُلاَهُ زَهْوَ مِنْ انْتَشَى[4]

على أن الأهم من ذلك ما يضعه الاتصال بتاريخ هذه الفترة أمام الدارس من استنتاج مفاده أن الغني بالله قد اقترن اسمُه بإضافات كثيرة على قصور الحمراء يغلب عليها التزيين مع وجود التأسيس، ويبدو أنه كان يريد أن يمحو ما علق بجدران قصوره من شعر لسان الدين بن الخطيب، بعد فراره إلى المغرب، فقد صار الرجل مبغضاً بعد تمكين وتقريب، فلا غرابة أن نتصور أن عناية السلطان بإعادة تزيين قصره كانت لإبعاده ما يذكِّر به، ويعوِّضه عن شعره بنصوص أخرى للشعراء الموالين، وهنا يسمح الخيار بتصور المنافسة على الحظوة بذلك الشرف بين شعراء غرناطة.

وأكثر من تراودهم فكرة المساهمة في ذلك التزيين هما ابن زمرك وزير الغني بالله وشاعره وغريم ابن الخطيب، ثم إبراهيم ابن الحاج هذا، الذي توحي بعض نصوصه الشعرية بأنه صار يعاني الخصاصة، مقارنة بحياته الرغدة التي كان

---

(1) أبو إسحاق النميري الغرناطي، مجلة المناهل، ع. 38، ص. 171.

(2) كان ذلك في منزلي بالرباط سنة ثلاث وتسعين وتسعمئة وألف.

(3) أشعار عربية على جدارن ونافورات الحمراء: 141.

(4) نفسه: 139.

ينعم بها منذ عهد طويل في خدمة الملوك، ومن تلك النصوص قوله: [طويل].

أَمَـوْلاَيَ حَـالِـي مَـا عَـلِـمْـتَ وَإِنَّـنِـي لأَرْجُـوكَ بَـعْـدَ الـلَّـهِ غَـيْـبـاً وَمَـشْـهَـدَا
فَـكُـنْ مُـظْـهِـراً لِـلْـعَـبْـدِ مَـا أَنْـتَ أَهْـلُـهُ وَأَنْـجِـزْ لَـهُ يَـا أَكْـرَمَ الـنَّـاسِ مَـوْعِـدَا
وَعُـدْ لِـلَّـذِي عُـوِّدْتَ يَـا خَـيْـرَ مُـنْـعِـمٍ وأَفْضَلَ مَنْ فِي فَضْلِهِ جَاوَزَ الْمَدَى(1)

وهي نصوص تجتمع على إظهار شكوى الحال في فترة اشتدت فيها حاجته إلى القصر، أو وضح فيها جفاء القصر له، مع رغبته الملحة في الخدمة ببلاطه: [كامل]

وَإِذَا دَعَـوْتَ لِـخِـدْمَـةٍ فَـأَنَـا الَّـذِي آتِـي عَـلَـى وَجْـهِـي إِلَـيْـكَ وَرَأْسِـي(2)

وخلاصة الاستنتاج، أن تزيين الحمراء كان مطلباً سلطانياً، أُريد له أن يكون موضع تنافس الشعراء، فكتب فيه شاعرنا مثلما كتب غيره، وجمع ما سبق له من مدائح في الغني بالله، ورتبها على حروف المعجم، وأكمل النظم في الحروف التي لم يكن فيها سابق نظم، وبذلك تحصل له ديوان «مزاين القصر» مؤملاً اختياره لتزيين أبنيته.(3)

ويعزز ذلك أنه أعد قصائد تناسب الزخرفة المعمارية، كتلك الميمية التي كرر جناساً متميزاً في أبياتها البالغة ثمانية وثلاثين بيتاً، باستثناء بيت واحد. وتدل نظرة عجلى إلى أَلِفَاتِ هذه الجناسات، وقوافي القصيدتين الكافية واللامية في «المزاين» على وضوح إرادة التزيين المعماري بالألفاظ(4).

ولكن ابن زمرك كان أحظى في نفس الغني بالله من ابن الحاج، كما كان شعره أجود تأليفاً وأصدق تعبيراً عن حياة وشخصية الممدوح، فلقي قبول الأمير، وفاز بالتدوين على جدران القصر ليبدو في آثاره الباقية وكأنه شاعر

---

(1) انظر توثيق الحركة المعمارية في هذه الأطروحة.
(2) نفاضة الجراب: 3\154.
(3) المزاين: 29 أ.
(4) المزاين: 18,17,16.

الحمراء بلا منازع[1]، وما ذلك إلا نكاية بابن الخطيب، وإمعاناً في إقصاء آخر ما يذكّر البلاط النصري به.

ويبدو أن القيمة الفنية لم تكن وحدها وراء تفضيل ابن زمرك على ابن الحاج في هذا العمل، فبعض أشعار النميري توحي بأنه كان ضحية سعاية رجل من فاس لدى السلطان، كقوله: [طويل]

وَدَعْ عَنْكَ مَا قَالَ الْعَدُوُّ فَإِنَّهُ بِفَاسٍ أَتَى بِالزُّورِ فِعْلَ تَعَمُّدِ
رَمَانِي بِدَاءٍ وَهْوَ وَاللَّهِ دَوَاءُهُ وَإِنْ يُسْأَلِ الْحَقُّ الَّذِي بَانَ يَشْهَدِ
وَكُلُّ الَّذِي زَكَّاهُ فِي الْغَرْبِ حَاسِدٌ مَتَى نِلْتُ خَيْراً مِنْكَ، مَوْلاَيَ، يَكْمَدِ[2]

ولكن السلطان لا يبدي، فيما يظهر، مواخذة في صورة عقاب، ولا يعكس صفحه في صورة ثواب، وقد ترك هذا الوضع شاعرَنا معلقاً بين الرجاء والخوف، ويظهر ذلك في نصوص أخرى، منها قوله: [كامل]

مَوْلاَيَ إِنِّي قَدْ أَتَيْتُكَ مَادِحاً وَعَلَيْكَ يَا مَوْلاَيَ جِئْتُ دَخِيلاً
فَاصْفَحْ وَكُنْ لِي مِنْ قَبُولِكَ مُظْهِراً يَا صَاحِبَ الْوَجْهِ الْجَمِيلِ جَمِيلاً[3]

ولذلك نراه يطلب الصفح هنا بدافع الخوف، ويطلب الخدمة في مواضع أخرى بدافع الرجاء: [كامل]

وَبِخِدْمَةٍ لَكَ لِي أَجَلُّ تَشَرُّفٍ أَثْوَابُهُ جَلَّتْ عَنِ الأَدْنَاسِ[4]

ويبدو أن علاقته بابن الخطيب كانت سبباً في استقباله في عهده «بِبِرٍّ وَجِرايَةٍ وَتَنْوِيهٍ وَعِنَايَةٍ»[5]. وفي عهده استعمل في السفارة إلى الملوك[6]، وما إن أفل

(1) كتب غارسيا غومس موضوعاً عنوانه «ابن زمرك شاعر الحمراء» بتأثير ما وجد على جدرانه من أشعار تنتمي إلى هذه الفترة.
(2) نفاضة الجراب: 3\128.
(3) المزاين: 32.
(4) المصدر السابق: 29 أ.
(5) (6) الإحاطة: 1\345.

نجم ابن الخطيب حتى خبأ ذكر ابن الحاج النميري وآل حاله إلى وحشة وخصاصة، ثم انقطعت أخباره.

وهكذا، فالمزاين يعد مصدراً مهما لحياة الشاعر وصلته بالقصر في فترة قل فيها التدوين التاريخي، فضلاً عن أنه يحتوي على خمسين ومئتين. وألفي بيت، تجعله في مقدمة مصادر شعره الباقية، من حيث الكم.

وقد وصلتنا ـ فيما نعلم ـ نسخة وحيدة من هذا الديوان، هي المحفوظة بالمتحف البريطاني، تحت رقم: 5670 وتضم اثنتين وثلاثين ورقة، متوسط أسطر الصفحة الواحدة منها عشرون سطراً، كتبها ناسخ مجهول في القرن العاشر الهجري، برسم ينتمي إلى الخط الأندلسي في مراحله الأخيرة[1].

وكتب في آخر المخطوطة بخط متميز ما يفيد تمام النسخ ليلة الأحد في شهر شعبان، بعد انقضاء نصفه، لكن التاريخ بالأعوام لم يكن بذلك الوضوح، فقد رسم على الشكل التالي: (عام 424) وقد استعنت في قراءته بالعالم الجليل الأستاذ محمد المنوني، الذي رجَّح أن يكون الانتهاء من النسخ عام خمسة وستين وتسعمئة للهجرة، مقارنة لهذه الأرقام بمثيلاتها من أرقام الطبعات الحجرية، فأتى بما يقنع ويفيد، جزاه الله كل خير.

وقد دلت الأخطاء الإملائية، والإضافات الهامشية، وما عليها من توقيعات بكلمة «أصل» على أن ما بين أيدينا نسخة عن الأصل. وهي نسخة سليمة من الخروم والتشويهات والرطوبة، ولكن ما فيها من التصحيفات والأخطاء الإملائية يضطر محققها إلى الاستعانة بالمصادر الأخرى والمعاجم اللغوية والاجتهادات في القراءة مرات متعددة.

أما عن المحتوى، فتتكون مخطوطة المزاين من تسع وعشرين قصيدة مرتبة على حروف الهجاء، ومتفاوتة في الطول، وهي جميعها في المدح كما يفهم من عنوانها.

---

(1) انظر تاريخ الوراقة المغربية للأستاذ المنوني: 45.

ومخطوطة «المزاين» واضحة النسبة لمؤلفها من خلال قرائن مختلفة، منها وجود نصوص فيها ضمن أشعاره في المصادر الأخرى، وهو ما تتولى توضيحه التعليقات المثبتة في حواشي البحث.. ومنها وضوح أسلوبه المتميز الذي يكاد ينسحب على آثاره الشعرية كلها، ومنها ترتيب الديوان على حروف المعجم، واقتصار كل حرفٍ على قصيدة واحدة، الأمر الذي ينفي وجود الدخيل.

غير أن أبرز هذه الأدلة على نسبة الديوان إلى المؤلف يتمثل في ثبوت نسبة الكتاب صريحة إليه، كما يظهر من العنوان، وتأكيد ضميره في كل قصيدة بعد ذلك.

ومجموع هذه الأدلة يقلل من روح الشك التي بثها «هوبكنز» أثناء معالجته لنسبة الكتاب إلى ابن الحاج في دائرة المعارف الإسلامية[1]، وإن كان قد كتب أفضل من ذلك بكثير في مجلة كلية الدراسات الشرقية والأفريقية[2].

2 ـ مذكرات ابن الحاج النميري

هي مذكراته التي سجلها في رحلته في معية السلطان أبي الحسن المريني سنة خمس وأربعين وسبعمئة للهجرة، وزار فيها سبتة وقصر الحجاز، وطنجة، وأصيلة، وفاساً، وسلا، فسجل تراجم ونصوصاً نثرية وشعرية لمن لقيهم في رحلته، مع أسانيد وإفادات أخرى كان يود أن يجعل منها مسودة عمل مهم على ما يبدو، ولذا قال عبارته المنهجية «وَلِلتَّفْتِيشِ وَقْتٌ غَيْرُ وَقْتِ التَّقْمِيشِ»[3].

اعتمدتُ في مطالعة هذه المذكرات على صورة من مكتبة الاسكريال تفضل بمنحها لي أخي الكريم الدكتور عبد السلام شقور مشكوراً، وهي تتكون من قطعتين، تحمل الأولى رقم 734، من فهرس بروفنسال، وتشتمل على (46) ورقة.

أما القطعة الثانية فتحمل رقم 183، من فهرس دير نيبورغ وتشتمل على (45)

---

(1) EII2 Vol III, p.780 .

(2) Bulletin of the School of Oriantal and African Studies: pp. 57-64. .

(3) مذكرات ابن الحاج، بتحقيق برميير: 34.

ورقة.

والقطعتان بخط المؤلف في الغالب، إذ هما مسودتا عمله، فيهما من الكشط والنسبة إلى الذات ما يؤكد صلتهما به.

وقد اعتنى الأستاذ ألفريد برمبير بهذه الرحلة وحققها سنة 1978 تحقيقاً جيداً، ولكنه لم يغنني عن الأصل، ولذا أكملت منه فراغات كان تركها برمبير في تحقيقه المذكور.

ورقة من مذكرات ابن الحاج النميري

(المخطوطة رقم : 483)

(يرجح أنها بخط المؤلف)

ورقة أخرى من مذكرات فيها بعض قصيدته في رثاء خاله (المخطوطة رقم : 1734)

وتعود أهمية هذه المذكرات فيما يتعلق بالنصوص الشعرية إلى ما تحتويه من شعر ابن الحاج في غير غرض المدح الذي وجدناه مسيطراً على أشعار «المزاين» و«فيض العباب».

3 ـ فيض العباب وإجالة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب.

وهو كتاب يضم حوادث رحلته في معية أبي عنان فارس المريني عام ثمانية وخمسين وسبعمئة للهجرة، منه نسخة وحيدة، فيما نعلم، بالخزانة الحسنية[1] تحت رقم: (3267)، وحقَّقه د. محمد بنشقرون معتمداً عليها[2].

وبالرغم من أن النص المحقق كان سليماً في معظمه، فقد عدت إلى المخطوط، واقفاً عند بعض الإشكالات التي واجهتني في النص، وأثبتُّ المقارنة بين الأصل والنص المحقق في الحواشي، وكانت حصيلة ما جمعته من «فيض العباب» ثلاثة قصائد طويلة وعدة مقطعات[3].

ثانياً: مؤلفات معاصريه

1 ـ مؤلفات ابن الخطيب السلماني

وهي أهم مصادر هذه المجموعة، وذلك بفضل الصلة المتينة التي تجمع بين الشاعر وابن الخطيب، ولما عرف عن هذا الأخير من عناية بأدب المئة الثامنة ورجالها.

فقد ترجم له في «الإحاطة»، حيث أورد شيئاً من أخباره وأشعاره ونثره[4]، ولكن عنايته بجمع النصوص الشعرية كانت أكثر في «الكتيبة الكامنة»[5] و«نفاضة الجراب»[6]، ففيهما عدد مهم من قصائده ومقطعاته يفوق نظيره في «الإحاطة»

---

(1) يقال إن منه نسخة أخرى تامة بدير كنيسة مليلية. (جذوة الاقتباس هامش رقم: (118) :1\92).

(2) نشر بالرباط سنة 1984.

(3) انظر النص المطبوع من الفيض: 3-4 و77-78، و90-91 و142-144.

(4) الإحاطة: 1\342-363.

(5) الكتيبة: 260-269.

(6) النفاضة: 3\126-132 و153-154 و177-178 و301-305.

وغيرها.

2 ـ مؤلفات إسماعيل بن الأحمر

وأهمها، فيما يتصل بشعر ابن الحاج، كتابه «نثير فرائد الجمان»[1]، الذي أورد قصيدة في رثاء خاله ينفرد بها ـ فيما نعلم ـ عن غيره من المصادر.

3 ـ مختارات ابن عزيم الأندلسي

تضم هذه المختارات نصوصاً للشاعر لم يرد بعضها في مصدر آخر[2]، وتعود أهميتها، فضلاً عن ذلك، إلى النصوص التي تشترك فيها مع «المزاين»، فهي تصحح بعض تلك النصوص وتسهم في توثيق نسبة الديوان إلى صاحبه...

4 ـ مسالك الأبصار، لابن فضل الله العمري

قال العمري في كتابه هذا عن ابن الحاج: «وَجَاءَ إِلَيَّ بِقَلْعَةِ الْجَبَلِ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ أَهْلِ الْفَضْلِ جَاؤوا مَعَهُ، وَانْحَطُّوا، إِلَيْهِ، حَيْثُ أَعْلاَهُ قَدْرُهُ.. فَخَضَعَتْ وِهَادُهُمْ عَنْ رُبَاهُ، وَكَانَ والنَّاسُ مَا عَدَاهُ أَشْبَاهٌ، فَلَمَّا تَكَلَّمَ سَكَتُوا لَهُ، وَهُوَ أَصْغَرُهُمْ سِنًّا، وَأَضْرَمُهُمْ ذِهْناً.. وَكَتَبَ إِلَيَّ وَلِلَّهِ قَلَمُهُ وَمَا ضَمَر، وَطِرْسُهُ وَمَا أَخْرَجَ وَرَقُهُ مِنَ الثَّمَر»[3] ثم أعقب ذلك بمزدوجات من شعره.

5 ـ الوافي بالوفيات، لصلاح الدين الصفدي

قال الصفدي: إنه اجتمع بالنميري وأنشده من لفظه بنفسه بعض شعره[4]، وعنه أخذ يوسف بن تغرى بردى[5].

---

(1) نثير الفرائد: 314-318.

(2) انظر: المختارات (ط. الدار العربية) 26، 28، 56 54.

(3) مسالك الأبصار: 11\215.

(4) الوافي: 6\40.

(5) المنهل الصافي: 1\86.

6 ـ تاج المفرق في تحلية علماء المشرق، لخالد بن عيسى البلوي

حلّى البلويُّ شاعرنا بأوصاف سامية تشيد بأدبه وفضائله[1]، ولكنه لم يورد من شعره غير بيتين وردا عند غيره[2]. وهو صديقه الذي رحل بصحبته إلى المشرق.

7 ـ الإفادات والإنشادات، للشاطبي (ت. 790هـ)

أبو إسحاق الشاطبي معاصر للشاعر، ولكن النص الوحيد الذي احتفظ له به كان رواية عن ابن حذلم[3].

ثالثاً: المصادر التالية لعصره:

1 ـ جذوة الاقتباس، لأحمد بن القاضي

نقل ابن القاضي معظم مادته عن ابن الخطيب، لكنه انفرد برائية طويلة في المدح، وترك جزءاً منها لفرط طولها[4]. وبذلك يحسب في المصادر الأولية لشعر ابن الحاج.

2 ـ نفح الطيب، للمقري التلمساني

احتوت هذه الموسوعة الأدبية الأندلسية على نصوص شعرية وأخبار عن ابن الحاج النميري، لم تجتمع في غيرها من المصادر التالية لعصر الشاعر[5].

(1) تاج المفرق: 2\115.

(2) نفسه: 1\201.

(3) الإفادات: 147.

(4) جذوة الاقتباس: 1\93.

(5) النفح: 7\108-121 و2\535.

منهج العمل

دعتني صعوبات النسخة الوحيدة، التي تكاد تسم معظم النصوص الباقية من شعر النميري، إلى الاستئناس بالجهود السابقة في تحقيق بعض قصائده. وفي طليعة التحقيقات الجيدة، كانت جهود محققي «نثير فرائد الجمان» و«نفاضة الجراب» و«فيض العباب» و«المذكرات»، وقد اعتمدت هذه التحقيقات بمثابة النسخ الثانية، أقارنها مع النص الأصلي في حالتي الصواب والخطأ، دون قصد المساس بجهود أصحابها المشكورة، فهم قد عايشوا النص وتمرسوا عليه، ولا يمكن إهمال قراءاتهم، أو تجاهل تصويباتهم في حالات الإشكال.

ولن أقف عند خطوات التحقيق التي صارت معروفة من خلال كتب مناهج التحقيق، ويمكن للقارىء أن يتلمس المختار منها في ثنايا المتن، لكنني أشير إلى أن كثرة الأخطاء الإملائية والتصحيفات أعطتني الجرأة على تغيير كلمات في النص إلى ما رأيته صواباً، ثم إن الأمانة العلمية اقتضت أن أضع مثل هذا التحوير بين معكوفين، وأن أثبت ما كانت عليه اللفظة في الحاشية حتى أترك للقارىء فرصة المقارنة والاستنتاج.

وقد رأيت عدم إثقال النص بالحواشي والهوامش، ولكن ذلك لم يصرفني عن إثبات اختلاف الروايات والإضاءات الضرورية بقدر الحاجة إليها.

الديـــــوان

الهمزة

1

«بسم الله الرحمن الرحيم. وصلى الله على سيدنا محمد وآله»[1] [طويل].

أَكُــلُّ مَــدِيــحٍ بِــالــتَّــغَــزُّلِ يُــبْــدَأُ ... أَلاَ إِنَّ مِـثْـلِـي إِنْ تَـغَـزَّلَ مُـخْـطِـىءُ
كَـأَنَّ الْـهَـوَى فَـرْضٌ عَـلَـى كُـلِّ مَـادِحٍ ... فَـتَـارِكُـهُ عَـمْـداً يُـذَمُّ وَيُـشْـنَـأُ
وَعُــذْرِيَ مِــنْــهَــا سُــنَّــةٌ شَــاعِــرِيَــةٌ ... بِـهَـا الـهَـزْلُ، يَـا لِـلَّـهِ بِـالـجِدِّ يَـهْـزَأُ
وَلَـيْـسَ الْـمَـدِيـحُ الْـحَـقُّ إِلاَّ الَّـذِي لَـهُ ... بِـغَـيْـرِ أَضَـالِـيـلِ الـتَّـغَـزُّلِ مَـبْـدَأُ
وَمَـا كَـانَ لِـلـرَّاجِـي الـنَّـوَالَ تَـهَـجُّـمٌ ... عَـلَـيْـهِ وَلِـلْـقَـصْـدِ الْـمُـرَادِ تَـهَـيُّـؤُ
وَكَـمْ مِـنْ مَـدِيْـحٍ عَـادَ بِـالـسُّـؤْلِ وَالْـمُـنَـى ... فَـأَضْـحَـتْ بِـهِ نَـارُ الـصَّـبَـابَـةِ تُـطْـفَـأُ
كَـمِـثْـلِ مَـدِيـحِ ابْـنِ الْـخَـلِـيـفَـةِ يُـوسُـفٍ[2] ... إِذَا مَـا غَـدَا يَـقْـرِي الـضُّـيُـوفَ وَيَـقْـرَأُ
إِمَـامُ الْـهُـدَى الْـمُـسْـدِي عَـلَـى الْـخَـلْـقِ أَنْـعُـمـاً ... عَـلَـى وِرْدِهَـا ظِـلُّ الْـمُـنَـى مُـتَـفَـيَّـأُ
مُـحَـمَّـدٌ الْـمَـحْـمُـودُ ذُو الـشَّـرَفِ الَّـذِي ... بِـأُفْـقِ الْـعُـلاَ أَنْـوَارُهُ تَـتَـلأْلأُ
سُـلاَلَـةُ أَنْـصَـارِ الـنَّـبِـيِّ الَّـذِي[3] لَـهُ ... مَـدَائِـحُ عَـنْـهَـا أُعْـجِـزَ الْـمُـتَـنَـبِّـىءُ[4]
أَجَـلُّ مُـلُـوكِ الأَرْضِ ذَاتـاً وَمَـنْـصِـبـاً ... وَأَكْـرَمُ مَـأْمُـولٍ لَـهُ الـخَـلْـقُ تَـلْـجَـأُ

---

(1) هذه بداية (مزاين القصر) والهمزية أول قصائده.

(2) يعني محمد الغني بالله ابن يوسف بن الأحمر، الذي تولى الحكم في غرناطة خلال فترتين، ابتداء من 755 وحتى 793 هـ. خلع بينهما فابتعد عن غرناطة ما بين 760 و763 هـ. (انظر: اللمحة البدرية: 22 و107، والعبر: 7\306، والإحاطة: 1\38).

(1) يشير إلى نسبة بني نصر إلى الأنصار، وقد مُدحوا بذلك كثيراً من قبل شعراء عصرهم. (انظر: ديوان الخطيب: 1\419، وديوان ابن الجياب: 156، والأزهار: 2\154).

(2) المتنبي: هو أبو الطيب أحمد بن الحسين: الشاعر المشهور، وكان للأندلسيين عناية بشعره، رواية وتمثلاً (انظر: أبو تمام وأبو الطيب في أدب المغاربة، للدكتور محمد بنشريفة، ط. دار الغرب الإسلامي).

وَخَيْرُ السَّلاَطِينِ الَّذِينَ هُمُ هُمُ إذا الطَّعْنُ عَنْ وِرْدِ الحَيَاةِ مُحَلِّيءُ[1]
أَقَاصِدَهُ بُشْرَاكَ وَانْزِلْ بِسَرْحِهِ[2] بِهِ السَّعْدُ يَرْقَى وَالْمَدَامِعُ تُرْقَأُ[3]
وَأَلْقِ عَصَا التَّسْيَارِ فِي خَيْرِ مَرْبَعٍ[4] بِأَرْجَائِهِ كَأْسُ الْمَبَاهِجِ تُمْلأُ
وَلُذْ مِنْهُ فِي النَّادِي بِأَرْوَعَ وَصْفُهُ تُقَصِّرُ عَنْهُ عَبْدُ قَيْسٍ وَطَيِّىءُ[5]
وَدُونَكَ فَاسْبَحْ فِي نَدَاهُ بِأَبْحُرٍ مَدِيحِيَ يَاقُوتٌ بِهِنَّ وَلُؤْلُؤُ
وَإِنْ جِئْتَهُ فِي العَالَمِينَ مُهَنِّئاً فَكُلُّ مُلُوكِ العَالَمِينَ تُهَنِّىءُ

2

وقال(*): [طويل]

لِيَ الْمَدْحُ يُرْوَى مُنْذُ كُنْتُ كَأَنَّمَا تُصُوِّرْتُ مَدْحاً لِلْوَرَى وَثَنَاءَ
وَمَا لِي هِجَاءٌ فَاعْجَبَنَّ لِشَاعِرٍ وَكَاتِبِ سِرٍّ لاَ يُقِيمُ هِجَاءَ[6]

---

(1) حلأه بالسيف: ضربه.
(2) السرح: فناء الدار.
(3) رقأ الدمع: جف وسكن.
(4) المربع: الموضع يُقَام فيه وقت الربيع.
(5) طيىء: اسم لقبيلة يمنية تنسب إلى طيىء بن أدد بن زيد بن كهلان بن سبأ بن حمير، ومنها حاتم الطائي. (اللسان: طواء).
(*) الكتيبة: 266، والإحاطة: 1\347، وجذوة الاقتباس: 1\92، ونثير الجمان: 318، والنفح: 7\112.
(6) إشارة إلى توليته الكتابة ببجاية وفاس. (انظر مستودع 69، ونثير الفرائد: 313، والإحاطة: 1\343).
(*) مزاين القصر: 2 أ.

البـاء

3

وله أيضاً(*): [طويل]

هُوَ الْبَدْرُ تَحْمِيهِ نُجُومٌ ثَوَاقِبُ   وَمَا هِيَ إلاَّ الْمُرْهَفَاتُ الْقَوَاضِبُ
وَيَغْشَاهُ غَيْثٌ حَيْثُ حَلَّ وَإِنَّهُ   لَنَقْعٌ أَثَارَتْهُ الْعِتَاقُ الشَّوَازِبُ(1)
وَخِلْنَا خَفَى فِيهِ الْبُرُوقُ وَإِنَّمَا   خَفَى فِيهِ سُمْرٌ أَشْرَعَتْهَا الْكَتَائِبُ
حَذَارِ حَذَارِ إِنْ بَدَتْ كُثْبُ الْحِمَى   فَمَرَّتْ صَبَاحاً بِالْقِبَابِ النَّجَائِبُ
وَإِيَّاكَ وَالتَّغْرِيرَ بِالنَّفْسِ إِنْ رَمَتْ   بِأَسْهُمِ مَكْحُولِ الْلِحَاظِ الْكَوَاعِبُ
وَمَا الصَّبْرُ بَعْدَ الْبَيْنِ إلاَّ تَعِلَّةٌ   وَأَنَّى وَقَدْ ضَاقَتْ عَلَيَّ الْمَذَاهِبُ
لِيَ اللَّهُ بَعْدَ الظَّاعِنِينَ وَمَنْزِلٌ   بِهِ وَقَفَتْ يَوْمَ الْوَدَاعِ الرَّكَائِبُ
وَرُبَّ شُمُوسٍ فِي الْفَلاَةِ مَطَالِعٌ   لَهُنَّ وَلَكِنْ فِي الْحُدُوجِ(2) مَغَارِبُ
وَغِيدٍ يُغَادِرْنَ الْقُلُوبَ ذَوَائِباً   إِذَا جُرِّرَتْ زَهْواً لَهُنَّ ذَوَائِبُ
لَوَاعِبَ مَا بَيْنَ الْخِيَامِ يَحُفُّهَا   كُمَاةٌ بِأَطْرَافِ الرِّمَاحِ لَوَاعِبُ
عَلَيْهِنَّ بَاتَ الْبَرْقُ يَخْفِقُ قَلْبُهُ   وَجَفْنُ الْحَيَا فِي وَجْنَةِ الأُفْقِ سَاكِبُ
وَيَا بِأَبِي مِنْهُنَّ حَسْنَاءُ لَحْظُهَا   لَهُ جَانِبٌ يُخْشَى وَلِلسَّيْفِ جَانِبُ
مُؤَجِّجَةٌ نَارَيْنِ: نَارَ صَبَابَةٍ   وَنَارَ قِرىً تَنْجَابُ عَنْهَا الْغَيَاهِبُ
حُقُوقٌ كَقُرْطَيْهَا الَّلوَاء أَمَامَهَا   إِذَا مَا مَشَتْ وَالدَّارِعُونَ رَوَاكِبُ
يُسَاجِلُ جَرْسُ الطَّعْنِ جَرْسَ حُلِيِّهَا   فَتَرْتَاعُ مِنْ هَذَا وَذَاكَ التَّرَائِبُ

---

(1) العتاق: الخيول الكريمة. والشوازب: الضوامر.

(2) الحدوج: جمع حِدج: من مراكب النساء، كالمحفة أو الهودج.

وَلَوْلاَ شَذَاهَا مَا غَدَا الرَّوْضُ عَاطِراً ... وَمَا عَبِقَتْ فِيهِ الصَّبَا وَالْجَنَائِبُ[1]
مُمَنَّعَةٌ حَتَّى مِنَ الطَّيْفِ فِي الْكَرَى ... فَلاَ جَفْنَ إلاَّ وَهْوَ لِلسُّهْدِ صَاحِبُ
حَنَانَيْكِ يَابِنْتَ الفَوَارِسِ أَقْسَمَتْ ... سُيُوفُهُمُ أَلاَّ تُزَارَ الْحَبَائِبُ
وَلَبَّيْكِ أَلْفاً إِنْ دَعَوْتِ إِلَى الْوَغَى ... وَطَعْنٍ كَمَا (تَرْعَى)[2] الفُحُولُ الضَّوَارِبُ
وَأُقْسِمُ مَالِي فِي الْغَرَامِ مُسَاجِلٌ ... وَلاَ لابْنِ نَصْرٍ[3] فِي الْحُرُوبِ مُغَالِبُ
كَرِيمٌ لَهُ فِي سِرِّ يَعْرُبَ مَفْخَرٌ ... وَبَيْتُ عُلاً حَجَّتْ إِلَيْهِ الْمَنَاقِبُ
مِنَ الْقَوْمِ سَعْدُ الْخَزْرَجِ ابْنُ عُبَادَةٍ[4] ... أَبُوهُمْ، وَحَسْبُ الْقَوْمِ تِلْكَ الْمَنَاسِبُ
مُنِيفٌ[5] بِإِسْمَاعِيلَ[6] مَجْداً وَيُوسُفٍ ... وَيَا لَكَ مَنْ مَجْدٍ لَهُ الْمَجْدُ هَائِبُ
عَظِيمٌ عَظِيمُ الْمُلْكِ لاَ مُلْكَ مِثْلَهُ ... وَكُلُّ عَظِيمٍ لِلْعَظِيمِ مُنَاسِبُ
وَأَعْلَمُ عِلْماً خَالَطَ الْقَلْبَ، إِنَّهُ ... لأَكْرَمُ مَنْ تُرْجَى لَدَيْهِ الْمَوَاهِبُ
وَمَا خُلِقَ الإِنْسَانُ مِثْلِيَ عَالِماً ... وَلَكِنْ أَفَادَتْهُ الْعُلُومَ التَّجَارِبُ
وَمَنْ نَالَ مُلْكاً لاَ بِبَأْسٍ وَلاَ نَدَى ... فَذَاكَ امْرُؤٌ لِلْمُلْكِ لاَ شَكَّ غَاصِبُ
وَمَنْ كَأَبِي عَبْدِ الإِلَهِ مُحَمَّدٍ ... إِذَا زَحَفَتْ يَوْمَ النِّزَالِ الْمَقَانِبُ[7]
بِهِ دَفَعَ اللَّهُ الْخُطُوبَ عَنِ الْوَرَى ... وَلِلَّهِ فِي دَفْعِ الْخُطُوبِ عَجَائِبُ
وَمَا كُلُّ مَنْ هَزَّ الْمُثَقَّفَ طَاعِنٌ ... وَمَا كُلُّ مَنْ سَلَّ الْمُهَنَّدَ ضَارِبُ

---

(1) الجنائب: جمع جنبة وهي الناحية.
(2) ترعى: كذا، ولعلها: ترغو.
(3) يعني الغني بالله محمد بن يوسف بن إسماعيل بن الأحمر: ثامن خلفاء بني نصر وخامس محمديهم.
(4) هو سعد بن عبادة: سيد الأنصار الذي ينتهي إليه نسب بني الأحمر. (انظر: اللمحة البدرية: 33، والأحاطة: 2\13).
(5) منيف: عال مشرف.
(6) إسماعيل ويوسف هما: جَدُّ الغني بالله، وأبوه كما تقدم.
(7) المقانب: من الخيل، بين الثلاثين والأربعين، ويطلق على جماعات الناس والذئاب الضارية.

وَخَـصَّـصَـهُ الأَمْـلاَكُ بِـالْـبـرِّ وَحْـدَهُ وَتَخْصِيصُ رَبِّ الْفَضلِ بِالْبِرِّ وَاجِبُ
وَمَا يَرْغَبُ الْمَجْدُ الْمُؤَثَّلُ فِي امْرِىءٍ غَدَا وَهْوَ فِي الْمَالِ الْمُجَمَّعِ رَاغِبُ
مُكَمِّلُ رَأْيِ الْيَوْمِ تَكْمِيلَ حَازِمٍ يَهُونُ عَلَيْهِ أَنْ تَنُوبَ النَّوَائِبُ
وَتَأْخِيرُ[1] مُلْكٍ رَأْيَ يَوْمٍ إِلَى غَدٍ خَبَالٌ بِهِ، إِنْ دَامَ، فَالْمُلْكُ ذَاهِبُ
مُجَانِبُ أَهْلِ اللُّؤْمِ لاَ يَعْرِفُونَهُ وَكُلُّ كَرِيمٍ لِلَّئِيمِ مُجَانِبُ
وَمَنْ وَضَعَ التَّقْرِيبَ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ فَذَاكَ امْرُؤٌ مَسْعَاهُ وَالْقَصْدُ خَائِبُ
وَلَوْ كَانَ يُعْطَى قَدْرَ عَلْيَاهُ خِدْمَةً لَقَلَّ لَهُ فِي الخَادِمِينَ الكَوَاكِبُ
حَلِيمٌ وَلَكِنْ حِلْمُهُ بَعْدَ قُدْرَةٍ أُتِيحَتْ لَهُ وَالسَّيْفُ بِالدَّمِ خَاضِبُ
عَلِيمٌ يُزَكِّي عِلْمَهُ عَمَلٌ بِهِ كَمَا جَادَتِ الرَّوْضَ النَّضِيرَ السَّحَائِبُ
مُفِيدٌ مُصِيبٌ آخَرِينَ وَإِنَّمَا «فَوَائِدُ قَوْمٍ عِنْدَ قَوْمٍ مَصَائِبُ»[2]
وَأَيُّ مُلاَقٍ وَالخُيُولُ طَوَالِعُ كَمَا أَمَّتِ[3] الوِرْدَ النَّعَامُ الخَوَاضِبُ
أَمَوْلاَيَ بُشْرَى بِالْفُتُوحِ وَأَنْعُمٍ مَشَارِبُهَا لِلْوَفْدِ نِعْمَ الْمَشَارِبُ
وَيَهْنِيكَ عِيدُ الْفِطْرِ أَسْعَدُ قَادِمٍ عَلَيْكَ تُرَاعِي حَقَّهُ وَتُرَاقِبُ
وَلاَ زِلْتَ مَسْرُوراً بِأَشْرَفِ دَوْلَةٍ بِهَا حَسُنَتْ دُنْيَا وأُخْرَى الْعَوَاقِبُ

4

[تهنئة بشفاء السلطان أبي عنان المريني(*)]: [طويل]

قَضَى اللَّهُ أَنْ تُقْضَى فَنِعْمَ، الْمَطَالِبُ مَطَالِبُ إِلاَّ أَنَّهُنَّ مَوَاهِبُ
شِفَاءُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَإِنَّهُ لأَكْرَمُ مَنْ تُحْدَى إِلَيْهِ الرَّكَائِبُ

(1) في الأصل: وتأخر.

(2) تضمين فيه تقديم وتأخير، روعيت فيه القافية، وأصله: «مصائب قوم عند قوم فوائد».

(3) أمت: قصدت.

(*) النفح: 7\119، وورد جزء منها في: فيض العباب: 4,3 من النص المحقق.

وَكَمْ قُلْتُ غَابَ الْبَدْرُ وَالشَّمْسُ ضَلَّةً[1] وَرَانَتْ عَلَى قَلْبِي الْهُمُومُ النَّوَاصِبُ
وَلَمْ يَغِبَا لَكِنْ شَكَا الضُّرَّ فَارِسٌ وَأَوْحَشَ مِنْهُ مَجْلِسُ الْمُلْكِ غَائِبُ
لَكَ اللَّهُ يَا خَيْرَ الْمُلُوكِ وَخَيْرَ مَنْ تَحِنُّ لَهُ حَتَّى العِتَاقُ الشَّوَازِبُ
وَقَلَّ لِمَنْ وَافَى بَشِيراً نُفُوسُنَا فَمَا هِيَ إِلاَّ بَعْضُ مَا أَنْتَ وَاهِبُ
أَقُولُ[2] لِجُرْدِ الْخَيْلِ قُبَّا[3] بُطُونُهَا مُعَقَّدَةٌ مِنْهَا لِحَرْبٍ: سَبَاسِبُ[4]
طَوَالِع مِنْ تَحْتِ العَجَاجِ كَأَنَّهَا نَعَامٌ بِكُثْبَانِ الصَّرِيمِ خَوَاضِبُ
مُحَجَّلَةٌ غُراً كَأَنَّ رِعَالَهَا بِحارٌ جَرَتْ فِيهَا الصَّبَا وَالْجَنائِبُ[5]
مِنَ الأَعْوَجِيَّاتِ الصَّوَافِن[6] تَرْتَمِي إِذَا رَجَفَتْ يَوْمَ الْقِرَاعِ مَقَانِبُ
هَنِيئاً فَقَدْ صَحَّ الإِمَامُ الَّذِي بِهِ تُفَلُّ السُّيُوفُ الْمُرْهَفَاتُ الْقَوَاضِبُ
وَمُسْتَأْصِلُ الْفَلِ[7] الْمُغِذُّ جِيَادهُ لِضَرْبٍ كَمَا تَرْغُو الفُحُولُ الضَّوَارِبُ
وَمَنْ حَطَّمَ السُّمْرَ الطِّوَالُ كُعُوبُهَا بِطَعْنٍ كَمَا امْتَاحَ الرَّكِيَّةَ[8] شَارِبُ
وَكَرَّ عَلَى أَرْضِ العِدَى بِفَوَارِسٍ كَأَنَّهُمُ فِي الْحَرْبِ أُسْدٌ غَوَالِبُ
كَأَنَّ ظُبَاهُمْ فِي الهِيَاجِ أَكُفُّهُمْ تَجُودُ وَأَرْوَاحُ العُدَاةِ مَوَاهِبُ
كَأَنَّ رِمَاحَ الْخَطِّ أَحْسَابُهُمْ، وَمَا حَوَتْ مِنْ نُفُوسِ الْمُعْتَدِينَ مَنَاقِبُ

---

(1) الضلة: الضلال. وأصله الغيبوبة. (اللسان: ضلل).

(2) فيض العباب: أقود.

(3) الأقب: الضامر، ومنه قول الشاعر في وصف فرس:

اليد سابحة والرجل طامحة والعين قادحة والبطن مقبوب

(4) السباسب: شجر يتخذ منه السهام، وهي هنا خبر لمبتدأ محذوف تقديره «هي» يعود على الخيل.

(5) الرعال: القطعة من الخيل ليست بالكثيرة (اللسان: رعل) والجنائب هنا: النوق ليس من يفتقدها.

(6) فيض العباب: الصوافي.

(7) الفل: المنهزمون. وأغذ في السير: أسرع.

(8) الركية: البئر.

هُمُ مَا هُمُ، حَدِّثْ عَنِ الْبَحْرِ أَوْ بَنِي ... مَرِينَ[1] فَنَهْجُ الْقَوْلِ أَبْلَجُ لاَحِبُ
مِنَ الْبَيْتِ شَادَتْ قَيْسُ عَيْلاَنَ[2] فَخْرَهُ ... فَطَالَتْ مَعَالِيهِ وَطَابَتْ مَنَاسِبُ
وَأَحْيَا لَهُ مُلْكُ الْخَلِيفَةِ فَارِسٍ[3] ... مَآثِرَ غَالَتْهَا اللَّيَالِي الذَّوَاهِبُ
كَرِيمٌ فَلاَ الْحَادِي النَّجَائِبَ مُخْفِقٌ ... لَدَيْهِ، وَلاَ الْمُنْضِي الرَّكَائِبَ خَائِبُ
أَرَى بَذْلَهُ النُّعْمَى فَفُضَّتْ مَكَاسِبٌ ... أَرَى بَأْسَهُ الأَنْضَى فَفُضَّتْ كَتَائِبُ
أَنَامِلُهُ يَرْوِي الْوَرَى صَوْبُ جُودِهَا ... فَلَوْلاَ دَوَامُ الرِّيِّ[4] قُلْتُ السَّحَائِبُ
وَكَمْ خِلْتُ بَرْقاً فِي الدُّجَى نُور بِشْرِهِ ... تَشِيمُ سَنَاهُ النَّاجِيَاتُ النَّجَائِبُ
فَأَخْجَلْنِي أَنِّي أَرَى الْبَرْقَ خُلَّباً ... فَلاَ الصَّوْبُ هَامٍ لاَ وَلاَ الْجُودُ سَاكِبُ
أَعِزْنِي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بَلاَغَةً ... فَإِنِّيَ عَنْ عَجْزٍ لِمَدْحِكَ هَائِبُ
وَأَنْطِقْ لِسَانِي بِالْبَيَانِ مُعَلِّماً ... فَإِنِّيَ فِي التَّعْلِيمِ لِلْجُودِ رَاغِبُ
وَكَيْفَ تَرَى لِي بَعْدُ فِي الْجُودِ رَغْبَةً ... وَجُودُكَ لِي فَوْقَ الَّذِي أَنَا طَالِبُ
وَقَدْ شَبَّتِ الآمَالُ إِذْ شِبْتُ ثُمَّ إِذْ ... تَفَقَّدْتُهَا لَمْ يَدْرِ مَا شَبَّ شَائِبُ
بَلَغْتُ بِكَ الآمَالَ حَتَّى كَأَنَّهَا ... وَقَدْ صَدَقَتْ مَا شِئْتَ صِدْقاً كَوَاذِبُ
عَجِبْتَ وَمَا تُولِي، وَأَوْلَيْتَ مُعْجِباً ... فَلاَ بَرِحَتْ تَنْمُو لَدَيْكَ الْعَجَائِبُ
وَحَسْبِي دُعَاءً لَوْ سَكَتُّ كُفِيتُهُ ... كَمَا قِيلَ، لَكِنْ فِي الدُّعَاءِ مَذَاهِبُ
وَمَا أَنَا إِلاَّ عَبْدُكَ الْمُخْلِصُ الَّذِي ... يُرَاقِبُ فِي إِخْلاَصِهِ مَا يُرَاقِبُ
فَخُذْهَا تَبُثُّ الْعُذْرَ لاَ الْمَدْحَ، إِنَّهُ ... هُوَ الْبَحْرُ، قلْ هَلْ يَجْمَعُ الْبَحْرَ حَاسِبُ
بَقِيتَ بَقَاءَ الدَّهْرِ مُلْكُكَ قَاهِرٌ ... وَسَيْبُكَ فَيَّاضٌ، وَسَيْفُكَ غَالِبُ

---

(1) بنو مرين: هم قوم الممدوح. (انظر الخبر عن أنسابهم وأخبارهم في العبر: 7\196).
(2) قيس عيلان: من اليمنية الذين ينسب إليهم زناتة، ومنهم المرينيون. (العبر: 7\191,5).
(3) هو أبو عنان فارس بن أبي الحسن المريني: تولى حكم فاس ما بين 752 و759 هـ. (انظر العبر: 7\341، وأخبار الدولتين للزركشي: 93-99).
(4) في النفح: الرأي، والتصويب من الفيض.

وَعُـوفِـيـتَ مِـنْ ضُـرٍّ وَأُعْـطِـيـتَ أَجْـرَهُ   وَلاَ رَوَّعَــتْ إلاَّ عِــدَاكَ الــنَّــوائِــبُ

5

«قـال، وقـد وقـف حاجبُ السُّلْطان على عينِ ماءٍ ببعضِ الثُّغور، فشرِبَ منها[1]: [متقارب]

تَـعَـجَّـبْـتُ مِـنْ ثَـغْـرِ هَـاذِي الْـبِـلاَدِ   وَهَــا أَنْــتَ مِــنْ عَــيْــنِــهِ شَــارِبُ

فَــلِــلَّـــهِ ثَـــغْـــرٌ أرى شَـــارِبـــاً   وَعَـيْـنٌ بَـدَا فَـوْقَـهَـا حَـاجِـبُ

6

وقال في الحافظ الذهبي[2]: [بسيط]

رَحَـلْـتُ نَـحْـوَ دِمَـشْـقَ الـشَّـامِ مُـبْـتَـغِـياً   رِوَايَــةً عَــنْ ذَوِي الأَحْــلاَمِ وَالأَدَبِ

فَـفُـزْتُ فِـي كُـتُـبِ الآثَـارِ حِـيـنَ غَـدَتْ   تُرْوَى بِسِلْسِلَةٍ عُظْمَى من الذَّهَبِ(ي)

7

وقال، حين بُدُورِهِ عَلَى الأَمير المحدِّث أبي إسحاق إبراهيم بن إسحاق النوري، صاحب المُوصِل ليروي عنه[3]: [طويل]

إِلَى قَصْدِ قطب الدِّينِ وَافَيْتُ عِنْدَمَا   أَقَمْتُ عَلَى التَّرْحَالِ فِي الشَّرْقِ وَالغَرْبِ

وَأَصْبَحْتُ كَالأَفْلاَكِ فِي السَّيْرِ وَالسُّرَى   فَهَا أَنَا فِي مِصْرٍ أَدُورُ عَلَى الْقُطْبِ

8

قال: «وَمِمَّا كُنْتُ نَظَمْتُهُ فِي الرِّثَاءِ[4]: [سريع]

أَيْــنَ اسْــتَــقَــلَّ أَحِــبَّــةُ الْــقَــلْــبِ   وَنُــجُــومُ أُفْــقِ مَــحَــامِــلِ الــرَّكْــبِ

(1) جذوة الاقتباس: 1\92، والنفح: 7\115، والإحاطة: 1\348.

(2) نفح الطيب: 7\110.

(3) المصدر السابق: 7\111.

(4) مذكرات ابن الحاج النميري، بتحقيق برمبير: 126.

لَعِبَتْ بِهِمْ أَيْدِي النَّوَى سَحَراً لَعبَ الشُّجُونِ بِمَدْمَعِي السَّكْبِ
وَسَقَتْهُمُ كَأْسَ الرَّدَى جُرَعاً مَا سَاغَ بَعْدَ مَذَاقِهَا شِرْبِي
آلَيْتُ لاَ أَنْسَى تَذَكُّرَهُمْ أَنَّى وَلَسْتُ بِزَائِلِ الْحُبِّ
كَانُوا الْحَيَاةَ فَمُذْ فَقَدْتُهُمْ لَمْ أَخْشَ بَعْدُ مَوَارِدَ الْخَطْبِ
وَهَوَى الأَحِبَّةِ وَهْوَ لِي قَسَمٌ لاَزِلْتُ بَعْدَهُمُ أَخَا كَرْبِ
وَلَقَدْ حَنِقْتُ عَلَى الْمَضَاجِعِ مُذْ سَكَنُوا الْغَدَاةَ مَضَاجِعَ التُّرْبِ

9

في التورية[1]: [وافر]

وَرَوْضٍ مُمْحِلٍ جَدْبِ الْمَرَاعِي سَرِيعِ الْقَيْظِ وَقْداً وَالْتِهَابَا
حَكَى ابْنَ أَبِي رَبِيعَةَ لاَ شُجُوناً وَلَكِنْ كَوْنَهُ يَهْوَى الرَّبَابَا

10

وقال[2]: [بسيط]

اثْنَانِ عَزًّا فَلَمْ يَظْفَرْ بِنَيْلِهِمَا وَأَعْوَزَا مَنْ هُمَا فِي الدَّهْرِ مَطْلَبُهُ
أَخٌ مَوَدَّتُهُ فِي اللَّهِ صَادِقَةٌ وَدِرْهَمٌ مِنْ حَلاَلٍ طَابَ مَكْسَبُهُ

11

«وقال، مخاطباً شيخه صاحب ديوان الإنشاء، الإمام جمال الدين إبراهيم ابن شهاب الدين الحلبي، وقد تقرب إليه قصد الرواية عنه[3]: [طويل]

إِلَى ابْنِ شِهَابِ الدِّينِ طَالَ تَغَرُّبِي فَلَمَّا سَرَتْ عِيسِي لَهُ وَرِكَابِي
رَوَيْتُ حَدِيثَ الْفَضْلِ عَنْهُ فَصَحَّ لِي كَمَا شِئْتُ مَرْوِيّاً عَنِ ابْنِ شِهَابِ

(1) جذوة الاقتباس: 1\96، والنفح: 7\113.
(2) النفح: 7\116.
(3) المصدر نفسه: 7\115.

12

وقال(*) : [متقارب]

لَعَمْرُكَ مَا ثَغْرُهُ بَاسِمٌ وَلَكِنَّهُ حَبَبٌ لاَعِبُ
وَلَوْ لَمْ يَكُنْ رِيقُهُ مُسْكِراً لَمَا دَارَ مِنْ حَوْلِهِ الشَّارِبُ

13

وقال(**) : [طويل]

وَلِي فَرَسٌ مِنْ عِلْيَةِ الشُّهْبِ سَابِقٌ أُصرِّفُهُ يَوْمَ الْوَغَى كَيْفَ أَطْلُبُ
غَدَوْتُ لَهُ فِي حَلْبَةِ الْقَوْمِ مَالِكاً فَتَابَعَنِي مِنْهُ كَمَا شَاءَ أَشْهَبُ

(*) النفح : 7\115.

(**) الكتيبة : 266، والإحاطة : 1\348.

14

وله أيضاً[*]: [كامل]

ذَا الـمَـدْحُ[1] يَـأْتِـي مِـنْ أَرِيـجِ ثَـنَـائِـهِ　　بِـصَـحَـائِـفٍ مَـسْـطُـورَةٍ مَـقْـرُوَّةِ
وَكَـأَنَّ مَـنْ وَافَـتْـهُ مِـنْـهُ كِـسْـوَةٌ　　مَـلِـكٌ، دِمَـشْـقُ أَتَـتْ بِـهِ لِـلْـكُـسْـوَةِ
وَالْـمَـادِحُـونَ لَـهُ وَإِنْ أَغْـبَـوا كَـمَـنْ　　قَدْ قَابَلَ الْبَحْرَ الْخِضَمَّ بِحُسْوَةِ[2]
نَـدْبٌ، حَـلِـيـمٌ، مُـشْـفِـقٌ، مُـتَـعـطِّـفٌ　　وَرَدَى الْـوَرَى مِـنْ عَـفْـوِهِ فِـي غَـفْـوَةِ[3]
وَأَتَـى بِـمِـثْـلِ حِـجَـارَةٍ مِـنْ بَـأْسِـهِ　　فَـرَمَـتْ أَعَـادِيَـهُ الْـكِـلاَبُ وَأَشْـوَتِ
مُـفْـنِـي جُـيُـوشَ الـرُّومِ وَهْـيَ نَـوَاهِـدٌ　　فِـيـهَـا مِـنَ الْـكُـفَّـارِ أَخْـبَـثُ حُـشْـوَةِ
نَـوْبٌ تَـجَـمَّـعَ بِـالْـعَـشِـيِّ ضُـيُـوفُـهُ　　وَيُـفَـرِّقُ الْـغَـارَاتِ عِـنْـدَ الـضَّـحْـوَةِ[4]
يَثْنِي العِدَى صَرْعَى كَشَرْبٍ أَخْلَدَتْ　　بِـهِـمُ إِلَـى الأَرْضِ[5] ارْتِـضَـاعَـةُ قَـهْـوَةِ
ذُو الْـفَـضْـلِ بَـادٍ عَـفْـوُهُ عَـنْ زَلَّـةٍ　　ذُو الـحِـلْـمِ مُـغْـضٍ مَـجْـدُهُ عَـنْ هَـفْـوَةِ
الـصَّـادِعُ الآتِـي لِـغُـرٍّ مَـنَـاقِـبِ　　بِـأَجَـلِّ أَسْـمَـاءِ الْـعُـلاَ مَـدْعُـوَّةِ
وَالْـمَـجْـدُ يَـخْـطُـبُ كُـلَّ نَـفْـسٍ حُـرَّةٍ　　بِـمَـتَـاعِـبِ يَـوْمَ الْـوَغَـى مَـمْـنُـوَّةِ

(*) المزاين: 4 ب.
(1) الأصل: وذا المدح، والاختيار ممكن ما بين «الواو» و«ذا» دون أن يختل الوزن ولكن لا يمكن الجمع بينهما كما في المخطوطة.
(2) أغبوا: جاؤوا يوماً وتركوا يوماً. والحسوة: ملء الفم مما يحسى.
(3) في الأصل: في عفوة. والغفوة ـ بالغين ـ: النومة الخفيفة. أما العفوة فلها معان أخرى لا تناسب هذا المقام.
(4) النوب: من التناوب وهو التداول، فحياته متداولة بين الندى والبأس.
(5) في الأصل: أرض.

وَالْـفَـرْعُ لِـلأَصْـلِ الْـمُـشَـرِّفِ تَـابِـعٌ طِيبُ الْحَرِيرِ بِطِيبِ أَصْلِ التُّوْتَةِ[1]
لَـمْ تُـلْـهِـهِ الـدُّنْـيَـا وَلاَ شَـهَـوَاتُـهَـا أَرَأَيْـتَ ذَا عَـقْـلٍ يَـلَـذُّ بِـشَـهْـوَةِ؟
قَـدْ «حِـيلَ بَـيْـنَ الـعِـيـرِ وَالـنَّـزَوَانِ» عَـنْ قَـهْـرٍ فَـلاَ طَـمَـعٌ لَـهُ فِـي نَـزْوَةِ[2]
تَـزْهُـو بِـهِ الـدُّنْـيَـا وَيَـزْهَـى مِـثْـلُـهَـا مَـرْقَـى الـعُـلاَ وَالْـمَـجْـدِ أَعْـظَـمَ زَهْـوَةِ
ذُو الْـمَـالِ مَـا إِنْ زَالَ وَهْـوَ مُـفَـوَّتٌ وَثَـنَـاؤُهُ[3] وَالْـمَـدْحُ غَـيْـرُ مُـفَـوَّتِ
ذُو الـرُّمْـحِ يَـغْـدُو وَالِـجاً فِـي ثَـغْـرِهِ كَـشُـعَـاعِ شَـمْـسٍ وَالِـجٍ فِـي كُـوَّةِ
وَلَـسَـوْفَ يَـمْـلِـكُ رُومَـةً وَجَـمِـيـعَ مَـا مَـلَـكَ الْـعِـدَى مِـنْ بُـرْتُـغَـالَ لِـجِـنْـوَةِ[4]
ذُو هِـمَّـةٍ أَعْـزِزْ بِـهَـا مِـنْ هِـمَّـةٍ لِـكَـمَـالِـهَـا وَجَـلاَلِـهَـا مَـعْـزُوَّةِ
وَالـصَّـبْـرُ مُـرٌّ فِـي الْـمَـذَاقَـةِ أَوَّلاً لَـكِـنْ يَـؤُولُ إِلَـى عَـوَاقِـبَ حُـلْـوَةِ
وَالْـبُـخْـلُ شَـيْـنٌ لِـلْـفَـتَـى كَـالْـوَجْـهِ إِنْ شَـانَـتْـهُ أَعْـرَاضٌ لَـهُ بِـالـلَّـقْـوَةِ[5]
أَسْـيَـافُـهُ سُـلَّـتْ فَـأَسْـقَـطَـتِ الـطُّـلَـى وَسِـهَـامُـهُ رَمَـتِ الـعُـدَاةَ فَـأَشْـوَتِ[6]
بَـادِي الْـجَـلاَلَـةِ وَالْـوَقَـارِ إِذَا احْـتَـبَـى أَبْـصَـرْتَ هَـضْـبـاً عَـاقِـداً لِـلْـحَـبْـوَةِ
وَكَـمِ امْـرِىءٍ لَـمْ يَـفْـتَـكِـرْ لَـمَّـا يَـغِـي[7] وَالْـغَـيُّ يُـوقِـعُ أَهْـلَـهُ فِـي هُـوَّةِ
تَـزْهَـى بِـهِ أَبْـنَـاءُ نَـصْـرٍ مِـثْـلَ مَـا يَـزْهَـى شُـرَيْـحٌ فِـي بَـنِـيـهِ بَـحَـيْـوَةِ[8]

(1) التوتة: واحدة شجر التوت يُرَبَّى على أوراقها دودُ القز، وهو مصدر الحرير الطبيعي.
(2) في الأصل: «حيل بين العنز والنزوان»، وهو تصحيف لمثل عربي قديم.
(3) في الأصل: ثناءه.
(4) رومة: البرتغال. جنوة: حواضر أوروبية تحظى بشهرة أكثر من غيرها في القرن الثامن الهجري (14م) في مجالي السياسة والتجارة.
(5) اللقوة: داء يصيب الوجه فيشوه الشدق.
(6) في الأصل: فأشوة.
(7) افتكر: تذكر. يغي: يفعل الغي، وهو الإمعان في الضلال.
(8) يعني حيوة بن شريح بن صفوان بن مالك التجيبي الكندي المحدث شيخ الديار المصرية. (ترجمته في: تذكرة الحفاظ: 1\174، وتهذيب التهذيب: 3\69، والتاج: 10\104، وأعلام الزركلي).

يُبْدِي غَدَاةَ الْجُودِ مُعْجِبَ لِينِهِ		وَلَهُ غَدَاةَ الْحَرْبِ أَعْظَمُ قَسْوَةِ
كَمْ[1] يَهْوِي[2] رَأْسُ عَدُوِّهِ عَنْ رُمْحِهِ		فَكَأَنَّهُ حَرْبٌ بِمِخْلَبِ لَقْوَةِ[3]
مِنْ بَاذِلٍ يُعْطِي الْجَزِيلَ وَبَأْسُهُ		كَمْ مِنْ عَدُوٍّ خَافَهُ وَعَدُوَّةِ
مِنْ أُسْرَةٍ، أَعْرَاضُهُمْ مَمْدُوحَةٌ		أَبَداً فَمَا يُوصَفْنَ[4] بِالْمَهْجُوَّةِ
حَلّوا بِأَنْدِيَةِ الْمَكَارِمِ وَالْعُلاَ		كَقُرَيْشٍ إِذْ حَلُوا بِدَارِ النَّدْوَةِ[5]
النَّاهِدُونَ إِلَى الْعِدَى بِكَتَائِبِ		كَالسَّيْلِ فَاضَ عُبَابُهُ فِي فَجْوَةِ
وَالْحَرْبُ تَكْشِفُ عَنْ مُحَيًّا نَصْرِهِمْ		[كَالْبَحْرِ][6] يَكْشِفُ شَطُّهُ عَنْ فُوَّةِ
مِنْ آلِ يَعْرُبَ فِي الصَّمِيمِ جَحَاجِحٌ		بِهِمُ الْمَعَالِي أَصْبَحَتْ فِي نَخْوَةِ
الضَّارِبُونَ الْهَامَ هَامَ عُدَاتِهِمْ		بِصَوَارِمٍ لاَ تَخْتَشِي مِنْ نَبْوَةِ
وَالطَّاعِنونَ[7] بِسُمْرِهِمْ ثُغَرَ الْعِدَى		وَالنَّقْعُ يَكْشِفُ في الوَغَى عَنْ هَبْوَةِ[8]

---

(1) كم: [كذا] ولعله أراد «لم» النافية بدليل أنه جزم الفعل بعدها.
(2) في الأصل: يهو (انظر التعليق السابق).
(3) اللقوة: العقاب الخفيفة السريعة الاختطاف.
(4) يوصفن: لعلها توصفن.
(5) قريش: قبيلة الرسول(ص) سكان مكة، أبوهم النضر بن كنانة، واسمهم مشتق من قريش البحر التي تخافها أحياؤه لأنها تفترسها، وقيل غير ذلك. ودار الندوة: هي نادي مكة الذي بناه قصي، سُميت بذلك لاجتماعهم فيها، إذ لا يعد النادي نادياً إلا إذا اجتمع فيه القوم. (اللسان: ندى)
(6) كالبحر: في الأصل كالليل، وقد تبين أنه أراد البحر من مجموعة أدلة منها كلمة «الشط» وكلمة «الفوة» التي هي عشبة تنبت بشواطىء البحر المتوسط، تستعمل في صبغ الحرير. (وسيط: فوه). كما أن الناسخ قد كتب البيت بصيغة أخرى ثم ألغاها وفيها كلمة البحر، ولكن بغير موضعها الصحيح، وهي:

والبحر تكشف عن محيا نصرهم		كالليل يكشف شطه عن فوه

مما يدل على انشغال فكره في أثناء نسخ هذه الأبيات.
(7) في الأصل: والطاعنين.
(8) الهبوة: الغبرة.

وَالـطَّـاعِـنُـونَ مِـنَ الـثَّـنَـايَـا بِـالـرَّدَى   كَـالأُسْـدِ أَمَّـنَـهـا الـشَّـرَى مِـنْ كَـبْـوَةِ[1]
مَـوْلاَيَ قَـدْ خَـلَّـدْتُ فِـيـكَ مَـدَائِـحـاً   فَـامْـنُـنْ وَخُـذْهَـا كَـيْـفَ شِـئْـتَ بِـقُـوَّةِ
وَاقْـبَـلْ عَـرُوسـاً مِـنْ بِـنَـاتِ قَـصَـائِـدِي   تُـجْـلَـى عَـلَـيْـكَ الـدَّهْـرَ أَحْـسَـنَ جُـلْـوَةِ
وَإِذَا رَأَيْــتَ بُــنُــوَّةً مَــشْــكُــورَةً   مِـنْـهَـا فَـأَوْجِـبْ قَـبْـلُ شُـكْـرَ أُبُـوَّةِ
لاَ زِلْـتَ فِـي الـسَّـعْـدِ الْـمُـجَـدَّدِ مَـا سَـعَـا   وَفْـدُ الْـهُـدَى بَـيْـنَ الـصَّـفَـا وَالْـمَـرْوَةِ

15

وقال أيضاً(*): [متقارب]

وَحَــمْــراءَ فِـي الـكَـأْسِ مَـشْـمُـولَـةٍ   تُـحَـثُّ عَـلَـى الْـعُـودِ فِـي كُـلِّ بَـيْـتْ
فَــلاَ غَــرْوَ أَنْ جَــاءَنِــي سَــابِــقــاً   إِلَـى الأُنْـسِ حِـبٌّ[2] يَـحُـثُّ الـكُـمَـيْـتْ

16

وقال(**):

إِنِّـي لأَعْـجَـبُ مِـنْ فِـعَـالِـكَ فِـي الْـهَـوَى   لَـمَّـا حَـلَـلْـتَ بِـحُـسْـنِ ذَاتِـكَ ذَاتِـي
وَنَـفَـيْـتَ نَـوْمِـي ثُـمَّ أَثْـبَـتَّ الأَسَـى   فَـجَـمَـعْـتَ بَـيْـنَ الـنَّـفْـيِ وَالإِثْـبَـاتِ

---

(1) الشرى: موضع كثير الأُسد. والكبوة: السقوط على الوجه.

(*) الكتيبة: 266، والإحاطة: 1\348، والنفح: 7\116.

(2) في النفح والإحاطة: خل.

(**) النفح: 7\116.

الثاء

17

وقال غفر الله له(*): [طويل]

عَنِ الْجَزْعِ أَوْ عَنْ سَاكِنِ الْجَزْعِ حَدِّثِ ... وَبِالأَجْرَعِ الْفَرْدِ الرَّكَايِب لَبِّثِ[1]
وَسَائِلْ عَنِ الْحَيِّ الْحَلاَلِ بِرَامَةٍ[2] ... وَإِنْ كَانَ يُجْدِي عَنْهُمُ الْبَحْثُ فَابْحَثِ
وَسَلِّمْ عَلَى الرَّكْبِ الْمُلِمِّ بِحَاجِرٍ[3] ... وَمَهْمَا أَبَاحَ الْمُكْثَ حَادِيهِ فَامْكُثِ
وَسَقِّ الحِمَى آهاً وَآهاً عَلَى الْحِمَى ... بِصَوْبِ حَياً مِنْ دَمْعِيَ الْمُتَبَعِّثِ
وَعَارِضْ بِأَكْنَافِ الْعَقِيقِ ضَعَائِناً[4] ... عَزَزْتُ قَدِيمَ الْحُبِّ فِيهَا بِمُحْدَثِ
وَزِدْنِي بِأَصْواتِ الحُدَاةِ صَبَابَةً ... وَدَعْ عَنْكَ لحني كُلَّ مَثْنَى وَمَثْلَثِ
وَبُحْ بِأَحَادِيثِ الْهَوَى لأحِبَّةٍ ... نَأَوْا وَأَحَادِيثُ الْجَوَى كلُّها ابْثُثِ
وَلاَ تَحْثِثِ[5] الْكَأْسَ الدِّهَاقَ بِخَمْرَةٍ ... وَكَأْساً دِهَاقاً بِالْهَوَى الْمُسْكِرِ احْثُثِ
وَإِنْ شِئْتَ إِحْيَاءَ النُّفُوسِ فَحَيِّهَا ... بِعَرْفِ صَبَا نَجْدٍ وَآرَاجِهَا ابْعَثِ[6]

(*) المزاين: 4 ب.
(1) في الأصل: ليث، وهو تصحيف، إذ المراد تلبيث الركائب بتلك المواضع الحجازية، أي طلب وقوفها عليها.
(2) رامة: اسم موضع بالبادية. (اللسان: روم).
(3) حاجر: منزل من منازل الحاج في البادية، كثر تردده في أشعار المغاربة والأندلسيين. (اللسان: حجر).
(4) العقيق: اسم وادٍ بظاهر المدينة المشرفة، كثُر ذكره في الحجازيات (انظر: طراز الحلة: 214).
(5) لا تحثث: لا تعجل أو لا تسرع.
(6) نجد: منطقة بين الحجاز والعراق عرفت بطيب هوائها وتربتها وحسن نباتها فأكثر الشعراء من القول فيها، وهي من أبرز المعالم الحجازية التي يتردد ذكرها في المدائح والمولديات والحجازيات بعامة. (انظر اللسان والوسيط: نجد).

وَدَعْ عَنْكَ تَأْرِيثاً لِنَارِ خِيَامِهِمْ ... وَنار الأَسَى فِي أَضْلُعِ الْحُبِّ أَرِّثِ[1]
وَيَا بِأَبِي مِنْ آلِ كَعْبٍ كَوَاعِبٌ ... مَتَى شِئْنَ إِحْدَاثاً لِوَجْدِيَ يَحْدُثِ
ظِبَاءٌ[2] حَمَتْهُنَّ السُّيوفُ عَوَابِثاً ... وَمَا هِيَ مِنْ أَلْحَاظِهِنَّ بِأَعْبَثِ
وَإِنَّ لإِحْدَاهُنَّ عِنْدِيَ فِي الْهَوَى ... مَزَايَا مَتَى تَسْتَلْبِثِ الْوَجْدَ يَلْبَثِ
وَأُقْسِمُ مَا أَبْقَيْتُ فِي الْحُبِّ غَايَةً ... فَهَلْ بَيْنَ أَهْلِ الْحُبِّ لِي مِنْ مُحَنِّثِ
وَصَبٌّ رَمَتْ مِنْهُ الْمُدَامُ[3] بِوَالِهٍ ... سَكُوبِ عَزُوبِ الدَّمْعِ أَغْبَرَ أَشْعَثِ
يُحَدِّثُ نَفْساً بِالتَّلاقِي وَإِنَّمَا ... يَسُومُ عَنَاءً نَفْسَهُ بِالتَّحَدُّثِ
وَدُونَ الْحِمَى حَرْبٌ بِسَيْفٍ مُذَكَّرٍ ... وَأُخْرَى هِيَ الأَدْهَى بِلَحْظٍ مُؤَنَّثِ
وَتَغْرُوهُ[4] بِالْبَرْق الْيَمَانِيِّ لَوْعَةٌ ... لَهَا مَبْعثٌ مِنْ جَوْلَةٍ بَعْدَ مَبْعَثِ
وَيَا رُبَّ دَارٍ أَقْفَرَتْ بَعْدَ جِيرَةٍ ... لَهُمْ مَلْبَثٌ بِالْمُنْحَنَى أَيَّ مَلْبَثِ
أَرَاهُمْ بِعَيْنِ الْفِكْرِ وَالْجِسْمُ نَازِحٌ ... وَلِلْقَلْبِ مِنْ بَلْوَاهُ أَيُّ تَبَعُّثِ
وَقَدْ نَكَثُو عَهْدِي بِنَجْدٍ وَأَخْفَرُوا ... فَيَا صَبْرُ أَخْفِرْ بَعْدَ عَهْدِكَ وَانْكُثِ
كَمَا أَخْفَرَتْ عَهْدَ الدُّرُوعِ قَوَاضِبٌ ... بِيُمْنَى ابْنِ نَصْرٍ فَوْقَ كُلِّ مُثَلَّثِ
إِمَامُ الْهُدَى الْمَشْهُورُ بِالْبَأْسِ وَالنَّدَا ... وَأَكْرَمُ مُؤوٍ لِلطَّرِيدِ الْمُعَوَّثِ[5]
وَحَامِي حِمَى الإِسْلاَمِ وَالْخَيْلُ تَلْتَقِي ... بِمُخْتَلِيَاتٍ لِلْجَمَاجِمِ فُرَّثِ
وَسُمْرٍ طِوَالٍ رُعَّفٍ عَنْ دَمِ الْعِدَى ... عَوَابِثَ فِي أَهْلِ الضَّلاَلَةِ عُيَّثِ
هُمَامٌ لَهُ رَتْقٌ لِمَا فَتَقَ الرَّدَى ... وَنَدْبٌ لَهُ لَمٌّ لأَيِّ تَشَعُّثِ

(1) أرث: أجّج النار وأشعلها وأوقدها.
(2) في الأصل: ضباء.
(3) في الأصل: المدامى أو الموامي، وقد كتبها الناسخ في النص والحاشية على ذلك النحو.
(4) في الأصل: تعزوه.
(5) المعوث: المتحير.

وَمَا غَائِصٌ فِي الْبَحْرِ يَطْلُبُ دُرَّهُ بِأَطْلَبَ مِنْهُ لِلْعُلُومِ وَأَبْحَثِ
لأَمْوَالِهِ فِي النَّاسِ خَيْرُ مُفَرِّقٍ وَلِلْمَجْدِ وَالْعَلْيَاءِ خَيْرُ مُؤَثِّثِ
وَقَدْ سَحَرَتْ أَقْلاَمُهُ فِعْلَ خُرَّدٍ بِبَابِلَ[1] لِي فِي عُقْدَةِ السِّحْرِ نُفَّثِ
مِنَ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ بِمَا لَهُ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى أَجَلّ تَحَثُّثِ
وَقَدْ قَدَحَتْ أَسْيَافُهُ نَارَ فَتْكَةٍ لَهَا بِالضِّرَابِ الْهَبْدِ[2] أَيُّ تَأَرُّثِ
مِنَ الضَّارِبِينَ الْهَامَ تَحتَ عَجَاجِهِ لَهَا بِذُيُولِ الشّهْبِ أَيُّ تَشَبُّثِ
تَطُولُ سُيُوفُ الهِنْدِ مَهْمَا خَطَوْا[3] بِهَا إِلَى كُلِّ قِرْنٍ فِي الْوَغَى مُتَمَكِّثِ
فَوَارِسُ مِنْ أَبْنَاءِ سَامٍ تَطَارَحُوا بِأَبْنَاءِ حَامٍ فِي الحُرُوبِ وَيَافِثِ
وَيَا لَهُمُ بُدْرُ[4] الْوَرَى مِنْ مَلاَوِثٍ بِرُحْبِ[5] النَّوَادِي لِلْعَمَائِمِ لُوَّثِ
يُبَاهِي بَنُو عَدْنَانَ[6] مِنْهُ بِسَيِّدٍ طَوِيلِ نِجَادِ السَّيْفِ أَبْلَجَ أَدْمَثِ
وَيَفْخَرُ مِنْهُ آلُ سَعْدٍ بِمِدْرَةٍ كَرِيمِ الثَّنَا سَامِي الذُّؤَابَةِ مِلْوَثِ[7]
مِنَ الْخَزْرَجِيِّينَ الَّذِين سُيُوفُهُمْ تُدَافِعُ عَنْ دِينِ الهُدَى كُلَّ مُكرِثِ

(1) بابل: بلد قديم في العراق اشتهر بكثرة السحر، وفيه الملكان هاروت وماروت اللذان يعلمان السحر. (البقرة: 102). وقال في معجم البلدان 2\309: بابل: اسم ناحية منها الكوفة والحلة، ينسب إليها السحر والخمر وكان ينزلها الكلدانيون، ويقال: إن أول من سكنها نوح عليه السلام عقب الطوفان، وهو أول من عمرها.

(2) الهبد: الكسر.

(3) خطوا بها: في الأصل خطوبها. وقرن: في الأصل «قرق».

(4) الأصل: بدر في الورى.

(5) الأصل: بزحث. والملاوث: السادة، ولاث العمامة: لفها.

(6) عدنان: أحد من تقف عندهم أنساب العرب، وإليه ينتسب الحجازيون ويصلون نسبهم بإسماعيل عليه السلام. (تاريخ الطبري: 2\191، وجمهرة أنساب العرب: 8، وأعلام الزركلي). وعدم مناسبته هذا البيت لما قبله تدل على انقطاع في النص، فتأمل.

(7) والمدره: زعيم القوم. والملوث: السيد الشريف. (اللسان: دره، لوث).

هُمُ مَا هُمُ أَنْصَارُ خَيْرِ الْوَرَى الَّذِي لَهُ بِحِرَاءٍ[1] دَامَ أَيُّ تَحَنُّثِ
وَكَالْمُرْتَضَى الفَارُوقِ[2] كُلُّ مُحَدِّثٍ يَرَى الْمُرْتَضَى الفَارُوقَ خَيْرَ مُحَدِّثٍ
وَإِنَّ ابْنَ نَصْرٍ ذَا الْفَخَارِ مُحَمَّداً لأَكْرَمُ سَاطٍ بِالعِدَى مُتَعَبِّثِ
لَهُ أُسْرَةٌ أَكْرِمْ بِهَا خَيْرُ أُسْرَةٍ لِغُرِّ الْمَعَالِي وَالمَفَاخِرِ وُرَّثِ
مَآخِذُهُمْ فِي الْحَرْبِ ذَاتُ تَصَعُّبٍ وَأَخْلاَقُهُمْ فِي السِّلْمِ ذَاتُ تَدَمُّثِ
أَمَوْلاَيَ خُذْهَا بِنْتَ فِكْرٍ بَيَانُهَا تَرَامَى بِبَشَّارِ الْبَيَانِ الْمُرَعَّثِ[3]
فَرُدَّ لَهَا وَجْهَ الْقَبُولِ تَفَضُّلاً وَكُنْ مُصْغِياً عَنْهَا لِكُلِّ مُحَدِّثِ

(1) حراء: غار تعبد فيه الرسول(ص) قبل البعثة، وفيه نزلت أول آيات من القرآن الكريم.

(2) الفاروق: هو عمر بن الخطاب والخليفة الثاني للرسول(ص).

(3) بشار: هو الشاعر العباسي الأعمى بشار بن برد، وكان يلقب بالمرّعث لرعاث كانت له في صغره في أذنه. والرعاث هي الأقراط. (ترجمته في: الأغاني 3\135 والفهرست 59 وتاريخ بغداد 7\112-118 ووفيات الأعيان 156-158 وبروكلمان 1\72 ومقدمة «شعر بشار» للخالديين.

الجيم

18

وقال سامحه الله(*): [كامل]

بُشْرَى كَمَا طَلَعَ الصَّبَاحُ الأَبْلَجُ ... وَأَتَى البِطَاحَ نَسِيمُهَا الْمُتَأَرِّجُ
وَضَّاحَةٌ يَلْتَاحُ مِنْ مِشْكَاتِهَا ... نُورٌ لأَنْوَارِ المَشَاكِي مُبْهِجُ
مَقْبُوسَةٌ مِنْ نَارِ حَيِّ الأُنْسِ لاَ ... مِنْ نَارِ عُرْبٍ بِالْخِيَامِ تُؤَجِّجُ
نَزَلَتْ بِهَا الأَفْرَاحُ فِي نَادِي المُنَى[1] ... وَثَوَتْ فَمَا عَنْهُ لَهُنَّ مُعَرِّجُ
وَبِصَرْحَةِ الآمَالِ حَطَّتْ رَحْلَهَا ... فَبَدَا الطَّرِيقُ لَنَا وَبَانَ الْمَنْهَجُ
جَرَّارَةٌ ذَيْلَ السُّرُورِ بِأَبْطَحِ ... لِحُلُولِهِ رَكْبُ التَّهَانِي مُزْعَجُ
شَفَّافَةٌ كَأْسَاتُهَا عَنْ خَمْرَةٍ ... بِلَطَائِفِ الأَسْرَارِ أَضْحَتْ تُمْزَجُ
وَلَقَدْ يحِقُّ لَهَا الْفَخَارُ بِمَوْلِدِ ... سُرَّتْ بِطَالِعِهِ السَّعِيدِ الْخَزْرَجُ
نَجْمٌ تَزَيَّنَ[2] فِي سَمَاءِ المُلْكِ بَلْ ... بَدْرٌ تَنَقَّلَ وَالكَتَائِبُ أَبْرُجُ
سَارِ بِلَيْلٍ مِنْ عَجَاجٍ فِيهِ مِنْ ... غُرَرِ الجِيَادِ كَوَاكِبٌ تَتَبَلَّجُ
فَرْعٌ تَزَيَّدَ فِي أَرُومَةِ مَفْخَرِ ... طَفِقَتْ بِرُؤْيَتِهَا الدَّرَارِي تَلْهَجُ
شِبْلٌ يُحَاكِي مِنْ أَبِيهِ فِي الْوَغَى ... أَسَداً بِقَرْعِ الْمُرْهَفَاتِ يُهَيَّجُ
وَاعْجَبْ لَهُ بِيَدِ العُلاَ يَاقُوتَة ... لَعَقِيقَةِ بَعْدَ الوِلاَدَةِ تُحْوِجُ
وَالآنَ[3] قَدْ وَعَدَتْ مَخَايِلُهُ الْوَرَى ... بِفَضَائِلِ أَثْوَابُهَا لاَ تَنْهَجُ[4]

(*) المزاين: 5 ب.

(1) الأصل: المنا، ومدُ الألف المقصورة كثير في «المزاين» ولكنه غير مطرد.

(2) الأصل: يشبه رسمها كلمة «تزيل» باللام. ومعنى تزيل: تفرق.

(3) الأصل: ولان.

(4) لا تنهج: لا تبلى.

وَمَكَارِمٍ مَا إنْ تَزَالُ حَدِيثُهَا يُرْوَى وَفِي كُتْبِ الصَّحِيْحِ يُخَرَّجُ
وَإمَارَةٍ تُضْفِي عَلَيْهِ حُلَّةً بِيَدِ الْمَعَارِفِ وَالعُلُومِ تُدَبَّجُ
وَوِرَاثَةٍ لِخُلاَفَةٍ نَضْرِيَّةٍ بِنَفَائِسِ الذِّكْرِ الْجَمِيلِ تُتَوَّجُ
وَلْيَهْنَ أَنْدَلُساً سُعُودٌ لَمْ يَكُنْ إلاَ بِهَا الكُرَبُ الشِّدَادُ تُفَرَّجُ
وَلْيَهْنَ جُرْدَ الخَيْلِ مَوْلِدُ زَاحِفٍ بِالخَيْلِ يَبْهَجُ بِالنِّزَالِ فَيُبْهِجُ
وَلْيَهْنَ بِيضَ الهِنْدِ مَقْدَمُ مُقْدِمٍ بِسُيُوفِهِ أُسْدُ الحُرُوبِ تُهَجْهَجُ[1]
وَلْيَهْنَ سُمْرَ الخَطِّ هَبَّةُ طَاعِنٍ طَعْناً كَمَا خَرَقَ الدَّيَاجِيَ مُدْلِجُ
وَلْيَهْنَ مُحْمَرَّ البُنُودِ كَأَنَّهَا بِدَمِ الأَعَادِي فِي الحُرُوبِ تُضَرَّجُ
أَبَنِي السُّيُوفِ المَشْرَفِيَّةِ وَالقَنَا وَالْخَيْلِ فِي بَحْرِ النَّجِيعِ تَلَجَّجُ
قُولُوا لِمَنْ رَبَّوْهُ قَوْلاً لَيِّناً وَالْحَقُّ أَبْلَجُ وَالمُنَا فِي لَجْلَجُ[2]
لاَ تَكْحَلُوهُ فَلَيْسَ يَكْحَلُ عَيْنَهُ إلاَّ عَجَاجٌ مِنْ حُرُوبٍ مُفْرِجُ
وَتَبَاعَدُوا بِالطِّيبِ عَنْهُ فَطِيبُهُ صَدَأُ الْحَدِيدِ بِعَرْفِهِ يَتَأَرَّجُ
وَضَعُوا قِمَاطاً عَنْهُ إنَ قِمَاطَهُ دِرْعٌ خُطُوطُ الطَّعْنِ فِيهَا تُدْمَجُ
وَمُهُودُهُ صَهَوَاتُ خَيْلٍ تَحْتَهُ أَغْيَالُ آسَادِ الشَّرَى تَتَولَّجُ
وَرُقَاهُ صَوْتُ صَهِيلِهِنَّ بِمَأْزِقٍ نِيرَانُهُ بِيَدِ الرَّدَى تَتَأَجَّجُ
وَلَهُ التَّقَلُّدُ بِالسّيُوفِ تَمَائِمٌ أَبَداً لَهَا عَيْنُ الْحَسُودِ تُحَوِّجُ[3]
وَعَلَى أَبِيهِ وَذَاكَ حَقٌّ وَاجِبٌ شُكْرٌ عَمِيمٌ لِلنُّفُوسِ مُبَهِّجُ
مَلِكُ المُلُوكِ مُحَمَّدٌ وَأَجَلُّ مَنْ رُفِعَتْ لَهُ فَوْقَ المَطَايَا أَحْدُجُ[4]

(1) تهجهج: تزجر لتكف.
(2) اللجلج: التردد في الكلام.
(3) تحوج: تطلب الحاجة بعد الحاجة.
(4) محمد: هو الغني بالله، والقصيدة بمناسبة ولادة أحد أنجاله. والأحدج: جمع حدج وهو الحمل ومركب النساء كالهودج.

وَالـمَـالِـيءُ الأَرْضَ الـفَـضَـاءَ كَـتَـائِـبـاً كَـالْـبَـحْـرِ يَـطْـمُـو وَالـمَـغَـافِـرُ[1] أَمْـوُجُ
مِـنْ آلِ نَـصْـرٍ نَـاصِـرِي الـدِّيـنِ الأُلَـى مَـا مِـنْـهُـمُ إِلاَّ الأَغَـرُّ الأَبْـلَـجُ
صُـيَّـابَـةٌ بِـالـشُّـهْـبِ تُـلْـجَـمُ خَـيْـلُـهُـمْ أَوْ خِـلْـتُ ذَاكَ وَبِـالأَهِـلَّـةِ تُـسْـرَجُ
أَحْـيَـا مَـنَـاقِـبَـهُـمْ وَزَادَ مَـنَـاقِـبـاً لِـسَـمَـائِـهَـا زُهْـرُ الْـكَـوَاكِـبِ تَـعْـرُجُ
فَـيَّـاضُ سُـحْـبِ الْـجُـودِ مَـلْـكٌ عَـدْلُـهُ ظِـلٌّ عَـلَـى كُـلِّ الـرَّعَـايَـا سَـجْـسَـجُ
تَـأْتِـي عَـطَـايَـاهُ وَمِـنْـهَـا خَـيْـرُ مَـا تَـرَكَـتْ مِـنَ الـبِـيضِ الـصَّـوَارِمِ مُـذْحَـجُ[2]
وَأَجَـلُّ مَـا يَـعْـزُو الـجَـدِيـلُ وَشَـدْقَـمٌ وَأَعَـزُّ مَـا يَـنْـمِـي الـوَجِـيـهُ وَأَعْـوَجُ[3]
وَمُـمَـيَّـلُ الأَعْـطَـافِ أَلْـعَـسُ أَشْـنَـبٌ وَمُـحَـيِّـرُ الأَلْـحَـاظِ أَوْطَـفُ أَدْعَـجُ
وَالْـوَشْـيُ مِـمَّـا كَـانَ فِـي صَـنْـعَـاءَ لِـلْـ أَقْـيَـالِ[4] أَوْ أَبْـنَـاءِ تُـبَّـعَ يُـنْـسَـجُ
وَأَخُـو الـعَـلاَءِ لَـمَـا لَـهُ ذُو حَـاجَـةٍ لَـكِـنَّـهُ لِـمَـنَـالِ شُـكْـرٍ أَحْـوَجُ
وَالْـوَفْـرُ يَـحْـسُـنُ عِـنْـدَهُ إِلاَّ إِذَا سِـيـلَ الـنَّـوَالَ فَـإِنَّـهُ قَـدْ يَـسْـمُـجُ
خُـذْهَـا إِلَـيْـكَ قَـصِـيـدَةً قَـدْ أُودِعَـتْ مَـدْحـاً بِـقَـلْـبِـي قَـبْـلَ كُـتْـبِـي يُـدْرَجُ

---

(1) المغافر: الزرود.

(2) مذحج: هو أبو قبيلة من اليمن من نسل كهلان بن سبأ، وقيل مذحج: مالك وطيء. سميا بذلك لأن أمهما لم تتزوج بعد أبيهما أحد. يقال: أذحجت المرأة أي أقامت على ولدها ولم تتزوج بعد موت أبيه. وإلى مذحج ينتمي الأنصار، وإلى الأنصار ينتمي بنو نصر الغرناطيون آل الممدوح. (انظر اللسان: (ذحج)، واللمحة البدرية: 33، والإحاطة 2\13).

(3) الجديل وشدقم: فحلان من الإبل كانا للنعمان بن المنذر. والوجيه وأعوج: من الفحول التي تنسب إليها كرام الخيول العربية وفيها يقول الشاعر:
بـنـاتُ الـغُـرابِ والـوجِـيـهِ ولاحـقٍ وأعـوجَ تَـنْـمِـي نِـسْـبَـةَ الْـمُـتَـنـسِّـبِ
(اللسان: وجه).

(4) الأقيال: هم سلاطين اليمن. وورد في حاشية المخطوط: «هم السلاطين: بإطلاق. وأبناء تبع: ملوك اليمن. قيل سموا بذلك لأن بعضهم يتبع بعضاً كلما هلك واحد قام آخر له على مثل سيرته. (اللسان: تبع).

وَوَدِدْتُ لَـوْ أَنِّـي أَجَـدْتُ مَـعَـاقِـيـاً[1] مِـنْ بَـحْـرِ فِـكْـرِي دُرُّهَـا مُـسْـتَـخْـرَجُ
لَـكِـنْ بَـدَا عَـجْـزِي فَـقُـلْـتُ مُـضَـمِّـنـاً بَـيْـتَـيْـنِ، لِـلـتَّـضْـمِـيـنِ كُـلٌّ مُـحْـوَجُ
(يَـهْـنِـيـكَ بِـالْـوَلَـدِ الـتَّـقِـيِّ وَلَـيْـسَ فِـي شَـبَـهِ الـتَّـقِـيِّ لِـوَالِـدَيْـهِ تَـحَـرُّجُ
إِنَّ الـمُـقَـدِّمَـتَـيْـنِ مَـهْـمَـا كَـانَـتَـا صِـدْقـاً فَـمِـثْـلُـهُـمَـا الـنَّـتِـيـجَـةُ تَـخْـرُجُ)

19

«وقال أيضاً(*): [طويل]

وَقَالُوا عَلاَ لِلْخَمْرِ فِي الْكَأْسِ إِذْ بَدَتْ بَـيَـاضُ حُـبَـابٍ صِـيـغَ دُرّاً لِـتَـاجِـهَـا
فَقُلْتُ لَهُمْ: لاَ بَلْ هُوَ الشَّيْبُ قَدْ عَلاَ عَـجُـوزاً لَـدَيْـنَـا اشْـتَـدَّ بَـرْدُ مِـزَاجِـهَـا»

20

«ثم أنشد بعد ذلك(**): [كامل]

وَافَـتْـكَ بِـالْـخَـيْـرِ الْـمُـطِـيـبِ الْـمُـبْـهِـجِ بُـشْـرَى كَـإِقْـبَـالِ الـصَّـبَـاحِ الأَبْـلَـجِ
رَدَّتْ بِـهَـا الـدُّنْـيَـا نَـضَـارَةَ حُـسْـنِـهَـا وَغَـدَتْ تُـفَـتِّـحُ كُـلَّ بَـابٍ مُـرْتَـجِ
الـلَّـهُ أَكْـبَـرُ هَـذِهِ الـبُـشْـرَى الَّـتِـي أَهْـدَتْـكَ كُـلَّ مُـفَـرِّحٍ وَمُـفَـرِّجِ
خَـابَ الـبُـغَـاةُ الـغَـادِرُونَ وَقَـدْ أَتَـى رَأْسُ الـشَّـقِـيِّ الـخَـائِـنِ الْـمُـسْـتَـدْرَجِ
وَأَتَـتْ رُؤُوسُ الـقَـائِـمِـيـنَ بِـأَمْـرِهِ تَـشْـكُـو لِـحَـرِّ الـشَّـمْـسِ أَيَّ تَـوَهُّـجِ
فَـقَـدَتْ قَـوِيـمَ جُـسُـومِـهَـا ثُـمَّ انْـثَـنَـتْ وَجُـسُـومُـهَـا مِـنْ كُـلِّ رُمْـحٍ أَعْـوَجِ

---

(1) معاقياً: المنقى في كلامه استوفاه ولم يقصد، وكذا الأخذ في شعب الكلام. (اللسان: عقا).

(*) الكتيبة الكامنة: 267.

(**) نفاضة الجراب (مخطوطة خ. ع، ص. 83-88، والنص المحقق: 3\128) وهي من القصائد التي قيلت بمناسبة عودة الغني بالله إلى غرناطة بعد خلعه واستقراره في المغرب حيناً، وفيها إشارة إلى خصوم ابن الأحمر، الذين لجؤوا إلى ملك النصارى فغدر بهم وأرسل رؤوسهم إلى غرناطة. (أنظر: النفاضة: 3\115-125، والعبر: 7\363).

حَتَّى إذَا بَلَغَتْ إِلَى السُّورِ الَّذِي   طَلَعَتْ بِهِ فِي جُنْحِ لَيْلٍ مُدَّجِ
نُصِبَتْ بِهِ مسْوَدَّةً عِبَراً لِمَنْ   قَدْ جَاءَ مُعْتَبِراً هُنَاكَ وَمَنْ يَجِي
وَكَأَنَّهَا قِطَعٌ مِنَ اللَّيْلِ الَّذِي   غَدَرُوا بِهِ الْحَمْرَاءَ بَعْدَ تَلَجْلُجِ
مَا ثَمَّ إلاَّ اللَّهُ قَاهِرُ مَنْ بَغَى   وَمُفَرِّجُ الكُرُبَاتِ لِلْقَلْبِ الشَّجِي
هَذِي عِنَايَةُ رَبِّنَا بِمَعَاشِرِ   أَفْضَالُهُمْ لِسُؤَالِهِمْ لَمْ تُحوِجِ
خَرَجُوا عَنِ الأَوْطَانِ قَبْلُ وَحُبُّهُمْ   عَنْ كُلِّ قَلْبٍ عِنْدَهَا لَمْ يَخْرُجِ
وَلَقَدْ رَأَيْتُ وَمَا رَأَيْتُ كَخَابِطٍ   فِي البِيد يَطْوِيهَا كَطَيِّ المدْرَجِ
مُتَطَلِّعٍ مِنْ كُلِّ نَجْدٍ قَاذِفٍ   تُرْبَ العِرَاقِ عَلَى أَبَاطِحِ مَنْبِجِ[1]
أَدَّى البِشَارَةَ وَهْيَ خَيْرُ بِشَارَةٍ   آلَتْ شَدَائِدُ دَهْرِهِمْ لِتَفَرُّجِ
قَدِمَ الْجَمِيعُ وَكَانَ يَوْمُ قُدُومِهِمْ   لاَيَرْتَجِيهِ كَمَا رَآهُ الْمُرْتَجِي
فَالزَّهْرُ بَيْنَ مُفَضَّضٍ وَمُذَهَّبٍ   وَالرَّوْضُ بَيْنَ مُوَشَّحٍ وَمدَبَّجِ
وَالْقُضْبُ تَرْقُصُ وَالْغَدِيرُ مُصفِّقٌ   وَالْوُرْقُ قَدْ غَنَّتْ وَلَمْ تَتَلَجْلَجِ[2]
وَالرِّيحُ قَدْ فَهِمَتْ حَدِيثَ قُدُومِهِمْ   فَحَبَتْ بِكُلِّ مُعطَّرٍ وَمُؤَرَّجِ
وَالأَرْضُ هِذِي الأَرْض تَبْسُطُ خَدَّهَا   لِلضَّارِبِينَ قِبَابَهُمْ بِالْمَدْرَجِ
أَهْلاً بِمَلْكِ مِنْ مُلُوكِ سَادَةٍ   بِسِوَاهُمُ صَدْرُ العُلَى لَمْ يُثْلَجِ
يَغْفُونَ إِنْ قَدَرُوا وَيُولُونَ الرِّضَى   وَيَقِلُّ عِنْدَهُمُ الْكَثِيرُ لِمُلْتَجِ
فَهُمُ الْغُيُوثُ إذَا الْمُحُولُ تَوَاتَرَتْ   وَهُمُ اللُّيُوثُ غَدَاةَ يَوْمِ تَوَلُّجِ

(1) منبج: موضع، ذكر بعضهم أنها بلد أول من بناها كسرى عندما غلب على الشام (معجم البلدان 205\5).

(2) أخذ الكثير من صور وعبارات الطبيعة من لامية ابن خاتمة (ديوانه ص. 22)، ومن ذلك قوله:
الأرضُ بينَ مدبَّجٍ ومجلَّلِ   والروضُ بينَ متوَّجٍ ومكلَّلِ
فالطيرُ تشدُو والغديرُ مصفقٌ   والقضبُ ترقصُ والأزاهرُ تنجلِي

أَلْمُوقِدُونَ النَّارَ فَوْقَ شَوَاهِقٍ كَادَتْ تَذُوبُ بِجَاحِمٍ مُتَأَجِّجِ
(وَالضَّارِبُو) طُولَ الكُمَاةِ بِمَأْزِقٍ[1] إِنْ يُدْعَ لِلْمَوْتِ الزُّؤَامِ يُعَرِّجِ
(وَالطَّاعِنُو) كُلَّ الفَوَارِسِ فِي الْوَغَى بِشَبِيهِ أَرْشِيَةٍ يَلُوحُ بِمُدْلِجِ
مَرِجَتْ عُهُودُ الدِّرْعِ يَوْمَ ضِرَابِهِمْ وَعُهُودُ فَتْكِ سُيُوفِهِمْ لَمْ تَمْرَجِ
مِنْ ضِئْضِىءِ الْمَجْدِ [الذي][2] طُلاَّبُهُ دَرَجُوا، وَطِيبُ ثَنَائِهِمْ لَمْ يُدْرَجِ
فِي سِرِّ قَحْطَانٍ[3] قَدِ اتَّسَقَتْ لَهُمْ سَرَوَاتُ أَرْحَامٍ كِرَامٍ وُشَّجِ
شَرَفٌ إِذَا كَأْسُ المَعَارِفِ شَعْشَعَتْ فَبِغَيْرِ طِيبِ حَدِيثِهِمْ لَمْ تُمْزَجِ
مِنْ عِلْيَةِ الأَنْصَارِ فِي الْبَيْتِ الَّذِي قَدْ شَادَهُ سَعْدٌ كَبِيرُ الْخَزْرَجِ
وَتَلاَهُ قَيْسٌ وَهْوَ أَكْبَرُ مَاجِدٍ نَدْبٍ بِغَيْرِ فَضَائِلٍ لَمْ يَلْهَجِ
قَيْسُ بَنُ سَعْدٍ ذُو الجَلاَلَةِ وَالعُلَى وَالْحَمْدِ بَاسْمٍ بِالشَّذَا المَتَأَرِّجِ
وَلَقَدْ نَمَى نَصْراً مُحَيّا كَاسْمِهِ فَالْحَقُّ لَوْلاَ نَصْرُهُ لَمْ يَعْرُجِ
وَأَتَى الأَئِمَّةُ بَعْدُ[4] مِنْ أَبْنَائِهِ كُلٌّ لَهُ شَرَفٌ كَرِيمُ الْمنْتَجِ
خُلَفَاءُ أُمَّةِ أَحْمَدٍ وَغِيَاثُهُمْ إِذْ لاَ مُغِيثَ غَدَاةَ خَطْبٍ قَدْ يَجِي
هُمْ كَالنُّجُومِ[5] بَدَتْ لَنَا وَمُحَمَّدٌ شَمْسٌ بِأُفْقِ عُلاَهُمُ الْمُتَبَرِّجِ
مَلِكُ المُلُوكِ وَخَيْرُ مَنْ قَهَرَ العِدَى مِنْهُمْ وَأَكْرَمُ مُلْجِمٍ أَوْ مُسْرِجِ

(1) في النص المحقق: بمارق.
(2) في الأصل: «الذين»، وفي هذا النص، برغم وضوحه، أخطاء جرأتني على هذا التغيير كإثبات النون في «الضاربون» و«الطاعنون» في البيتين قبله.
(3) قحطان: هو أبو العرب اليمانية التي تنتمي إليها أسرة بني نصر الغرناطيين، ولذلك يُكثر الشعراء من ذكره في مدائحهم، وسنرى أن الشاعر يركز على نسبتهم إلى قيس بن سعد بن عبادة، الذي أُلِّفت تصانيف في عود نسبتهم إليه. (اللمحة البدرية: 33).
(4) سقت «بعد» من النفاضة المحققة.
(5) في النفاضة: كالنجوم.

يَـا رَاكِـبـاً يَـطْـوِي الـفَـلاَةَ بِـجَـسْـرَةٍ كَـالْـقَـدْحِ تُـبْـصِـرُهُ بِـكَـفٍّ مُـعْـوَجِ
مِنْ نَـسْـلِ شَـدْقَـمَ لاَ تَـمَـلُّ مِنَ الـسُّرَى أَوْ تَـصْـدَعُ الـبَـيْـدَاءَ صَـدْعَ الـدُّمْـلُـجِ
تَـشْـدُوا إذَا جَـنَّ الـدُّجَـى بِـقَـصَـائِـدِ [الأَدَبِ الّتِي][1] فِي حِفْظِهَا لَمْ تُحْوِجِ
اقْـصِـدْ بَـأَنْـدَلُـسٍ أَعَـزَّ خَـلِـيـفَـةٍ فِـي عَـصْـرِهِ وَأجَـلَّ مَـلْـكٍ قَـدْ رُجِـي
وَاخْـصُـصْ بِـمَـا نَـظَّـمْـتُ مَـوْلـىً مُـنْـعِـمـاً لِـسِـوَى عُـلاَهُ الـنَّـظْـمُ لَـمْ يُـتَـحَـوَّجِ
أَضْـحَـتْ مَـدَائِـحُـنَـا خَـدَاجـاً كُـلُّـهَـا فَـإِذَا خَـصَـصْـنَـاهَـا بِـهِ لَـمْ تُـخْـدَجِ
مَا الأَرْضُ فِي الزَّمَنِ الْجَدِيبِ إِلَى الحَيَا مِـنَّـا إِلَـى جَـدْوَى يَـدَيْـهِ بِـأَحْـوَجِ[2]
يَـامَـنْ يُـفَـاخِـرُهُ وَرَاءَكَ لَـيْـسَ ذَا يَـوْماً بِعُشِّكِ فِي المَفَاخِرِ فَادْرُجِي
مَـلِـكٌ لَـهُ خَـضَـعَـتْ تَـبَـابِـعُ حِـمْـيَـرٍ وَبَـنُـو الأَعَـاظِـمِ مِـنْ قَـبَـائِـلِ مَـذْحِـجِ
لَـوْ كَـانَ عِـنْـدَ الْـبَـدْرِ بَـعْـضُ جَـمَـالِـهِ عِـنْـدَ اشْـتِـدَادِ الـرِّيـحِ لَـمْ يَـتَـمَـوَّجِ[3]
أَوْ جَـازَتِ الـظَّـلْـمَـاءُ نُـورَ جَـبِـيـنِـهِ لَـمْ تَـبْـغِ صَـدْعَ صَـبَـاحِـهَـا الْـمُـتَـبَـلِّـجِ
أَغْـنَـاهُ شُـرْبُ دَمِ الـعِـدَى، وِلِـوَاؤُهُ عَـنْ مَـوْرِدٍ عَـذْبٍ وَظِـلٍّ سَـجْـسَـجِ[4]
لِـلَّـهِ فِـي يَـوْمِ الـحُـرُوبِ مُـحَـمَّـدٌ وَالأَرْضُ تُـشْـرِقُ بِـالـقَـنَـا الْـمُـتَـوَشِّـجِ
وَالْـخَـيْـلُ تَـزْحَـفُ بِـالـكُـمَـاةِ كَـأَنَّـهَـا بَـحْـرٌ وَبِـيـضُ الْـهِـنْـدِ طَـامِـي الأَمْـوُجِ[5]
مِنْ أَشْـهَـبٍ كَـالـطِّـرْسِ لاَحَ الـطَّـعْـنُ فِي لَـبَّـاتِـهِ كَـسُـطُـورِ خَـطٍّ مُـدْمَـجِ
أَوْ أَشْـقَـرٍ كَـالْـبَـرْقِ أَوْمَـضَ فِـي دُجَـى نَـقْـعٍ بِـكَـرَّاتِ الـخُـيُـولِ مُـهَـيَّـجِ

---

(1) في المخطوطة والنص المحقق: الأداة، وفي التصويب تجن على الأصل ولكن فيه سلامة الوزن وعدم زيادة المعنى.

(2) مَثلٌ تقدمت الإشارة إلى مصدره.

(3) البيت في مختارات ابن عزيم: 28، مع تغيير طفيف.

(4) البيت في مختارات ابن عزيم: 28، وفيه: «ذوب» موضع «شرب».

(5) هذا البيت والخمسة بعده في: مختارات ابن عزيم: 56.

أَوْ أَحْـمَـرٍ عَـرِقَـتْ نَـوَاصِـعُ نَـحْـرِهِ   فَغَدَتْ كَمِثْلِ الْخَمْرِ مَهْمَا تُمْزَجِ
أَوْ أَصْـفَـرٍ لَـبِـسَ الأَصِـيـلَ وَعَـرْفُـهُ   كَاللَّيْلِ فَاضَ عَلَى الأَصِيلِ الْمُبْهِجِ
أَوْ أَدْهَـمٍ كَـسَـوَادِ عَـيْـنٍ فُـتِّـحَـتْ   وَحُجُولُهُ كَبَيَاضِهَا الْمُتَمَزِّجِ[1]
أَوْ أَشْـعَـلٍ كَـضِـرَامِ نَـارٍ إِنْ يَـطُـلْ   فِي الْحَرْبِ هَائِلُ نَفْخِهِ يِتَأَجَّجِ
مِـنْ خَـيْـرِ إِنْـتَـاجِ الـوَجِـيـهِ وَلاَحِـقٍ   قُبُّ الأَيَاطِلِ، مِثْلُهَا لَمْ يُنْتَجِ
تَـنْـقَـضُّ عُـقْـبَـانـاً وَفَـوْقَ ظُـهُـورِهَـا   أُسْدٌ مَتَى دُعِيَتْ نَزَالِ تُهَيَّجِ
أَقْـسَـمْـتُ مَـا حَـسْـنَـاءُ طُـرَّةُ دُمْـيَـةٍ   تَرْنُو إِلَيْكَ بِطَرْفِ أَحْوَرَ أَدْعَجِ
مِـنْ عَـفْـرِ آرَامِ الْـكِـنَـاسِ بِـوَجْـرَةٍ   مُنِيَتْ بِأَيِّ مُجَلّي وَمُهَجْهِجِ[2]
مَـضْـعُـوفَـةٌ مَـجْـرَى الـوِشَـاحِ تَـخَـالُـهَـا   بَدْراً عَلَى غُصْنٍ بِدِعْصٍ رَجْرَجِ[3]
مَـعْـشُـوْقَـةُ الـلَّـحَـظَـاتِ طَـيِّـبَـةُ الـشَّـذَا   تَفْتَرُّ عَنْ أَلْمَى أَغَرَّ مُفَلَّجِ
كَـأَقَـاحَـةٍ سُـقِـيَـتْ بِـمَـاءِ غَـمَـامَـةٍ   فِي رَوْضَةٍ بِالزَّهْرِ ذَاتِ تَأَرُّجِ
يَـوْمـاً بِـأَشْـهَـى عِـنْـدَهُ مِـنْ مَـشْـهَـدٍ   بِسِوَى الْحُسَامِ بِكَفِّهِ لَمْ يُفْرَجِ
وَلَـقَـدْ حَـلَـفْـتُ بِـرَبِّ مَـكَّـةَ وَالأُلَـى   بِسِوَى مَوَاقِفِ قَوْمِهِم لَمْ يحْجِجِ
مَـا الـزَّهْـرُ مُـمْـتَـسَـكـاً بِـأَذْيَـالِ الـصَّـبَـا   فِي إِثْرِ وَبْلٍ لِلْبِطَاحِ مُدَبِّجِ
أَوْفَـى لَـدَيْـهِ مَـحَـاسِـنـاً مِـنْ رَايَـةٍ   مِنْ فَوْقِ رُمْحٍ بِالدِّمَاءِ مُضَرَّجِ
شَـهْـمٌ أَخُـو حَـزْمٍ سَـلِـيـمٌ رَأْيُـهُ   لَمْ تَرْمِ كَفُّ النَّقْدِ مِنْهُ بِبَهْرَجِ
لَـوْ كُـنْـتَ تَـشْـهَـدُهُ أَمَـامَ بِـلادِهِ   أَيَّامَ لَمْ تَمْنَحْهُ وَشْكَ تَوَلُّجِ
وَإِذْ[4] الْـمَـنَـايَـا تَـلْـتَـظِـي بِـجِـهَـاتِـهَـا   كَالنَّارِ تُشْعَلُ فِي الغَضَا وَالْعَرْفَجِ

---

(1) في المختارات: المتموج.

(2) هجهج الفحل: شدد هديره. ويقال: ظليم هجاهج وهجهاج.

(3) الدعص: قطعة من الرمل مستديرة، والرجرج: المهتز المضطرب.

(4) في الأصل: وإذا، والعرفج في قافية البيت هو: شجر سهلي سريع الانقياد، طيب الريح وله زهرة صفراء، وليس له حب ولا شوك له ثمرة صفراء وتأكله الأنعام رطباً ويابساً. (انظر

لَـرَأَيْـتَ لَـيْـثـاً وَالْـفَـوَارِسُ دُونَـهُ   مُـنْـقَـضَّـةٌ مِـثْـلَ الـنَّـعَـامِ الـهُـدَّجِ
حَـتَّـى إذا ظَـفِـرَتْ يَـدَاهُ بِـفَـتْـحِـهـا   وغَـدَتْ نُفُوسُ الخَلْقِ ذاتَ تَحَشْرُجِ
وَأَذَلَّ صَـائِـلَ فِـتْـنَـةٍ خَـبَـطَـتْ إِلَـى   أَعْـطَـانِـهَـا خَـبْـطَ الْـبَـعِـيـرِ الأعْـرَجِ
وَأَتَـى إِلَـى غَـرْنَـاطَـةٍ فِـي طَـالِـعِ   لِـلـسَّـعْـدِ هَـادٍ نَـحْـوَ أَكْـرَمِ مَـنْـهَـجِ
قِـيـدَتْ لَـهُ مِـثْـلَ الْـعَـرُوسِ وَإِنَّـهَـا   بِـسِـوَى نُـجُـومِ الأُفْـقِ لَـمْ تَـتَـمَـوَّجِ
أَضْـفَـى عَـلَـى أَعْـطَـافِـهَـا حُـلَـلَ الـرِّضَـى   فَهَفَتْ إِلَى ذِكْرَى الحَبِيبِ لَهَا الشَّجِي
وَحَـوَى بِـهَـا الـمُـلْـكَ الَّـذِي هُـوَ أَهْـلُـهُ   وَبِـكُـلِّ مَـدْحٍ يُـرْتَـضَـى قَـمِـنٌ حَـجِ
وَتَـزَيَّـنَـتْ مِـنْ وَجْـهِـهِ آفَـاقُـهَـا   بِـأَجَـلَّ مِـنْ قَـمَـرِ الـسَّـمَـاءِ وَأَبْـهَـجِ
فَـاسْـمَـعْ مُـحَـمَّـدُ حَـمْـدَهَـا فَـقِـيَـاسُـهُ   لِـسِـوَى مَـقَـامِـكَ شَـكْـلُـهُ لَـمْ يُـنْـتَـجِ
وَإِلَـيْـكَـهَـا مِـنِّـي مَـدَائِـحَ أَنْـهَـجَـتْ   بُـرْدَ الـزَّمَـانِ وَبُـرْدُهَـا لَـمْ يُـنْـهَـجِ
وَلَـوَ أَنَّـنِـي أُعْـطِـيـتُ كُـلَّ بَـلِـيـغَـةٍ   وَبِـكُـلِّ مَـا يَـهْـوَى الْـبَـيَـانُ إِلَـيَّ جِـي
لأَتَـيْـتُ بِـالـتَّـقْـصِـيـرِ مُـعْـتَـرِفـاً وَلَـمْ   أَبْسُطْ سِوَى كَفِّ الفَقِيرِ الْمُحْوجِ
فَـاشْـرُفْ وَسُـدْ وَاسْـعَـدْ وَعِـزَّ وَجُـدْ وَصِـلْ   وَالْتَذَّ وَاصْعَدْ وَاسْمُ وَانْعَم [وابْهَجِ][1]
وَالـلَّـهُ يَـمْـنَـحُـكَ الأَمَـانِـيَ كُـلَّـهَـا   مَـا احْـتَـلَّ بَـدْرٌ فِـي ثَـوَانِـي الأَبْـرُجِ

21

وله مضمناً، وقد تذكر حمراء غرناطة، وبابها الأحفل، المعروف بباب الفرج[*]: [متقارب]

أَقُـولُ وَحُـمَـرَاءُ غَـرْنَـاطَـةٍ   تَـشُـوقُ الـنُّـفُـوسَ وَتُـسْـبِـي الـمُـهَـجْ
أَلاَ لَـيْـتَ شِـعْـرِي وَطُـولُ الـسُّـرَى   أَرَتْـنَـا الـوَجَـى وَاشْـتَـكَـتْ فِـي الـعَـرَجْ

الإفصاح، في فقه اللغة، لحسن الصعيدي 2\1116 دار الفكر العربي، القاهرة: 1967).

(1) النفاضة: واهج، وهو من التصحيف.

(*) جذوة الاقتباس: 1\92، والإحاطة: 1\348.

وَمَــا لِــيَ فِــي عَــرَجٍ رَغْــبَــةٌ وَلَــكِــنْ لأقْــرَعَ بَــابَ الــفَــرَجْ

22

ومن بديع نظم أبي إسحاق ابن الحاج النميري المذكور قوله(*): [كامل]

يَـا رُبَّ كَـأْسٍ لَـمْ تُـشَـجَّ شَـمُـولُـهَـا فَـاعْـجَـبْ لَـهَـا جِـسْـماً بِـغَـيْـرِ مِـزَاجِ
لَـمَّـا رَأَيْـنَـا الـسِّـحْـرَ مِـنْ أشْـكَـالِـهَـا جُـمَـلاً نَـسَـبْـنَـاهُ إِلَـى الـزَّجَّـاج

23

وقال أيضاً(**): [خفيف]

وَمَــهَــاةٌ تَــقُــولُ إنْ هِــيَ كَــلَّــتْ وَدَعَــا لِــلْــمِــزَاجِ يَــوْمــاً مُــمَــازِجْ
دَاوِ ذَا الــرِّدْفَ إنْ فِــي الأَزْرِ مِــنْــهُ كُـثْـبَ يَـبْـرِيـنَ، يَـا طَـبِـيـبُ وَعَـالِـجْ

24

وقال أيضاً(***): [خفيف]

قِـيـلَ إِنَّ الـكَـمَـامَ يَـنْـفَـحُ مِـسْـكـاً قُـلْـتُ: لاَ تَـعْـجَـبَـنْ وَزِدْ فِـي الْـمَـنَـاهِـجْ
بَـعَـثَ الـغَـيْـثُ لِـلـنَّـوَافِـحِ مِـنْـهَـا نُـقْـطَـةً آخـراً فَـعَـادَتْ نَـوَافِـجْ

(*) النفح: 2\535، ومسالك الأبصار (مخطوطة باريس: 17\215). والإشارة إلى كتاب «الجمل» في النحو للزجاج.

(**) الكتيبة الكامنة: 267.

(***) المصدر نسفه.

الحـاء

25

وقال أيضاً(*): [طويل]

هَـنِـيـئـاً بِـنَـصْـرِ الـلَّـهِ قَـدْ جَـاءَ وَالـفَـتْـحُ وَصَـاحَـبَـكَ الـيُـمْـنُ الـمُـوَاصَـلُ وَالـنُّـجْـحُ
وَوَافَـتْـكَ بُـشْـرَى إِثْـرَ بُـشْـرَى كَـمَـا أَتَـى عَـلَـى أَثَـرِ الـفَـجْـرِ الَّـذِي صَـدَقَ الـصُّـبْـحُ
وَأَبْـدَى لَـكَ الـصُّـنْـعُ الْـجَـمِـيـلُ عَـجَـائِـبـاً فَـعَـزَّ مِـثَـالُ الـوَصْـفِ وَامْـتَـنَـعَ الـشَّـرْحُ
وَلَـمْ أَنْـسَ لاَ أَنْـسَ الـسُّـرَى وَكَـتَـائِـبـاً لِـزَنْـدِ الـمَـنَـايَـا كُـلَّـمَـا زَحَـفَـتْ قَـدْحُ
لَـوَاحِـقَ مِـنْ نَـسْـلِ الـوَجِـيـهِ وَلاَحِـقٍ[1] هِـيَ الـسُّـفْـنُ فِـي بَـحْـرِ الـعَـجَـاجِ لَـهَـا سَـبْـحُ
عَـلَـيْـهَـا مِـنَ الأَبْـطَـالِ كُـلُّ مُـبَـاسِـلٍ[2] عَـلَـى بَـأْسِ لَـيْـثِ الـغَـابِ ضُـمَّ لَـهُ كَـشْـحُ
وَذِي لُـجَـبٍ جَـمِّ الـصَّـوَاهِـلِ أَرْعَـنٍ إِذَا لَـمَـحَـتْـهُ الـشَّـمْـسُ أَعْـجَـزَهَـا الـلَّـمْـحُ
مِـنَ الـتَّـارِكِـيـنَ الأَرْضَ تُـشْـرِقُ بِـالْـقَـنَـا وَسُـحْـبُ الـدَّمِ الـمَـوَّارِ[3] فِـيـهَـا لَـهَـا سَـبْـحُ
رَمَـيْـتَ بِـهِـمْ إِشْـبِـيـلِـيَـهْ وَحُـصُـونَـهَـا فَـثُـلَّـتْ عُـرُوشُ الْـكُـفْـرِ وَاسْـتُـنْـزِلَ الـصَّـرْحُ
وَجَـاؤُوا بِـهَـا مِـلءَ الـفَـضَـاءِ مَـغَـانِـمـاً لِـلَـيْـلِ عَـجَـاجِ الْـخَـيْـلِ مِـنْ فَـوْقِـهَـا جُـنْـحُ
وَصَـبَّـحْـتَ مِـنْ إِطْـرِيـرَةٍ[4] ذَاتَ مَـنْـعَـةٍ بِـهَـا لَـمْ يُـرَجَّ لاَ صَـلاَحٌ وَلاَ صُـلْـحُ
وَدَارَتْ بِـهَـا دَوْرَ الْـوِشَـاحِ جَـحَـافِـلٌ لِـنَـارِ الـمَـنَـايَـا فِـي الـوُجُـوهِ بِـهَـا نَـفْـحُ
مُـعَـوَّدَةٌ طَـعْـنَ الْـفَـوَارِسِ فِـي الْـوَغَـى وَضَـرْبـاً بِـهِ قَـدْ جَـرَّحَ الـدَّارِعَ الـجُـرْحُ

(*) المزاين: 7 أ.

(1) الوجيه ولاحق: من كرام الخيول العربية. تقدمت الإشارة إليهما.

(2) مباسل: باسله أي صاوله في الحرب، فهو مباسل ومصاول.

(3) المور: الاضطراب.

(4) إطريره: مدينة أندلسية غزاها الغني بالله في شعبان سنة 768هـ (1367م). (راجع الظاهرة التوثيقية).

وَحَادَثْتَ بِالْحَرْبِ الزَّبُونِ مَعَاقِلاً   بِأَوْجُهِهَا بِالنَّيْلِ مُذْ حُودِثَتْ نَضْحُ
فَسُرْعَانَ[1] مَا جَرَّتْ عَلَى الأَهْلِ أَهْلِهَا   هَزَائِمَ مَسْرُورٌ بِهَا السَّيْفُ وَالرُّمْحُ
وَمُلِّكَ مِنْ أَسْوَارِهَا كُلُّ شَاهِقٍ   لِمَالِكِهِ حُسْنٌ بَدَا وَلَهَا قُبْحُ
وَجَاسَتْ عَلَى جُرْدٍ خِلاَلَ دِيَارِهَا[2]   كُمَاةٌ لَهُمْ سَعْيٌ زَكَا وَلَهُمْ كَدْحُ
وَأَمْسَتْ كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ وَاغْتَدَتْ[3]   فَلاَ رَبْعُهَا رَبْعٌ وَلاَ سَرْحُهَا سَرْحُ
وَحَاقَ مُسِيءُ الْمَكْرِ فِيهِ بِأَهْلِهِ[4]   فَحَظُّهُمُ الْخُسْرَانُ بِالْمَكْرِ لاَ الرِّبْحُ
وَفِي يَوْمِكَ الثَّانِي زَحَفْتَ لِمَعْقِلٍ   إِلَى النَّطْحِ يَسْمُو أَوْ يُتَاحُ لَهُ نَطْحُ
تَحَصَّنَتِ الْكُفَّارُ فِيهِ وَمَا دَرَوْا   بِفَتْحٍ لأَبْوَابِ السُّعُودِ بِهِ فَتْحُ
وَرَامُوا نَجَاةً مِنْكَ فِيهِ، وَإِنَّمَا   يُتِيحُ نَجَاةَ الْمَرْءِ حِلْمُكَ وَالصَّفْحُ
فَذَاقُوا وَبَالَ الأَمْرِ وَاسْتَشْعَرُوا الَّتِي   تُغَادِرُ[5] صَرْعَى فِي الْبِطَاحِ[6] لَهُمْ بَطْحُ
وَدَارَتْ عَلَيْهِمْ أَكْؤُسُ الْحَتْفِ مُرَّةً   فَمِنْ سُكْرِهَا الصَّاحُونَ فِي الحَرْبِ لاَ تَصْحُ
وَنُبِّئْتُ أَنَّ الرُّومَ جَاءَتْ جُيُوشُهَا   إِلَيْكَ ضُحىً وَالعَادِيَاتُ لَهَا ضَبْحُ[7]
فَآثَرْتَ مَحْضَ الْحَزْمِ بِالْعَزْمِ صَادِقاً   وَأَمْرُكَ جِدٌّ حَيْثُ لاَ يُحْمَدُ الْمَزْحُ
وَوَافَيْتَ مُرْتَاداً مُعَسْكَرَكَ الَّذِي   لِوُرْقِ التَّهَانِي فَوْقَ أَعْلاَمِهِ صَرْحُ
وَبَوَّأْتَ فِيهِ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِداً   لأَيِّ قِتَالٍ آيَةَ الصِّدْقِ لاَ يَمْحُ

(1) في الأصل: فسريحان، وهو تصحيف من الناسخ.
(2) اقتباس من الآية الكريمة: ﴿فَجَاسُوا خِلاَلَ الدِّيَارِ وَكَان وَعْداً مَفْعُولاً﴾. (الإسراء: 5).
(3) اقتباس من قوله تعالى: ﴿... كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ﴾. (يونس: 24).
(4) اقتباس من قوله تعالى: ﴿وَلاَ يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّءُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ﴾ (فاطر: 43). ونجد في النص أمثلة أخرى تدل على كثرة اقتباساته القرآنية.
(5) في الأصل: تغارد.
(6) في الأصل: النطاح.
(7) في الأصل: والغاديات لها صفح، والاقتباس من سورة العاديات واضح.

وَكُـنْـتَ لَـعَـمْـرِي لِـلأَهَـمِّ مُـقَـدِّمـاً فَلاَ طَعْنَ فِي الطَّعْنِ الْمُعَدِّ وَلاَ قَدْحُ
إِلَـى أَنْ كَـفَـى الـلَّـهُ الْـقِـتَـالَ وَأُحْـمِـدَتْ عَـوَاقِبُ لَـمْ يَـغْـفَـلْ مُـرَاعَـاتـهَـا الـنُّـصْـحُ
فَـعُـدْتَ إِلَـى حَـرْبِ الَّـذِيـنَ تَـمَـتَّـعُـوا[1] وَلِـلـسُّـوقِ وَالأَعْـنَـاقِ مَـا بَـيْـنَـهُـمْ مَـسْـحُ
فَـأَنْـزَلْـتَـهُـمْ أَسْرَى عَـلَـى حُـكْـمِـكَ الَّـذِي بِـهِ لِـلـرَّدَى مَـنْـعٌ وَفِـي طَـيِّـهِ مَـنْـحُ
وَسِـيـقُـوا أُلُـوفاً يَـذْكُـرُ الْـحَـشْـرُ عَـرْضَـهُـمْ عَـلَـى نَـارِ حُـزْنٍ لاَ يَـغِـبُّ لَـهَـا لَـفْـحُ
وَكَـفَّـتْ أَكُـفُّ الـسَّـبْـيِ مِـنْـهُـمْ عَـقَـائِـلاً حِـسَـاناً عَـلَـيْـهِـنَّ الْـقَـلاَئِـدُ وَالْـوُشْـحُ
وَأَدْرَكْـتَ ثَـأْرَ الـدِّيـنِ فِـي الْـقَـوْمِ مَـسَّـهُـمْ كَـمَـا مَـسَّ أَسْـرَانَـا بِـغَـدْرِ الـعِـدَى قَـرْحُ
وَوَافَـتْـكَ أَرْسَـالُ الـنَّـصَـارَى خَـوَاضِـعـاً بِـرَوْعِـهِـمُ يَـنْـحُـو الأَسَـى أَيَّـةً تَـنْـحُـو
بِـكُـلِّ كِـتَـابٍ كُـلَّـمَـا خُـطَّ صَـفْـحُـهُ تَـهَـلَّـلَ لِـلـسَّـيْـفِ الـيَـمَـانِـي بِـهِ صَـفْـحُ
وَأَبْـدُوا لَـكَ الإِخْـلاَصَ سَـمْـعـاً وَطَـاعَـةً وَذَاكَ كَـمَـالُ الْـفَـتْـحِ لاَ عُـدِمَ الْـفَـتْـحُ
وَجِـئْـتَ بِـأَسْـرَى ضَـاقَـتِ الأَرْضُ عَـنْـهُـمُ فَـمَـا نَـهَـضَ الْـوَادِي بِـهِـمْ لاَ وَلاَ الـسَّـفْـحُ
وَأَظْـهَـرْتَ عِـزَّ الـدِّيـنِ لَـمَّـا أَجَـزْتَـهُـمْ عَلَى طُرُقٍ رِيعَتْ بِهَا الرِّيحُ وَالضِّحُّ[2]
وَدَوَّخْـتَ أَرْضَ الـرُّومِ مُـخْـتَـمِـلاً لَـهُـمْ عَـلَـيْـهَـا وَلِـلْـحَـرْبِ الـعَـوَانِ بِـهِـمْ لَـقْـحُ
وَلَـوْلاَكَ مَـا رِيـعَـتْ وَذَلَّـتْ جُـمُـوعُـهُـمْ وَلاَ مُـلِـئَـتْ رُعْـبـاً بِـلاَدُهُـمُ الْـفُـسْـحُ
صَـنَـائِـعُ لَـمْ تَـحْـكِ الـتَّـوَارِيـخُ مِـثْـلَـهَـا وَلاَ حَدَّثَتْ عَنْ شِبْهِهَا الأَلْسُنُ الْفُصْحُ
وَلِـلَّـهِ يَـا لِـلَّـهِ مَـقْـدَمُـكَ الَّـذِي لَهُ الطَّائِرُ الْمَيْمُونُ وَالسَّنْحُ لاَ الْبَرْحُ[3]
وَمَـا كُـنْـتَ إِلاَّ الـشَّـمْـسَ وَالـطَّـرْفُ أُفْـقُـهَـا وَنَـقْـعُـكَ سُـحْـبٌ بِـالـدِّمَـاءِ لَـهَـا سَـفْـحُ
وَقَـامَ بِـأَمْـرِ الـلَّـهِ مِـنْـكَ خَـلِـيـفَـةٌ رَفِيعُ عِمَادِ الْفَخْرِ لِلْمُجْتَدِي سَمْحُ

(1) في الأصل: تمتعوا.
(2) الضح: الشمس. ويقال: جاء بالضح والريح أي بما طلعت عليه الشمس وجرت عليه الريح. والمراد: جاء بالشيء الكثير. (وسيط: ضح).
(3) السنح: الطائر يعرض من مياسرك إلى ميامنك فيوليك ميامنه، والعرب يتيمنون به، ويصفونه بالسانح، وعكسه مرور الطائر البارح، وهم يتشاءمون به، ويصفونه بالبارح.

مُـحَـمَّـدٌ الْـمَـحْـمُـودُ ذُو الـشَّـرَفِ الَّـذِي   بِعطْفِ العُلَى مِنْ جُودِ مُحْرِزِهِ رَشْحُ
مِـنَ الْـقَـومِ مَـا بَـيْـنَ الْـخِـيَـامِ تَـخَـالُـهُـمْ   حَيَاءً مِنَ الجَارَاتِ مَرْضَى وَقَدْ صَحُّوا
مِـنَ الْـعَـرَبِ الْـغُـرِّ الْـوُجُـوهِ تُـظِـلُّـهُـمْ   بُنُـودُهُـم لاَ الْـبَـانُ كَـلاَّ وَلاَ الـطَّـلْـحُ[1]
أُولَــئِــكَ أَنْــصَــارُ الــنَّــبِــيِّ تَــزَامَــرُوا   فَـلاَ الْـبُـخْـلُ مِـمَّـا يَـعْـرِفُـونَ وَلاَ الـشُّـحُّ
وَجَـاءَ مِـنَ الـلَّـهِ الْـكِـتَـابُ بِـمَـدْحِـهِـمْ   أَلاَ إِنَّ مَـدْحَ الـلَّـهِ، جَـلَّ، هُـوَ الْـمَـدْحُ
بَـقِـيـتَ، أَمِـيـرَ الـمُـسْـلِـمِـيـنَ، مُـهَـنّـأً   بِـغُـرِّ فُـتُـوحٍ لاَ يَـغِـيـبُ لَـهَـا قَـدْحُ
وَدَامَـتْ لَـكَ الْـبُـشْـرَى وَأُيِّـدْتَ مَـا ذَكَـا   لِعَرْفِ الصَّبَا بِالزَّهْرِ غِبَّ الحَيَا نَفْحُ

26

وقلتُ من قصيدةٍ في الرِّثاء(*): [كامل]

يَـا نَـازِحـاً عَـبَـثَـتْ بِـهِ أَيْـدِي الْـبِـلَـى   بِـالـلَّـهِ مَـا حُـزْنِـي عَـلَـيْـكَ بِـنَـازِحِ
فِـي ذِمَّـةِ الـبُـرَحَـاءِ بَـعْـدَكَ مُـهْـجَـةٌ   تَـهْـفُـو لِـرَنَّـةِ نَـادِبٍ أَوْ نَـائِـحِ
وَتَـكَـادُ تَـذْهَـبُ فِـي مُـرَاقِ مَـدَامِـعِـي   مَهْمَا[2] شَبَبْتَ النَّارَ بَيْنَ[3] جَوَانِحِي
أَسَـفـاً عَـلَـى ذَاكَ الـجَـمَـالِ رُزِيـتُـهُ   رُزْءَ الْـعُـيُـونِ سَـنَـا الـصَّـبَـاحِ الـوَاضِـحِ

27

وقال ملغزا في القلم(*): [طويل]

أُحَـاجِـيـكَ مَـا وَاشٍ يُـرَادُ حَـدِيـثُـهُ   وَيَهْوَى الغَرِيبُ النَّازِحُ الدَّارِ إِفْصَاحَهْ

---

(1) البان: شجر لين سبط القوام يشبه به الحسان في الطول واللين. والطلح: شجرة من شجر العضاة ترعاه الإبل، ويكثر ذكره في الشعر المحافظ على الاتجاه القديم لأنه من نبات البادية.
(*) مذكرات ابن الحاج النميري بتحقيق برمبير: 124-125 و(مخطوطة الاسكوريال: 29 ب).
(2) في الأصل والتحقيق: مهمى.
(3) برمبير: في. والتصحيح عن الأصل.
(*) الكتيبة: 267، والإحاطة: 1\356، وجذوة الاقتباس: 1\93، والنفح: 7\115.

اهُ مَـعَ الأَحْـيَـانِ أَصْـفَـرَ نَـاحِـلاً   كَمِثْلِ مَرِيضٍ[1] وَهْوَ قَدْ لاَزَمَ الرَّاحَهْ

28

وقال في ضاربِ جناح من آلات الطَّرب(*) : [وافر]

ـا مَـنْ رَامَ أَخْـذَ الْـقَـلْـبِ مِـنِّـي   بِـأَوْتَـارِ الْـجَـنَـاحِ بِـلاَ جُـنَـاحِ
ـفَـانِـي حُـسْـنُ وَجْـهِـكَ إِنَّ قَـلْـبِـي   يَـطِـيـرُ بِـهِ إِلَـيْـكَ بِـلاَ جَـنَـاحِ

29

ولابن الحاج المذكور من قصيدة طويلة(**) : [كامل]

لِمَنِ الْخِيَامُ سَطَتْ بِبِيضِ صِفَاحِ   وَارَتْ سَـوَاداً غَـالَ كُـلَّ صَـبَـاحِ
إِنْ مُـزِّقَـتْ رُقِـعَـتْ بِبِيـضِ كَتَـائِـبِ   أَوْ قُـوِّضَـتْ عُـمِـدَتْ بِـسُـمْـرِ رِمَـاحِ

30

ومن شعره قوله(***) : [كامل]

يَـا مَـالِـكِـي بِـصَـبِـيـحِ وَجْـهٍ حُـسْـنُـهُ   أَرْبَـى عَـلَـى فَـلَـقِ الـصَّـبَـاحِ الأَوْضَـحِ
مَـا شَـكَّ قَـلْـبِـي فِـيـكَ أَنَّـكَ مَـالِـكٌ   لَـمَّـا عُـرِفْـتَ وَسَـامَـةً بِـالأَصْـبَـحِ

(1) في النفح : عليل.
(*) الكتيبة : 267-268.
(**) النفح : 7\118.
(***) مسالك الأبصار. نسخة باريس : 17\215.

الخـاء

31

وله أيضاً(*): [طويل]

مَـحَـلُّـكَ فِـي أُفْـقِ الْـخِـلاَفَـةِ شَـامِـخُ ... وَفَـضْـلُـكَ فِـي طِـبْـقِ الإِنَـافَـةِ بَـاذِخُ
وَعَـنْـكَ رَوَى الْـمَـجْـدُ الْـمُـؤَثَّـلُ وَالْـعُـلاَ ... أَحَادِيثَ لَمْ تَقْبَلْ سِوَاهَا الْمَشَايِخُ[1]
وَمِنْ جُودِكَ الْفَيَّاضِ عَمَّتْ سَحَائِبٌ ... نَـوَاضِـحُ فِـي عَـرْضِ الْـبِـلاَدِ نَـوَاضِـخُ
وَأَنْـتَ الَّـذِي أَحْـرَزْتَ عِـزَّ مَـنَـاقِـبِ ... بِـأَبْـطُـحِـهَـا الْـمَـدْحُ الْـمُـرَدَّدُ نَـائِـخُ[2]
وَأَنْتَ الَّذِي حُزْتَ الْفَضَائِلَ كُلَّهَا ... فَمُلْكُكَ فِي كَسْبِ الْفَضَائِلِ رَاسِخُ
وَمَا سَاخَ، حَاشَى أَنْ يَسِيخَ، وَإِنَّمَا ... عَـدُوُّكَ مَـبْـنَـى عِـزِّهِ هُـوَ سَـائِـخُ[3]
وَسَيْفُ ابْنِ نَصْرٍ ذِي الفَخَارِ مُحَمَّدٍ ... لأَرْؤُسِ عُـبَّـادِ الـطَّـوَاغِـيـتِ شَـادِخُ[4]
وَمَـا تَـمَّ أَمْـرُ لِـلأَعَـادِي لأَنَّـهُ ... لامْرِ الأَعَادِي بِالتَّغَلُّبِ مَاسِخُ[5]
وَأَيُّ حُسَامٍ طَوْعِ يُمْنَاكَ مُصْلَتٌ ... بِـهِ كُـلُّ حُـرٍّ[6] فِـي الـمَـآزِقِ بَـائِـخُ
حُسَامٌ لِعَهْدِ الدِّرْعِ فِيهِمْ مُخَفِّرٌ ... وَلِلْعَقْدِ عَقْدِ الدِّرْعِ فِي الحَرْبِ فَاسِخُ

(*) مزاين القصر: 8 أ ـ 9 أ.
(1) الأصل: أحادث.
(2) نائخ: مقيم.
(3) ساخ: غاص في الأرض.
(4) محمد بن نصر، هو الغني بالله. وشادخ: أي كاسر ومهشم، فالشدخ هو كسر الشيء الأجوف كالرأس ونحو (اللسان: شدخ). وفي الأصل: شاذخ ـ بالذال المعجمة ـ وهو تصحيف.
(5) في الأصل: ماشخ، وأحسبه من التصحيف لعدم وجود هذه المادة في «لسان العرب». أما المسخ فهو تحويل صورة إلى صورة أقبح منها. فهو يحول أمرهم بالهزيمة إلى مثل تلك الحالة.
(6) في الأصل: كلمة غير واضحة رسمت على هيئة (حمى). وبالرجوع إلى معاني «بائخ» التي جاءت بعدها وجدت أنها تعني سكون الفورة والغضب، وتستخدم مع الحرب والحمى والنار وكلها مؤنثة، كما تستخدم مع الرجل والحُرّ، وأنسبها للرسم كلمة «الحر» أو «الحي».

هُوَ النَّاصِرُ الْمَنْصُورُ أَكْرَمُ مُصْرِخٍ إِذَا مَا أَتَاهُ يَبْتَغِي النَّصْرَ صَارِخُ
وَمُحْرِزُ حَمْدٍ نَمْنَمَتْهُ يَدُ العُلاَ كَمَا نَمْنَمَتْ بِيضَ الطُّرُوسِ النَّوَاسِخُ
مِنَ العَرَبِ الْغُرِّ الَّذِينَ خِيَامُهُمْ بِنَارِ قِرَاهَا عَمَّ بِالرِّفْدِ طَابِخُ
أَصِيلُ الْعُلاَ مِنْ غُرِّ قَحْطَانَ فِي الذُّرَى يَذِلُّ لَهُ حَتَّى المُلُوكُ الأَبَاذِخُ
وَشَافِي سُمُومِ الْخَطْبِ وَافٍ كَأَنَّهُ لَدُوغٌ مِنَ الْحَيَّاتِ أَسْوَدُ سَالِخُ
لَهُ شَدَّ زِرّاً فِي الخِلاَفَةِ آزِرٌ وَأَوْرَثَهُ الْمَجْدَ الْمُوَطَّدَ شَالِخُ
مِنَ الخَزْرَجِيِّينَ الَّذِينَ بُيُوتُهُمْ بِأَعْلَى مَراقِي الْمَعْلُوَاتِ شَوَامِخُ
نَمَتْهُ إِلَى سَعْدِ الْعُلاَ ابْنِ عُبَادَةٍ وَحَسْبُكَ أَعْرَاقٌ كِرَامٌ بَوَاذِخٌ
وَأَوْرَثَه قَيْسُ بَنُ سَعْدٍ مَفَاخِراً لَهَا أَيُّ حُكْمٍ مَا لَهُ الدَّهْرَ نَاسِخُ
وَإِنَّ بَنِي نَصْرٍ لأَكْرَمُ أُسْرَةٍ مَعَالِمُهُمْ هُنَّ الرَّوَاسِي الرَّوَاسِخُ
جُدُودُهُمُ الأَنْصَارُ أَنْصَارُ دِينِنَا وَمَنْ بِهِمُ كَانَ النَّبِيُّ يُبَاذِخُ[1]
هُمُو سَعِدُوا دُنْيَا وَأُخْرَى وَلَمْ تَزَلْ تَوَلاَّهُمُ [الرُّحْمَى][2] بِرُحْمَى بَرَازِخُ
وَإِنَّ ابْنَهُمْ مُفْنِي الأَعَادِي ابْنَ يُوسُفٍ لأَكْرَمُ مَلْكٍ شَبَّ وَالدَّهْرُ شَايِخُ
إِذَا لَمْ يَمَسَّ الطِّيبَ قَامَتْ مَقَامَهُ لَهُ الدَّهْرَ مِنْ طِيبِ الثَّنَاءِ لَخَالِخُ
بِأَيِّ جِلاَدٍ أَوْ جِدَالٍ ثَنَى الْعِدَى وَمَا إِنْ لَهُ مِنْهُمْ بِحَالٍ مَفَاسِخُ
إِذَا طَلَبَ الأَعْدَاءَ أَدْرَكَهُمْ [وَإِنْ][3] تَنَاءَتْ بِهِمْ أَمْيَالُهُمْ وَالْفَرَاسِخُ
وَأَمْضَى عَلَى الحُسَّادِ إِضْرَارَ كَابِتٍ[4] كَمَا قَدْ أَضَرَّتْ بِالْمَرِيضِ الكوامخ[5]

---

(1) يباذخ: يفاخر.
(2) زيادة عن الأصل يقتضيها الوزن، وكان يمكن أن نضع كلمة «الأخرى» ولكن الملاحظ أن بعض النساخ يهملون الكلمات المتشابهة ظناً منهم أنها مكررة.
(3) زيادة يقتضيها الوزن والمعنى.
(4) في الأصل: كاتب. ولا معنى له في السياق.
(5) الكوامخ: جمع كامخ، وهو ما يستعمل بين يدي الطعام من لِيم وزيتون وجزر وغيره لتفتيق الشهية. (مفردات ابن الخطيب: 70)، و(اللسان: كمخ).

وَمَـا لَـبِسَ الـحُـسَّـادُ ثَـوْبـاً يَـسُـرُّهُـمْ　　وَكَـيْـفَ يَـسُـرُّ الـثَّـوْبُ وَالـثَّـوْبُ وَاسِـخُ
وَلِـلَّـهِ مِـنْـهُ فِـي الـحُـرُوبِ مُـجَـدَّلٌ　　بِـذَوْبِ دَمِ الأَقْـرَانِ لِـلـتُّـرْبِ لاَطِـخُ
رَمَـى بِـالـعِـدَى لِـلأَرْضِ قَـائِـمُ سَـيْـفِـهِ　　كَـمَا قَدْ رَمَى لِلأَرْضِ بِالـجِلْدِ سَالِخُ
أَدَامَ[1] لَـهُ حُـكْـم الـخِـلاَفَـةِ فِـي الـوَرَى　　إِلَى أَنْ يُبِيحَ النَّفْخُ فِي الصُّورِ نَافِخُ
وَلَـمْ أَتَـكَـلَّـفْ فِـيـهِ مَـدْحـاً، وَإِنَّـمَـا　　أَنَـا لِـلَّـذِي يُـغْـلِـي مَـعَـالِـيـهِ نَـاسِـخُ

(1) أدام: كذا، ولعلها: أديم ـ بالبناء للمجهول، والجملة دعائية.

الـدال

32

وأنشد يومئذٍ القاضي الكاتب الشَّهير أبو إسحاق ابن الحاج المتقدم الذكر قوله(*): [طويل]

أَلاَ ارْتَقِبُوا هَذَا الهِلاَلَ الَّذِي بَدَا ... مِنَ الْغربِ مَرْفُوعاً عَلَى أُفُقِ الْهُدَى
وَبُشْرَاكُمُ بِالعِيدِ(1) عِيدِ مَسَرَّةٍ ... بِمَقْدَمِهِ(2) السَّعْدُ المُقِيمُ تَجَدَّدَا
وَلِلَّهِ شِبْلٌ قَدْ دَعَوْهُ بِيُوسُفٍ ... شَبِيهٌ بِلَيْثٍ قَدْ دَعَوْهُ مُحَمَّدَا
وَبَحْرٌ أَتَاهُ النَّهْرُ لَكِنَّ ذَا أَبٌ ... وَذَاكَ لَهُ ابْنٌ رَاحَ فِي البَرِّ وَاغْتَدَى
وَفَرْعٌ أَتَى أَصْلاً يُسَمَّى بِوَالِدٍ ... شَبِيهِ بِذَاكَ الأَصْلِ فِي البَأْسِ وَالنَّدَى
وَقُرَّةُ عَيْنٍ فَرَّقَ الدَّهْرُ بَيْنَهُ ... وَبَيْنَ الَّذِي أَبْكَى الْعُيُونَ وَسَهَّدَا
إِلَى أَنْ أَتَانَا اللَّهُ بِالفَرَجِ الَّذِي ... أَفَاضَ عَلَى الدُّنْيَا جَمَالاً وَأَسْعُدَا
فَعَادَ إِلَى غُصْنِ الخِلاَفَةِ زَهْرُهُ ... لِيَجْمَعَ مِنْ أَنْدَائِهِ مَا تَبَدَّدَا
وَعَاوَدَ جِيدَ الْمُلْكِ أَكْرَمُ زِينَةٍ ... بِأَكْرَمِ سِلْكٍ بَعْدَ حِينٍ تَقَلَّدَا
وَقَدْ عَضَدَ السَّيْفَ المُحَلَّى بِمِثْلِهِ ... مِنَ الْغَرْبِ سَيْفٌ لَمْ يَزَلْ يُرْهِبُ العِدَى
وَقَالُوا وَلِيُّ الْعَهْدِ يَقْدُمُ عَاجِلاً ... فَقُلْتُ: نَعَمْ، يَهْنَأْ أَبُوهُ المُؤَيَّدَا
وَمَا هُوَ إِلاَّ الْغَيْثُ سَوْفَ يَجُودُنَا ... بِأَكْرَمِ مِنْ غَيْثِ السَّمَاءِ وَأَجْوَدَا

(*) نفاضة الجراب (مخطوطة خ. ع: 107-109، والنص المحقق: 3\152-154)، ومختارات ابن عزيم: 27. وقيلت هذه القصيدة بمناسبة عودة الأمير أبي الحجاج يوسف بن محمد الغني بالله من المغرب إلى غرناطة يوم السبت الموفى عشرين من شعبان سنة ثلاث وستين وسبعمئة. (انظر: النفاضة: 3\145-152).

(1) ابن عزيم: فالعيد.

(2) ابن عزيم: بمقدمها.

أَمِيـرٌ كَـأَنَّ الـشَـمْـسَ وَالْـبَـدْرَ كَـامِـلاً	هُـمَـا وَالـداه[1] بِـالـمَـحَـاسِـنِ مُـفْـرَدَا
وَمَـا ظَـلَـمَ ابْـنٌ مُـشْـبِـهٌ خَـيْـرَ وَالِـدٍ	غَـدَا لِـمُـلُـوكِ الأَرْضِ أَجْـمَـعَ سَـيِّـدَا
لِـيَـهْـنِـيءْ جِـيَـادَ الْـخَـيْـلِ أَنَّ رُكُـوبَـهُ	لِيُكْسِبَهَا الْمَجْدَ الرَّفِيعَ الْمُخَلَّدَا
وَيَـهْـنِـيءْ سُـيُـوفَ الـهِـنْـدِ أَنَّ ضِـرَابَـهُ	لِيُبْقِي لَهَا الفَخْرَ الصَّرِيحَ الْمُؤَكَّدَا
وَيَـهْـنِـيءْ رِمَـاحَ الـخَـطِّ أَنَّ طِـعَـانَـهُ	لِيُـورِثَـهَـا الـعِـزَّ الـمُـشِـيـدَ الـمُـشَـيَّـدَا
وَقُـلْ لِـلـرُّبُـوعِ الآهِـلاَتِ بِـسَـبْـتَـةٍ	حَـوَيْـتِ أَجَـلَّ الـنَّـاسِ قَـدْراً وَمَـحْـتِـدَا
وَيَـا بَـحْـرَهَـا رِفْـقـاً بِـبَـحْـرٍ حَـمَـلْـتَـهُ	وَلَـكِـنَّـهُ يَـا بَـحْـرُ يَـعْـذُبُ مَـوْرِدَا][2]
وَإِنْ كُـنْـتَ حَـقـاً قَـدْ جُـنِـنْـتَ بِـحُـبِّـهِ	فَـأَصْـبَـحْـتَ مُـرْتَـجَّ الْـجَـوَانِـبِ مُـزْبِـدَا
فَـمَـا وَاجِـبُ الإِنْـصَـافِ ذَاكَ وَإِنَّـمَـا	سُـكُـونُـكَ أَوْلَـى إِنْ أَرَدْتَ تَـوَدُّدَا
وَكُـنْ بَـاسِـطـاً خَـدًّا لَـهُ فِـي طَـرِيـقِـهِ	وَاقْـسِـمْ عَـلَـى الأَمْـوَاجِ تَـلْـقَـاهُ سُـجَّـدَا
وَدُونَـكَ فَـالْـثُـمْ كُـلَّ جَـفْـنٍ أَتَـى بِـهِ	إِذَا أَنْـتَ لَـمْ تَـلْـثِـمْ لَـهُ الـرِّجْـلَ وَالـيَـدَا
وَيَـا نَـسَـمَـاتِ الـرِّيـحِ هُـبِّـي وَحَـيِّـهِ	بِـرُوحٍ وَرَيْـحَـانٍ غَـدَا حَـلْـيُـهُ الـنَّـدَى
وَرِفْـقـاً بِـأُسْـطُـولٍ يَـلَـذُّ لَـهُ الـسُّـرَى	بِـأَمْـضَـى بَـنِـي الأَمْـلاَكِ سَـيْـفـاً وَأَحْـمَـدَا
وَلاَ تَـبْـرَحِـي تُـهْـدِي لَـهُ عَـاطِـرَ الـشَّـذَا	وَتَـرْوِي حدِيـثَ [. . .][3] الـنَّـوْرِ مُـسْـنَـدَا
وَحِـفْـظـاً لَـهـا حِـفْـظـاً لَـهَـا مِـنْ وَدِيـعَـةٍ	أَبَـى الـلَّـهُ إِلاَّ أَنْ يَـعَـزَّ وَيَـسْـعَـدَا[4]
كَـأَنِّـي وَقَـدْ وَافَـى الأَمِـيـرُ وَأَقْـبَـلَـتْ	عَـسَـاكِـرُهُ مَـثْـنَـى، تَـرُوقُ، وَمَـوْحِـدَا
كَـبَـدْرِ الـدُّجَـى حَـفَّـتْ بِـهِ الـشُّـهْـبُ وَانْـبَـرَتْ	لِـتَـحْـرِقَ فِـي الآفَـاقِ مَـنْ جَـارَ وَاعْـتَـدَى

---

(1) في النفاضة: ولداه.

(2) هذه رواية مختارات ابن عزيم للبيت، أما في النفاضة فهو:

**ومـا بـحـرهـا بـشـرى بـربـع حـمـلـتـه	ولـكـنـه بـالـمـلـح يـعـذب مـوردا**

(3) كذا في الأصل، وفي النص المحقق: «وترى له حديث والنور مسندا» وواضح أن في الشطر كلمة محذوفة في وزن ومعنى: «الروض و».

(4) ابن عزيم: «أبى الله إلا أن تعز وتسعدا».

خُذِ الرُّوحَ مِنِّي يَا بَشِيرُ بِشَارَةً ... وَنَفْسِيَ مِنْ رَيْبِ الزَّمَانِ لَكَ الْفِدَا
وَعِنْدِي هَنَاءٌ لِلإِمَامِ مُحَمَّدٍ ... سَيُحْمِدُ لِي سَعْياً وَيُنْجِحُ مَقْصِدَا
خَلِيفَةِ رَبِّ الْعَرْشِ وَالْمَلِكِ الَّذِي ... تَعَوَّدَ مِنْهُ الجُودُ مَا قَدْ تَعَوَّدَا
كَرِيمٌ لَهُ فِي آلِ نَصْرٍ فَضَائِلٌ ... بِرَوْضَتِهَا غُصْنُ الْمُنَى قَدْ تَأَوَّدَا
أَجَلُّ مُلُوكِ الأَرْضِ ذَاتاً وَمَنْصِباً ... وَأَمْلاَهُمُ فِي رُتْبَةِ الْمُلْكِ مَصْعَدَا
وَأَكْرَمُ مَنْ قَادَ الْجَوَادَ إِلَى الْوَغَى ... وَسَقَّى عِدَاهُ أَيَّ كَأْسٍ مِنَ الرَّدَى
أَمَوْلاَيَ حَالِي مَا عَلِمْتَ وَإِنَّنِي ... لأَرْجُوكَ بَعْدَ اللَّهِ غَيْباً وَمَشْهَدَا
فَكُنْ مُظْهِراً لِلْعَبْدِ مَا أَنْتَ أَهْلُهُ ... وَأَنْجِزْ لَهُ يَا أَكْرَمَ النَّاسِ مَوْعِدَا
وَعُدْ لِلَّذِي عَوَّدْتَ يَا خَيْرَ مُنْعِمٍ ... وَأَفْضَلَ مَنْ فِي فَضْلِهِ جَاوَزَ الْمَدَى
بَقِيتَ قَرِيرَ الْعَيْنِ فِي عِزِّ دَوْلَةٍ ... تَسُرُّكَ مَا غَنَّى الحَمَامُ وَغَرَّدَا

33

وقال في مدح الخليفة أبي عنان فراس المريني(*): [طويل]

سَرَى وَعُيُونُ الشُّهْبِ تَشْكُو التَّسَهُّدَا ... خَيَالٌ عَلَى الأَكْوَارِ قَدْ زَارَ مُكْمَدَا
وَمَا رَاعَهُ إِلاَّ الصَّبَاحُ كَأَنَّهُ ... حُسَامٌ بِغِمْدِ اللَّيْلِ قَدْ كَانَ مُغْمَدَا
وَوَمْضَةُ بَرْقٍ أَلْبَسَ الْخَدَّ فِضَّةً ... مِنَ الدَّمْعِ كَمَّا أَلْبَسَ الأُفْقَ عَسْجَدَا
عَجِبْتُ لَهُ طَيْفاً أَلَمَّ وَدُونَهُ ... مَهَامِهِ لَمْ تَعْرِفْ [بِهَا](1) العِيسُ مَوْرِدَا
وَأَهْوَالُ حَرْبٍ يَمْنَعُ القُضْبَ ذِكْرُهَا ... إِذَا هَبَّتِ النَّكْبَاءُ أَنْ تَتَأَوَّدَا

(*) فيض العباب، مخ مخ. ح: 3267، ص. 103، 104، والنص المحقق: 77-78. وأبو عنان هذا هو: فارس بن أبي الحسن علي بن عثمان المريني، ولد سنة 729هـ وتولى سنة 749هـ إثر غيبة أبيه. وكان ابن الحاج كاتبه وصاحب علامته كما كان لأبيه من قبله. وفي حركته إلى قسنطينة والزاب ألف رحلته المسماة «بفيض العباب». وتوفي سنة 759هـ. (انظره في: العبر: 7\341-355، وأخبار الدولتين للزركشي».

(1) في الأصل: به، والضمير عائد على المهامه، فحقه التأنيث.

أَلاَ أَسْدَتِ الأَحْلاَمُ فِي سِنَةِ الكَرَى يَداً مَدَّ شُكْرِي كُلُّ شُكْرِي لَهَا يَدَا
خَلاَ أَنَّنِي لاَ الوَجْدُ يَبْرَحُ لاَ وَلاَ غَرَامِي إِذَا فَكَّرْتُ فِي فُرْقَةٍ غَدَا
أَلاَ آنَسَ اللَّهُ القِبَابَ وَفِتْيَةً إِذَا هَاجَ بَرْحُ الحُبِّ أَعْطَوْهُ مِقْوَدَا
طَوَالِعُ أَنْجَادِ الْهَوَى حَالَفُوا الْهَوَى فَأَبْقَوْا لَهُ عَهْداً كَرِيماً وَمَعْهَدَا
أُنَادِيهِمُ لاَ السَّمْعُ مَلَّ حَدِيثَهُمْ وَلاَ العَيْنُ أَغْضَتْ أَوْ تَرَى الحُسْنَ قَدْ بَدَا
وَمَا أَنَا وَالسُّلْوَانُ لاَ دَرَّ دَرُّ مَنْ تَقَلَّدَ فِي سُلْوَانِهِ مَا تَقَلَّدَا
أَقُولُ وَقَدْ هَبَّتْ لَنَا نَسْمَةُ الصَّبَا فَأَلْقَتْ حَدِيثَ الشَّوْقِ لِلرَّكْبِ مُسْنَدَا
وَقَدْ طَلَعَتْ خُوصُ الرِّكَابِ كَأَنَّهَا سُيُوفٌ تَقُدُّ الْبِيدَ مَثْنَى وَمَوْحِدَا
رُوَيْدكُمُ حَتَّى تَفِيضَ دُمُوعُنَا عَلَى السَّفْحِ سَفْحاً أَوْ يِرِقَّ لَنَا الصَّدَا
وَحَتَّى نَسُومَ الرَّبْعَ نَارَ صَبَابَةٍ تَوَقَّدَ مِنْهَا بِالأَسَى مَا تَوَقَّدَا
وَمَا الْوَجْدُ إِلاَّ أَنْ تَلُوحَ بِذِي الغَضَا خِيَامٌ عَلَى أَطْنَابِهَا الدُّرُّ نُضِّدَا
مِنَ المُطْلِعَاتِ الْبِيضِ تَلْتَاحُ كَالدُّمَى أَوَانِسُ تُضْمِينَ الكَمِيَّ المُسَرَّدَا
بَعَثْنَ الْهَوَى نَحْوَ القُلُوبِ بِأَسْرِهَا فَأَسْبَابُهُ تَزْدَادُ غَيْباً وَمَشْهَدَا
كَأَنَّ الْهَوَى جُودُ الخَلِيفَةِ فَارِسٍ إِذَا قِيلَ عَمَّ الْخَلْقَ طُرّاً تَزَيَّدَا
إِمَامُ الهُدَى المَرْجُوُّ مَا فَخَرَ العُلاَ بِأَسْعَدَ مِنْهُ فِي الزَّمَانِ وَأَصْعَدَا
شَدِيدٌ عَلَى الأَعْدَاءِ مَا ابْنُ مُكَرَّمٍ بِأَشْجَعَ مِنْهُ فِي الحُرُوبِ وَأَنْجَدَا
وَمَا كُلُّ مَنْ حَثَّ الخُيُولَ يَسُرُّهَا وَمَا كُلُّ مَنْ أَجْرَى بِهَا بَلَغَ الْمَدَا
تَقِيٌّ لَهُ العُقْبَى فَلاَ السَّعْيُ خَائِبٌ أَبَى اللَّهُ إِلاَّ أَنْ تُنَالَ وَتُحْمَدَا
وَفِعْلُ الْفَتَى كَلٌّ عَلَى المَجْدِ وَالعُلاَ إِذَا كَانَ عَنْ تَقْوَى الْمُهَيْمِنِ مُبْعَدَا
كَرِيمٌ بِشَمْلِ الْحَمْدِ ظَلَّ مُجَمَّعاً وَلِلشَّمْلِ شَمْلِ المَالِ ظَلَّ مُبَدَّدَا
وَخَيْرٌ مِنَ الْمَالِ الْجَزِيلِ لِكَاسِبٍ ثَنَاءٌ عَلَيْهِ لاَ يَزَالُ مُخَلَّدَا
وَمَا تُعْرَفُ الأَوْصَافُ فِي شَرَفٍ سِوَى إِذَا قُسِمَتْ بَيْنَ الشَّجَاعَةِ وَالنَّدَا

وَخَيْرُ الَّذِي أَعْدَدْتَ حُسْنُ تَوَكُّلٍ عَلَى اللَّهِ بِالتَّأْيِيدِ أَنْجَحَ مَقْصِدَا
وَمِنْ بَيِّنَاتِ النَّصْرِ وِجْهَتُكَ الَّتِي أَدَانَتْ لِسَارِي الرُّعْبِ قَلْبَ مَنْ اعْتَدَى
زَحَفْتَ إِلَى الأَعْدَاءِ فِي عَرْضِ فَيْلَقٍ تَرَى البَحْرَ فِيهِ بِالأَسِنَّةِ مُزْبِدَا
وَقُدْتَ لَهُمْ تَحْتَ العَجَاجِ كَتَائِباً تُعِيدُ كَأَمْثَالِ التَّهَائِمِ أَنْجُدَا
وَوَجَّهْتَ جُنْداً يَزْحَفُونَ إِلَى الوَغَى عَلَى كُلِّ مَمْسُودِ النَّوَاشِرِ أَجْرَدَا
وَصُلْتَ بِسُلْطَانٍ تَذِلُّ لِعِزِّهِ مُلُوكُ الوَرَى مِنْ كُلِّ أَشْمَخَ أَصْيَدَا[1]
وَلَمَّا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَعْرِفَ الَّذِي يَؤُولُ إِلَيْهِ الأَمْرُ فِي حَرْبِكَ العِدَى
هَدَاكَ لأَخْذِ الفَأْلِ، وَالفَأْلُ مُنْجِبٌ كَمَا جَاءَ عَمَّنْ جَاءَ بِالنُّورِ وَالهُدَى
فَقَامَ خَطِيبُ الكَوْنِ نَحْوَكَ سَاعِياً وَوَافَاكَ كَالأَعْشَى عَلَى القُرْبِ مُنْشِدَا
بِجُنْدِ أَمِيرِ المُؤمِنِينَ وَخَيْلِهِ وَسُلْطَانِهِ أَمْسَى مُعَاناً مُؤَيَّدَا
لِيَهْنَ أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ ظُهُورُهُ عَلَى أُمَّةٍ كَانَتْ بُغَاةً وَحسَّدَا
وَزَادَ بَيَاناً قَوْلُهُ فَاسْتَمِعْ لَهُ حَدِيثاً عَنِ السِّرِّ اللَّطِيفِ مُرَدَّدَا
أَبَى اللَّهُ إِلاَّ أَنْ يُتَمِّمَ نُورَهُ وَيُخْمِدَ نَارَ الفَاسِقِينَ فَتَخْمُدَا
بَقِيتَ وَنُورُ اللَّهِ يَهْدِيكَ لِلَّتِي تَنَالُ بِهَا عِزاً جَدِيداً وَأَسْعُدَا

34

وقال[*]: [طويل]

وَقَالُوا رَمَى فِي الكَأْسِ وَرْداً فَهَلْ تَرَى لِذَلِكَ وَجْهاً قُلْتُ: أَحْسِنْ بِهِ قَصْدَا!
أَلَمْ تَجِدِ اللَّذَّاتِ فِي الْكَأْسِ حَلْبَةً فَلاَ تُنْكِرُوا فِيهَا الكُمَيْتَ وَلاَ الوَرْدَا[2]

---

(1) الأصل: أضيدا، وهو تصحيف. والأصيد: المتكبر المزهو بنفسه، وكل ذي حول وطول من ذوي السلطان.

(*) الإحاطة: 1\349.

(2) الكميت من الخيل: ما كان لونه بين الأسود والأحمر. الورد: ما كان منها أحمر يضرب إلى صفرة.

وقال:

35

وفي ليلةِ يوم الأحدِ الخامسَ عشر لجمادي الآخرة المذكور، رأيتُ في النَّوم [شطرَ][1] بيتٍ هو(*): [كامل]

ذَهَبَ العَنَاءُ فَلاَتَ حِينَ عَنَاءُ

فَخُيِّلَ لِي فِي النَّومِ أَنِّي قَدْ نظَمْتُ ذَلِكَ في اليَقَظَةِ، فَقُلْتُ فِي النَّوْمِ هذا البيت:

ذَهَبَ العَنَاءُ وَأَدْبَرَ الإبْعَادُ وَتَواتَرَ الإقْبَالُ والإسْعَادُ

36

وَلِلَّهِ دَرُّهُ حَيْثُ يَقُول(**): [طويل]

هَجَرْت[2] فَعِطْفُ الغُصْن لَمْ يَتَأَوَّدِ بِنَجْدٍ وَخَدُّ الوَرْدِ لَمْ يَتَوَرَّدِ
وَلاَ الْتَفَتَتْ فِي الأَرْضِ[3] مُقْلَةُ نَرْجِسٍ وَلاَ اكْتَحَلَتْ مِنْ فَيْئَتَيْهِ[4] بِإِثْمِدِ
وَلاَ ابْتَسَمَتْ [لِلزَّهْرِ فِيهِ مَبَاسِمٌ][5] لَهَا شَنَبٌ مِنْ طَلِّهَا المُتَزَيِّدِ
وَلاَ جُرَّ ذَيْلُ الآسِ فِي مَلْعَبِ الصَّبَا عَلَى شِبْهِ دُرٍّ بَيْنَ شِبْهِ زَبَرْجَدِ
وَلاَ زُرَّ جَيْبُ الغَيْمِ فَوْقَ حَدِيقَةٍ تَضُوعُ الشَّذَا النَّدِّيَ مِنْ تُرْبِهَا[6] النَدِي

(1) زيادة يقتضيها المعنى.
(*) مذكرات ابن الحاج، بتحقيق برمبير: 131.
(**) المزاين: 12 أ - 12 أ، والنفاضة: 3\126-128.
(2) النفاضة: نأيت.
(3) النفاضة: الروض.
(4) النفاضة: من عينه.
(5) في المزاين تقديم وتأخير صار معه الشطر على هذا النحو: «ولا ابتسمت فيه لزهرٍ مباسم». والتصويب من النفاضة.
(6) النفاضة: «تصوغ الندى من تربها العطر الندي».

وَلاَ انْفَضَّ مَجْرَى النَّهْرِ عَنْ ذَوْبِ فِضَّةٍ تُمَوِّهُهَا كَفُّ الأَصِيلِ بِعَسْجَدِ
عَسَى زَوْرَةٌ يَا سَاكِنَ[1] الجَزْعِ إِنَّ لِي إِلَى الجَزْعِ أَشْوَاقاً تَرُوحُ وَتَغْتَدِي
وَلِي زَفْرَةٌ لَوْلاَ دَوَامُ الْتِظَائِهَا[2] لَقُلْتُ وَمِيضُ الْبَرْقِ لِلْمُتَوَقِّدِ[3]
وَطَائِرُ قَلْبٍ [لاضْطِبَارِي][4] مُغَرِّبٌ بِطَائِرِ غُصْنٍ لاصْطِبَاحِي مُغَرِّدِ
وَلَفْحُ غَرَامٍ فِي صَفَاءِ مَدَامِعٍ كَمَا انْطَبَعَتْ شَمْسٌ بِحَدِّ مُهَنَّدِ
نَسِيتُ وَلاَ أَنْسَى العُذَيْبَ وَنَاهِداً تَصِيخُ أَمَامَ الحَيِّ لِلْمُتَنَهِّدِ
لَيَالِيَ جَاذَبْتُ الشَّبَابَ أَرَاكَةً تَظِلُّ مِنَ اللَّذَاتِ أَعْذَبَ مَوْرِدِ
وَإِذْ أَنَا فِي نُعْمٍ أُطِيلُ صَبَابَتِي وَأَعْصِي عَذُولِي في الهَوَى وَمُفَنِّدِي
وَكَمْ لَيْلَةٍ حَلَّيْتُ عَاطِلَ جِيدِهَا بِدُرَّيْنِ مِنْ شَعْرٍ وَثَغْرٍ مُنَضَّدِ
وَفِي كَبِدِ الظَّلْمَاءِ قَدْحٌ يَفُتُّهَا بِنَارَيْنِ مِنْ شَمْعٍ وَمِنْ[5] وَجْدٍ مُكْمَدِ
إِلَى أَنْ شَدَتْ وُرْقُ الحَمَامِ فَنَبَّهَتْ بِمَا أَسْمَعَتْ مِنْ شَدْوِهَا كُلَّ مُنْشِدِ
وَمَالَتْ كُؤُوسُ الشُّهْبِ حَتَّى حَسِبْتُهَا مُسَائِلَةً عَنْ خَمْرِهَا الْمُتَبَرِّدِ[6]
تَجُولُ بِهَا وُرْقُ الحَمَامِ كَأَنَّهَا جَوَارِحُ ذِي هَزْلٍ، وَأَفْكَارُ ذِي جِدِّ[7]
أَلاَ لَيْتَ شِعْرِي عَنْ لَيَالٍ بِحَاجِرٍ سَقَى عَهْدَهَا مَا سَحَّتِ السُّحْبُ مِنْ عَهْدِ
لَيَالٍ يَكَادُ الأُفْقُ يَرْعُفُ أَنْفُهُ بِمِسْكِ دُجَاهَا أَوْ بِمَا شَبَّ مِنْ نَدِّ
وَإِيهِ عَلَى الشَّمْلِ الجَمِيعِ وَجِيرَةٍ لَهُمْ مَا لَهُمْ مِنْ صِدْقِ حُبِّي وَمِنْ وُدِّي

(1) النفاضة: ساكني.
(2) التظائها: التهابها. وفي الأصل: التضائها. وفي النفاضة: انبساطها.
(3) النفاضة: البارق المتوقد، وأحسبه أقرب إلى الصواب.
(4) ما بين المعقوفين منقول من النفاضة. وفي الأصل: للاسطبار.
(5) النفاضة: ووجد مكمد.
(6) في الأصل: «من خمرها». وفي النفاضة: «عن خمرها المتبدد».
(7) هذا البيت وتسعة وخمسون بيتاً بعده ليس في النفاضة.

تَـوَلَّـوْا عِـشَـاءً بِـالـخِـيَـامِ وَخَـلَّـفُـوا ... مَـوَاقِـدَهَـا فِـي الـقَـلْـبِ مِـنِّـيَ وَالْـكَـبْـدِ
وَقَالُوا: خِيَاماً مَا تَرَى؟ قُلْتُ: بَلْ أَرَى ... كَـمَـائِـمَ رَوْضٍ لَـيْـتَ أَزْهَـارَهَـا عِـنْـدِي
وَلِـلَّـهِ سَـيْـرِي وَالـنُّـجُـومُ كَـأَنَّـهَـا ... مَـطَـافِـلُ[1] غِـزْلاَنٍ تَـحُـومُ عَـلَـى وِرْدِ
وَقَدْ سُلَّ سَيْفُ الْبَرْقِ فِي رَاحَةِ الدُّجَى ... فَلَـم تَتَّخِذْ غَيْرَ الغَمَامَةِ مِنْ غِمْدِ
وَمَاسَتْ قُدُودُ القُضْبِ فِي حُلَلِ الصَّبَا ... وَسَالَتْ دُمُوعُ الطَّلِّ فِي أَوْجُهِ الوَرْدِ
فَيَا قَلْبُ لاَ تَذْهَبْ عَلَى القُرْبِ حَسْرَةً ... فَأَحْسَنُ مِنْ قُرْبٍ وَفَاؤُكَ فِي بُعْدِ
وَيَا نَفْسُ لاَ يَأْخُذْ بِكِ اليَأْسُ فِي الهَوَى ... مَأخِذَهُ فَالْوَصْلُ فِي عَقِبِ الصَّدِّ
وَلَـيْـسَ يَـفُـوتُ الْـعَـبْـدَ أَمْـرٌ مُـغَـيَّـبٌ ... إِذَا كَانَ ذَاكَ الأَمْرُ قُدِّرَ لِلْعَبْدِ
وَمَـا ثَـمَّ إِلاَّ الـلَّـهُ هَـادٍ وَنَـاصِـرٌ ... وَإِنْ تَكُ قَدْ أَحْبَبْتَ، إِنَّكَ لاَ تَهْدِي
بِـنَـفْـسِـيَ رَكْـبٌ أَسْـكَـرَتْـهُـمْ يَـدُ الـسُّـرَى ... بِخَمْرَيْنِ مِنْ حُبٍّ قَدِيمٍ وَمِنْ جَهْدِ
صَـوَادِعُ أَكْـبَـادِ الـفَـلاَةِ بِـأَيْـنُـقٍ ... تَرَاخَتْ بُرَاهَا بِالذَّمِيلِ وَبِالوَخْدِ[2]
وَلاَنَـتْ ظُـهُـوراً حِـيـنَ مَـدَّتْ رِقَـابَـهَـا ... فَكَانَتْ حُرُوفَ اللِّينِ لاَشَكَّ وَالْمَدِّ
وَلَـمْ[3] أَنْـسَـهُـمْ لَـمَّـا تَـهَـاوَوْا وَعَـرَّسُـوا[4] ... كَسِرْبِ القَطَا حَامَتْ عَلَى مَوْرِدٍ ثَمْدِ
وَمَـا جَـدَّدُوا لِـلْـقَـلْـبِ شَـوْقـاً وَإِنَّـمَـا ... أَكَبُّوا يُطِيرُونَ الشَّرَارَ عَنِ الزَّنْدِ
وَمِمَّا شَجَانِي وَالشَّجَا يَبْعَثُ الشَّجَا ... نَسِيمٌ عَلِيلٌ كَادَ يَشْكُو مِنَ الْفَقْدِ
وَأَرَّقَـنِـي[5] مِـنْ جَـانِـبِ الـرَّمْـلِ سَـاجِـعٌ ... طَرُوبٌ إِذَا هَزَّتْ صَباً أَعْطُفَ الرَّنْدِ
طَوَيْتُ لَهُ قَلْبِي عَلَى الشَّوْقِ ضَلَّةً ... وَمَا خِلْتُ أَنَّ الشَّوْقَ مِنْ قَبْلِهِ يُعْدِي

(1) المطافل: جمع مطفل، الأنثى ذات الطفل من الأنس والوحش.
(2) ناقة ذات بُراية: ذات شحم ولحم، أو ذات بقاء على السير. والذميل والوخد: ضربان من سير الإبل حال سرعتها.
(3) الأصل: وكم.
(4) تهاووا: ساروا سيراً شديداً. وعرّسوا: نزلوا آخر الليل للراحة، والمورد الثمد: قليل الماء.
(5) الأصل: «والرقني» وهو تصحيف.

وَقَـدْ كَـانَ عُـطْـلاً جِـيـدُ كُـلِّ غَـرَارَةٍ   فَلَـمْ يَتَّـخِـذْ غَـيْـرَ الـمَدَامِـعِ مِـنْ عِـقْـدِ
رَعَـى الـلَّـهُ فِـي أَكْـنَـافِ طِـيـبَـة رَوْضَـةً   وَحَـيَّـا بِـذَيَّـاكَ الـحِمَـى سَـاكِـنَ الـلَّـحْـدِ
نَـبِـيٌّ قَـؤُولُ الـصِّـدْقِ يُـرْشِـدُ لِـلْـهُـدَى   رَسُولٌ صَدُوقُ القَوْلِ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ
صَـرِيـحٌ نَـمَـتْـهُ الْـغُـرُّ مِـنْ آلِ هَـاشِـمٍ   وَأَحْـمَـدَهُ نَـيْـلَ الـعُـلاَ شَـيْـبَـةُ[1] الْـحَـمْـدِ
وَقَـدْ أَنْـجَـبَـتْـهُ أَزْهُـرُ[2] الْـمَـجْـدِ أَزْهَـراً   كَـرِيـمـاً كَـرِيـمَ الـخَـالِ وَالأَبِ وَالـجَـدِّ
لِـمَـوْلِـدِهِ نِـيـرَانُ فَـارِسَ أُخْـمِـدَتْ   فَـعُـطِّـلَ مِـنْـهَـا كُـلُّ أَفْـيَـحَ مُـسْـوَدِّ[3]
وَغَـاضَـتْ مِـيَـاهُ الـنَّـهْـرِ حَـتَّـى لَـقَـدْ شَـكَـا   بِـحَـرٍّ كَـمَـا تَـشْـكُـو الـمَـوَاقِـدُ مِـنْ بَـرْدِ
وَإِيـوَانُ كِـسْـرَى وَهْـوَ ذَاكَ، وَمُـلْـكُـهُ   كِلاَ الشَّـامِخَيْـنِ اسْتَشْعَرَا الإِذْنَ بِالـحَدِّ
وَلِـلْـجِـنِّ طَـرْدٌ عَـنْ مَـقَـاعِـدِ سَـمْـعِـهَـا   بِـكُـلِّ شِـهَـابٍ لاَ يَـمَـلُّ مِـنَ الـطَّـرْدِ
وَشُـقَّ لَـهُ الْـبَـدْرُ الَّـذِي كَـانَ قَـدْ حَـكَـى   سِـوَارَ لُـجَـيْـنٍ مُـسْـتَـدِيـراً عَـلَـى زَنْـدِ
وَسَـالَـتْ بِـعَـذْبِ الـمَـاءِ مِـنْـهُ أَصَـابِـعٌ   تَـكَـادُ تُـرَوِّي بـاطِـنَ الـحَـجَـرِ الـصَّـلْـدِ
وَعُـكَّـاشَـةٌ[4] أَعْـطَـاهُ غُـصْـنـاً فَـعَـادَ إِذْ   تَـنَـاوَلَـهُ سَـيْـفـاً صَـقِـيـلاً مِـنَ الـهِـنْـدِ
وَأَضْـفَـتْ عَـلَـيْـهِ الـظِّـلَّ كُـلَّ غَـمَـامَـةٍ   تُـنِـيـرُ لِـمُـسْـتَـجْـلٍ وَتَـسْـخُـو لِـمُـسْـتَـجْـدِ
وَعَيْنُ أَبِي السِّبْطَيْنِ[5] بِالتَّفْلِ قَدْ شَفَى   وَكَـانَ لَـهَـا التَّـبـرِيـحُ فِـي الأَعْـيُـنِ الرُّمْـدِ
وَلَـمَّـا دَعَـا بِـالْـغَـيْـثِ لَـبَّـاهُ مُـتْـحِـفـاً   بِـنَـوْرٍ وَنُـورٍ، ذَاكَ يُـهْـدَى وَذَا يَـهْـدِي

(1) في الأصل: شينة، وهو تصحيف.
(2) في الأصل: زهر، ولا يستقيم بذلك الوزن.
(3) بداية للحديث عن معجزات الرسول(ص)، وفي كتب السيرة تفاصيلها، كما أن الميلاديات والمدائح النبوية تكررها كثيراً (انظر المدائح النبوية في باب الظواهر من كتاب «القصيدة الأندلسية في القرن الثامن الهجري»).
(4) عكاشة: بتخفيف الكاف وتشديدها، هو الصحابي عكاشة بن محصن بن حرثان الأسدي: من أمراء السرايا، معدود في أهل المدينة، حضر المشاهد كلها مع الرسول(ص) وقتل في حرب الردة. (ترجمته في: الإصابة، ترجمة: 5634، والروض الأنف: 2\73).
(5) أبو السبطين: هو علي بن أبي طالب (رض).

وَكَـانَ لَـهُ مِـنْ مُـعْـجِـزَاتٍ سَـوَاطِـعٍ   تَـجِلُّ عَنِ الحَصْرِ المُوَاصَلِ وَالعَدِّ
وَأَعْـظَـمُـهَـا الـقُـرْآنُ لاَ شَـكَّ إِنَّـهُ   لَبَاقٍ مُحِيلُ الشَّكِّ وَالقَوْلِ بِالْجَحْدِ
تَـحَـدَّى بِـهِ أَهْـلَ الـفَـصَـاحَـةِ مَـعْـجِـزاً   فَمَا كَانَ جَهْلاً كُفْرُهُمْ بَلْ عَلَى عَمْدِ
رَسُـولٌ أَتَـى لِـلْـخَـلْـقِ أَجْـمَـعَ رَحْـمَـةً   وَأَنْجَحَ قَصْدَ المُبْتَغَى أَحْسَنَ الْقَصْدِ
وَآدَمُ بَـيْـنَ الـطِّـيـنِ وَالـمَـاءِ كَـان قَـدْ   أُقِيمَ نَبِياً جَلَّ فِي الفَضْلِ عَنْ نِدِّ
وَأَيُّ شَـفِـيـعٍ لِـلْـكُـرُوبِ مُـفَـرِّجٍ   إِذَا قِيلَ يَوْمَ الحَشْرِ يَا أَزْمَةُ(1) اشْتَدِّي!
وَلَـنْ يَـدْخُـلَ الـنَّـارَ امْـرُؤٌ كَـانَ بِـاسْـمِـهِ   مُـسَـمَّـى وَلَـكِـنْ دَارُهُ جَـنَّـةُ الْـخُـلْـدِ
كَـمِـثْـلِ أَمِـيـرِ الـمُـسْـلِـمِـيـنَ مُـحَـمَّـدٍ   أَجَـلِّ بَـنِـي نَـصْـرٍ وَخَـيْـرِ بَـنِـي سَـعْـدِ
إِمَـامٌ أَطَـاعَ الـشَّـرْقُ وَالـغَـرْبُ أَمْـرَهُ   وَلَـيْـسَ لأَمْـرٍ شَـاءَهُ الـلَّـهُ مِـنْ رَدِّ
وَعَـمَّ الـوَرَى دَفْـعـاً وَنَـفْـعـاً كِـلَـيْـهِـمَـا   فَلَيْلُ الرَّدَى يُخْفِي وَصُبْحُ الهُدَى يُبْدِي
وَمَهْمَا تَلَى أَوْ [يَتْلُوَ](2) فِي الحَرْبِ قِرْنُهُ   فَـآيَـاتُـهُ وَالـدِّرْعُ مُـحْـكَـمَـةُ الـسَّـرْدِ
مُـزِيـرُ بَـنِـي الـهَـيْـجَـاءِ كُـلَّ كَـتِـيـبَـةٍ   تُـضَـلِّـلُ كَـيْـدَ الـقَـادِرِيـنَ عَـلَـى حَـرْدِ
وَأَرْعَـنَ كَـالـبَـحْـرِ الـخِـضَـمِّ تَـخُـوضُـهُ   سَـفَـائِـنُ لَـكِـنْ مِـنْ مُـضَـمَّـرَةٍ جُـرْدِ
حَـقِـيـقَـةَ مَـعْـنَـى الْـفَـتْـكِ عَـرَّفَ سَـيْـفُـهُ   وَلاَ غَزْو لِلتَّعْرِيفِ إِنْ صَحَّ بِالحَدِّ(3)
وَلَـمْ يُـلْـهِـهِ نَـهْـدٌ عَـلَـى الـصَّـدْرِ عِـنْـدَمَـا   تَحَمَّلَ مِنْهُ الطِّرْفُ صَدْرَاً عَلَى نَهْدِ
لَـهُ الـهَـضْـبَـةُ الـشَّـمَـاءُ فِـي آلِ يَـعْـرُبٍ   وَبُحْبُوحَةُ المَجْدِ الْمُؤَثَّلِ فِي الأَزْدِ(4)
مِـنَ الـعَـرَبِ الْـغُـرِّ الـبِـهَـالِـيـلِ أَخْـفَـرُوا   بِأَسْيَافِهِمْ مَا كَانَ لِلدِّرْعِ مَنْ عَهْدِ

---

(1) إشارة إلى الحديث النبوي: «اشتدي أزمة تنفرجي» وعليه قامت المنفرجة ومعارضاتها. (انظر فصل المجاراة من هذا البحث).

(2) في الأصل: أو تلى.

(3) إشارة للتعريف «بالحد» في علم المنطق.

(4) أزد: مجموع قبائل يمنية تنتمي إلى أزد بن الغوث، من نسل مهلان ابن سبأ.

كِـرَامُ بَـنِـي زَيْـدِ بْـنِ كَـهْـلاَنَ قَـادَةٌ طَـوَالَـعُ أَنْـجَـادِ الأَصَـالَـةِ وَالْـمَـجْـدِ
غَـدَتْ وَرْدَةً مِـثْـلَ الـدِّهَـانِ هِـضَـابُـهُـمْ لِـكَـثْـرَةِ شَـبِّ الـنَّـارِ بِـالـعَـنْـبَـرِ الـوَرْدِ
فَـهُـمْ مَـا هُـمُ وَالـسُّـمْـرُ تُـشْـرَعُ فِـي الـوَغَـى صُـدُوراً بِـهَـا مَـا بِـالـصُّـدُورِ مِـنَ الـحِـقْـدِ
وَهُـمْ مَـا هُـمْ وَالْـمَـحْـلُ فِـي الأُفْـقِ ضَـارِبٌ بِـأَرْوَاقِـهِ[1] فِـي أَوْجُـهِ الْـبَـرْقِ وَالـرَّعْـدِ
ذُؤَابَـةُ مَـجْـدٍ مِـنْ سُـلاَلَـةِ خَـزْرَجٍ بَنُو الْحَسَبِ الوَضَّاحِ وَالشَّرَفِ الْعَدِّ[2]
لَـهُـمْ خَـلَـفٌ أَلْـفَـوْهُ فِـي الْـخُـبْـرِ[3] مِـثْـلَـهُـمْ وَلاَ غَـرْوَ فَـالأَشْـبَـالُ فِـي الـخُـبْـرِ كَـالأُسْـدِ
وَإِنَّ أَمِـيـرَ الـمُـؤْمِـنِـيـنَ لَـخَـيْـرُ[4] مَـنْ يَـدِيـنُ بِـتَـقْـوَى الـلَّـهِ فـي الـحَـلِّ وَالْـعَـقْـدِ
وَأَرْعَـفَ أَنْـفَ الـصُّـبْـحِ كَـثْـرَةُ شَـمِّـهِ لِمِسْكِ الدُّجَى حَتَّى رَمَى الْمِسْكَ مِنْ يَدِ[5]
وَقَـدْ هَـمَـلَـتْ وُطْـفُ الـسَّـحَـابِ[6] كَـأَنَّـهَـا مَـدَامِـعُ عَـيْـنِـي أَوْ نَـوَالُ مُـحَـمَّـدِ
سَـمِـيُّ رَسُـولِ الـلَّـهِ وَالـمَـلِـكُ[7] الَّـذِي لَـهُ شَـادَتِ الأَنْـصَـارُ أَشْـرَفَ مَـحْـتَـدِ
إِمَـامُ الـهُـدَى الْـمَـنْـصُـورُ والـبَـطَـلُ الَّـذِي بِـهِ الأُسْـدُ أُسْـدُ الـغَـابِ فِـي الـوَثْـبِ تَـقْـتَـدِي
سَـلِـيـلُ أَبِـي الـحَـجَّـاجِ أَكْـرَم مُـسْـعِـفٍ بِـأَكْـرَمِ مَـا يُـرْجَـى وَأَعْـظَـم مُـسْـعِـدِ[8]
مِـنَ الـرَّاكِـضِـيـنَ الـخَـيْـلَ تَـزْحَـفُ لِـلْـوَغَـى سِـرَاعـاً[9] كَـأَمْـثَـالِ الـنَّـعَـامِ الـمُـشَـرَّدِ
صَـوَاهِـلَ غُـرًّا لَـمْ تَـزَلْ مُـنْـذُ مُـجِّـدَتْ تُـنَـقِّـبُ عَـنْ يَـوْمٍ أَغَـرَّ مُـمَـجَّـدِ

(1) الأصل: بأوراقه.
(2) العد: القديم. يقال حسب عد. (وسيط: عد).
(3) الأصل: الحبر.
(4) في الأصل: كخير.
(5) من هنا استأنف ابن الخطيب النقل من هذه القصيدة في النفاضة: 3\127.
(6) النفاضة: سحب السماء.
(7) النفاضة: الملك.
(8) هذا البيت ليس في «المزاين».
(9) في الأصل: سراع، والتصويب من النفاضة مراعاة للموقع الإعرابي.

ذُؤَابَةُ مَجْدٍ فِي الصَّرِيحِ تَأَثَّلُوا فُرُوعَ المَعَالِي بَيْنَ مَثْنَى وَمَوْحِدِ[1]
سَرَاةُ بَنِي كَهْلاَنَ قَرَّتْ كُهُولُهُمْ وَشُبَّانُهُمْ وَالشِّيْبُ في خَيْرِ مصْعَدِ
هُمُ القَوْمُ أَمَّا مَنْ حَصُوْا فَهْوُ غَالِبٌ عِدَاهُ، وَأَمَّا مَنْ هَدَوْا فَهْوَ مُهْتَدِي[2]
وَهُمْ مَا هُمُ وَالْخَيْلُ تَرْدَى كَأَنَّهَا سَفَائِنُ فِي بَحْرٍ مِنَ النَّقْعِ مُزْبِدِ
أَمِيرٌ[3] حَوَى المُلْكَ الرَّفِيعَ وَدُونَهُ مَقَامٌ لَهُ الْحَرْبُ الْعَوَانُ بِمَرْصِدِ
فَبَأْسٌ كَلَفْحِ الْبَرْقِ فِي قَلْبِ مُعْتَصٍ وَجُودٌ كَسَفْحِ الْغَيْثِ فِي كَفِّ مُجْتَدِ[4]
وَمَا كُلُّ مَنْ سَلَّ السّيوفَ بِضَارِبٍ وَمَا كُلُّ مَنْ هَزَّ الرِّمَاحَ بِمُقْصِدِ
حَيَاةٌ لِمَظْلُومٍ وَمَوْتٌ لِظَالِمٍ وَبُشْرَى لِمُعْتَدٍّ وَوَيْلٌ لِمُعْتَدِ
يَلَذُّ نَدَاهُ بَعْدَ إِرْهَابِ بَأْسِهِ كَمَا لَذَّ نَوْمٌ بَعْدَ طُولِ تَسَهُّدِ[5]
وَتَرْضَى رِمَاحُ الْخَطِّ حَطْمَ قُدُودِهَا إِذَا هَزَّهَا لِلطَّعْنِ فِي كُلِّ مَشْهَدِ
وَيَحْسُنُ فِي سَمْعِ الْحُسَامِ ضِرَابُهُ كَمَا تَحْسُنُ الأَمْدَاحُ فِي سَمْعِ سَيِّدِ
نَمَاهُ لِنَصْرِ الدِّينِ نَصْرٌ وَقَدْ حَوَى عَنِ الْجَدِّ[6] سَعْدٍ، أَيَّ سَعْدٍ مُجَدَّدِ
لَكَ اللَّهُ مَا أَزْكَى مَنَاقِبَكَ الَّتِي تَبَوَّأْتَ مِنْهَا فِي الْجَنَابِ الْمُمَهَّدِ
وَمَا الْفَضْلُ إِلاَّ مَا حَوَيْتَ وَإِنَّهُ لَعَنْ أَمْجَدٍ سَامِي الْعَلاَءِ فَأَمْجَدِ

---

(1) هذا البيت ليس في النفاضة، ويدل حذفه على حسن ذوق فقد اختلطت به صفات الممدوحين بصفات الخيل.

(2) في النفاضة: «وأما من هدوه فمهتدي».

(3) النفاضة: إمام.

(4) النفاضة: فبأس كسفح البرق في قلب مبغض وجود كسحّ الغيث في كف مجتد. ولفح البرق: إصابته وإحراقه بالصواعق.

(5) في النفاضة: «ما لذّ جمع الشّمل بعد تبدد». ومثل هذه التغييرات تبعث على التساؤل، إن كانت من صنع الشاعر أم من صنع ابن الخطيب مؤلف «النفاضة».

(6) النفاضة: سعدا، وجرها في «المزاين» على البدلية من الجد، ونصبها في النفاضة على المفعولية لحوى.

صَدَعْتَ بِشَمْسِ الْعَدْلِ فِي مَشْرِقِ الْهُدَى وَأَرْشَدْتَ مِنَّا لِلتُّقَى كُلَّ مرْشِدِ
وَقُمْتَ بِأَمْرٍ كَانَ فَرْضاً عَلَيْكَ أَنْ تَقُومَ بِهِ رُحْمَى لِكُلِّ مُوَحِّدِ
وَأَذْهَبْتَ عَنَّا فِتْنَةً جَاهِلِيَّةً لَهَا فِي حَشَى الإِسْلاَمِ أَيُّ تَوَقُّدِ
[وَقَدْ كُنْتَ أَوْحَشْتَ الْبِلاَدَ وَأَهْلَهَا وَأَذْكَرْتَ حُسْنَ الْعَهْدِ فِي كُلِّ مَعْهَدِ
وَأَظْلَمَتِ الدُّنْيَا لِبُعْدِكَ وَاغْتَدَتْ مُرَدَّدَةً ذِكْرَ الْحَنِينِ الْمُرَدَّدِ
إِلَى أَنْ أَرَانَا اللَّهُ غُرَّتَكَ الَّتِي جَلَتْ كُلَّ بُشْرَى فِي مَطَالِعِ أَسْعُدِ[1]
وَكُنْتَ كَمِثْلِ الرُّوحِ عَادَ لِجِسْمِهِ وَكَالنَّوْمِ وَافَى الْعَيْنَ بَعْدَ تَسَهُّدِ
هَنِيئاً لِهَذَا الْقُطْرِ مَقْدَمكَ الَّذِي بِهِ نِلْتُ آمَالِي وَبُلِّغْتُ مَقْصِدِي
وَبُشْرَى الْوَرَى طُرّاً بِبَيْعَتِكَ الَّتِي غَدَتْ رِفْقَ مُولِ لِلْجَمِيلِ وَمُشْهِدِ][2]
هَنِيئاً لِهَذَا الدِّينِ بَيْعَتكَ الَّتِي جَلَتْ كُلَّ بُشْرَى فِي مَطَالَعِ أَسْعُدِ
وَخَصَّتْكَ بِالْحَقِّ الَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ فَمَا شِئْتَ مِنْ غَيْبٍ كَرِيمٍ وَمَشْهَدِ
وَقَدْ رُعْتَ دِينَ الْكُفْرِ مِنْكَ بِعَزْمَةٍ سَتُودِعُ أَلْحَادَ الرَّدَى كُلَّ مُلْحِدِ
وَجُدْتَ بِمَا جَمَّعْتَ[3] لاَ الْجُودُ [مُوكِسٌ][4] وَمَا النَّيْلُ بَعْدَ الْعَوْدِ يَوْماً بِمُبْعَدِ
وَما أَصْلَحَ الْعَلْيَاءَ وَالْمَجْدَ مُصْلِحٌ لأَمْوَالِهِ يَوْمَ النَّدَى غَيْرُ مُفْسِدِ
أَقُولُ لِحَادِي الْعِيسِ[5] وَاللَّيْلُ ضَارِبٌ بِأَكْوَارِهَا فِي كُلِّ قَفْرٍ وَفَدْفَدِ
وَقَدْ أَجْهَدَتْ عُوجَ الرِّكَابِ لِبَانَةٌ[6] ثَنَتْ كُلَّ صَبْرٍ دُونَهَا وَتَجَلُّدِ

(1) سيتكرر هذا الشطر بعد ثلاثة أبيات نظراً لاختلاف المصدر.

(2) ما بين المعقوفين ستة أبيات منقولة عن النفاضة: 3\127، وبعض أعجازها مضمن في أبيات أخرى كالشطر الثاني من البيت التالي لها.. الشطر الأخير في النفاضة: «مولى للجميل ومشهد».

(3) النفاضة: عودت.

(4) في الأصل: موئس، والتصحيح عن النفاضة. والموكس: مخسر ومنقص.

(5) النفاضة: العير.

(6) في النفاضة «لبانها». واللبانة: الحاجة من غير فاقة.

وَرَاءَكَ عَـنْ كُـلِّ الْـمُـلُـوكِ وَعُـجْ بِـهَـا   لأَحْـمَـدِ مَـلْـكٍ سَـاسَ أُمَّـةَ أَحْـمَـدِ
وَأَمِّـلْ أَمِـيـرَ الْـمُـسْـلِـمِـيـنَ مُـحَـمَّـداً   تَـجِـدْ خَـيْـرَ مَـأْمُـولٍ وَأَكْـرَمَ مُـنْـجِـدِ
أَمَــوْلاَيَ حُـبِّـي مَـا عَـلِـمْـتَ وَإِنَّـهُ   لأَكْـرَمُ حُـبٍّ بِـالْـخُـلُـوصِ[1] مُـؤَكَّـدِ
وَأَمَّـا مَـدِيـحِـي فِـي عُـلاَكَ فَـأَوْحَـدٌ   يُـقَـدِّمُـهُ صِـدْقُ الـرَّجَـاءِ لأَوْحَـدِ
[فَـعُـدْ لِـي بِـمَـا عَـوَّدْتَ قَـبْـلُ مُـوَاصِـلاً   رِضَـاكَ وَأَحْـمِـدْ سَـعْـيَ عَـبْـدِكَ تُـحْـمَـدِ
وَدَعْ عَـنْـكَ مَـا قَـالَ الْـعَـدُوُّ فَـإِنَّـهُ   بِـفَـاسٍ أَتَـى بِـالـزُّورِ فِـعْـلَ تَـعَـمُّـدِ
رَمَـانِـي بِـدَاءِ [وَ] هُـوَ وَالـلَّـهِ دَاؤُهُ   وَإِنْ يُـسْـأَلِ الـحَـقُّ الَّـذِي بَـانَ يَـشْـهَـدِ
وَكُـلُّ الَّـذِي زَكَّـاهُ فِـي الـغَـرْبِ حَـاسِـدٌ   مَتَى نِلْتُ خَيْراً مِنْكَ، مَوْلاَيَ، يَكْمَدِ
وَإِنِّـي لَـرَاجٍ أَنْ يَـخِـيـبَ احْـتِـيَـالُـهُـمْ   فَـعَـادَةُ رَبِّـي أَنْ يُـخَـيِّـبَ حُـسَّـدِي][2]
وَمَـا لِـيَ فِـي غَـيْـرِ الْـعِـبَـادَةِ مَـقْـصِـدٌ   وَأَنْـتَ أَيَـا مَـوْلاَيَ تُـنْـجِـحُ مَـقْـصِـدِي
وَقَـدْ حَـدَّثَـتْـنِـي الـنَّـفْـسُ أَنَّـكَ مُـسْـعِـفِـي   بِـتَـبْـلِـيـغِ آمَـالِـي، وَأَنَّـكَ مُـسْـعِـدِي
نَـدِمْـتُ وَعَـادَ الْـهَـزْلُ جِـداً وَإِنَّـنِـي   لأُشْـفِـقُ مِـنْ ذَنْـبِـي وَمَـا كَـسِـبَـتْ يَـدِي
فَـلَـهْـفِـي عَـلَـى عُـمْـرٍ تَـقَـضَّـى سَـفَـاهَـةً   بِـتَـذْكَـارِ عَـهْـدٍ لِـلْـحَـبِـيـبِ وَمَـعْـهَـدِ
وَتَـضْـيِـيـعِ أَوْقَـاتٍ بِـمَـا لاَ أَعُـدُّهُ   لِـيَـوْمِ مَـعَـادِي وَالـمَـقَـالِ[3] الْـمُـرَدَّدِ
ضَلِلْتُ[4] عَلَى عِلْمٍ وَلَوْ كُنْتُ جَاهِلاً   لَـمَـا قُـلْـتُ إِنِّـي لَـسْـتُ كَـالْـمُـتَـعَـمِّـدِ
فَكُنْ لِي أَمِيرَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى التُّقَى   مُـعِـيـنـاً وَأَحْـمِـدْ سَـعْـيَ عَـبْـدِكَ تُـحْـمَـدِ
وَجُـدْ لِـلَّـتِـي يُـنْـمَـى لِـمِـثْـلِـكَ مِـثْـلُـهَـا   صَـنِـيـعَـةَ مَـوْلـىً لِـلْـجَـمِـيـلِ مُـعَـوِّدِ
بَـقِـيـتَ بَـقَـاءَ الـدَّهْـرِ فِـي خَـيْـرِ دَوْلَـةٍ   يُقَصِّرُ عَنْهَا الْيَوْمُ فِي النَّصْرِ عَنْ غَدِ

---

(1) النفاضة: في الخلوص.

(2) الأبيات الخمسة بين المعقوفين من زيادات «النفاضة». وفي المقابل، فإن كثيراً من أبيات هذه القصيدة موجودة في «المزاين» غير مثبته في «النفاضة».

(3) كلمة غير واضحة في الأصل، وما أثبتناه أقرب كلمة لرسمها وسياقها.

(4) في الأصل: ظللت.

وَلاَ زِلْتَ فِي غَزْوٍ وَفَتْحٍ مُوَاصَلٍ ... وَسَعْدٍ وَإِسْعَادٍ وَمُلْكٍ مُشَيَّدِ[1]

37

وقال في فتح قسنطينة[*]: [طويل]

سَلِ العِيسَ وَالْبَرْقَ الَّذِي لاَحَ مِنْ نَجْدِ ... مَتَى عَهْدُهَا بِالْجَزْعِ وَالْعَلَمِ الْفَرْدِ
وَهَلْ عِنْدَهَا عِلْمٌ بِأَعْلاَمِ حَاجِرٍ ... وَمَا هِجْنَ لِي مِنْ لاَعَجِ الشَّوْقِ وَالْوَجْدِ
وَهَلْ وَرَدَتْ مَاءَ الأُثَيْلِ وَدُونَهُ ... ظِبَاءٌ سَطَتْ أَلْحَاظُهَا النُّجْلُ بِالأُسْدِ
مَعَاهِدُ خَلَّفْنَ العِمَادَ بَوَاكِيَا ... فَمَحَّتْ مَغَانِيهَا كَحَاشِيَةِ الْبُرْدِ
أَلاَ هَلْ أَرَاهَا وَالحُمُولُ كَأَنَّهَا ... سَمَاءٌ حَدَا سَعْدٌ بِهَا أَنْجُمَ السَّعْدِ
وَهَلْ [أَرَيْنَ بَانَ][2] اللِّوَى وَمَنَازِلاً ... أَضَعْتُ بِهَا قَلْبِي وَصُنْتُ بِهَا مَجْدِي
وَكَانَ الْهَوَى هَزْلاً فَلَمَّا تَلَوْتُهُ ... بِمَنْ فِي القِبَابِ الحُمْرِ عَادَ إِلَى الجِدِّ
مِنَ الجَاعِلاَتِ النَّقْعَ بَعْضَ سُتُورِهَا ... فَمَا بُعْدُهَا يُسْلِي وَلاَ قُرْبُهَا يُجْدِي
عَقَائِلُ خَامَرْنَ العُقُولَ فَلَمْ يَبِنْ ... لَهَا الغَيُّ فِي شَرْعِ الغَرَامِ مِنَ الرُّشْدِ
فَقَدْتُ فُؤَادِي يَوْمَ عَارَضْنَنِي[3] ضُحىً ... وَسَلَّمْنَ تَسْلِيمَ البَشَاشَةِ وَالْوُدِّ
وَلَمْ أَنْسَ لاَ أَنْسَ الْحُدَاةَ وَأَيْنُقاً ... بُرَاهَا[4] سُرَاهَا بِالذَّمِيلِ وَبِالوَخْدِ
إِذَا الْتَفَتَتْ نَحْوَ الحُدُوجِ[5] تَمَايَلَتْ ... وَمَا دَمْعُهَا دَمْعِي وَلاَ سُهْدُهَا سُهْدِي

---

(1) في النفاضة: مؤيد.

(*) فيض العباب (نسخة الخزانة الحسنية: 177-179، والنص المحقق: 142-144)، وكان فتح قسنطينة ضمن حركة أبي عنان فارس المريني التي دونها ابن الحاج في رحلته «فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب»، وذلك سنة 758 هـ. (انظر العبر: 7\351، وفيض العباب: 131).

(2) بياض في النص المحقق.

(3) فيض العباب: عارضتني.

(4) فيض العباب: يراها. والبرى: ما يوضع في أنوف الإبل لتذليلها.

(5) الحدوج: الحمول.

خَلِيلَيَّ هَلْ مِنْ وَقْفَةٍ دُونَ رَامَةٍ فَأَشْكُو بِشُحِّ الشِّيحِ وَالْبَانِ وَالرَّنْدِ
وَيَا مُسْعِدِي مِنْ آلِ سَعْدٍ عَلَى هَوىً غَدَا عِنْدَهُ [مِنْ][1] عِلْمِ بَلْوَاهُ مَا عِنْدِي
وَرَاءَكَ إِلاَّ عَنْ تَلَهُّبِ زَفْرَتِي بِتِلْكَ الَّتِي تَزْدَادُ وَقْداً عَلَى وَقْدِ
سَرَى طَيْفُ سَلْمَى وَالنُّجُومُ كَأَنَّهَا مَطَافِلُ غِزْلاَنٍ تَحُومُ عَلَى وِرْدِ
وَلاَحَتْ سُيُوفُ الْبَرْقِ فِي رَاحَةِ الدُّجَى فَمَا اتَّخَذَتْ غَيْرَ الْغَمَامَةِ مِنْ غِمْدِ
وَقَدْ مَاسَ قَدُّ الغُصْنِ فِي حُلَّةِ الصَّبَا وَسَالَتْ دُمُوعُ الطَّلِّ[2] فِي وَجْنَةِ الْوَرْدِ[3]
فَيَاقَلْبُ لاَ تَذْهَبْ عَلَى الْقُرْبِ حَسْرَةً فَأَحْسَنُ مِنْ قُرْبٍ وَفَاؤُكَ فِي بُعْدِ
وَيَا نَفْسُ لاَ يَأْخُذْ بِكِ الْيَأْسُ فِي الهَوَى مَآخِذَهُ فَالْوَصْلُ فِي عَقِبِ الصَّدِّ
وَقَدْ يُدْرِكُ الإِنْسَانُ مَا لَمْ يَكُنْ لَهُ بِرَاجٍ وَيُعْطَى فَوْقَ مَا نَالَ مِنْ قَصْدِ
كَمَا أُوسِعَ الْقَوْمُ الَّذِينَ حَوَتْهُمُ قَسَنْطِينَةٌ جُوداً وَرِفْداً عَلَى رِفْدِ
أَنَابُوا لِمَوْلاَنَا الْخَلِيفَةِ فَارِسٍ فَفَازُوا بِنَيْلِ السَّعْدِ وَالْعِيشَةِ الرَّغْدِ
وَلَوْلاَ[4] ضِيَاءُ الشُّهْبِ وَالْبَدْرِ في الدُّجَى لَمَا سَارَ مَنْ يُهْدَى وَلاَ كَانَ مَنْ يَهْدِي
وَمِنْ بَيِّنَاتِ الْفَوزِ أَنْ يَنْظُرَ[5] الْعِدَى لِمَا حَازَ مَنْ عَادَوْهُ مِنْ شَرَفٍ عِدِّ
وَلِلَّهِ يَا لِلَّهِ فَارِسُ الَّذِي غَدَا كَاسْمِهِ وَالخَيْلُ خَوْفَ الرَّدَى تُرْدِي
وَتَأْبَى الْعُلاَ إِلاَّ السَّمَاحَةَ وَالنَّدَى وَسِرُّ التُّقَى إِلاَّ البَقَاءَ عَلَى العَهْدِ
وَمَا يَوْمٍ كَالْيَوْمِ[6] الَّذِي جَاءَ بِالَّتِي أَمَاطَتْ نِقَابَ النَّصْرِ فِي مَوْكِبِ العَضْدِ
عَرُوسٌ مِنَ الْفَتْحِ الْمُبِينِ تَزَيَّنَتْ فَقَامَتْ مِنَ الرُّمْحِ الْقَوِيمِ عَلَى قَدِّ

---

(1) فيض العباب: ما.
(2) في النص المحقق: الظل.
(3) هذا البيت والبيتان بعده من المكررات في القصيدة التي مدح بها الغني بالله.
(4) في فيض العباب: «رأوا لا».
(5) فيض العباب: ينظروا.
(6) النص المحقق: وأنتم كاليوم.

وَمَا أَضْحَكَتْ غَيْرَ الظُّبَا[1] مِنْ مَبَاسِمٍ ... وَلاَ وَرَّدَتْ غَيْرَ الصَّوَارِمِ مِنْ خَدِّ
وَمَا نَشَرَتْ غَيْرَ الْعَجَاجِ ذَوَائِباً ... وَمَا نَظَمَتْ غَيْرَ الجَمَاجِمِ مِنْ عِقْدِ
وَمَا اتَّخَذَتْ غَيْرَ الخُيُولِ مَجَالِساً ... وَمَا افْتَرَشَتْ غَيْرَ الْمَآزِقِ مِنْ مَهْدِ
نَتِيجَةُ عَزْمٍ عَلَّمَ السُّمْرَ فِي الوَغَى ... طِعَانَ العِدَى وَالدِرْعُ مُحْكَمَةُ السَّرْدِ
وَآثَارُ مَأْثُورِ الْحَفِيظَةِ لَمْ تَزَلْ ... أَفَاعِيلُهُ وَقْفاً عَلَى الشُّكْرِ وَالْحَمْدِ
أَزَارَ الْعِدَى لَجْأً وَأَزْحَفَ بِالرَّدَى ... شَرُوباً دِمَاءَ المَارِقِينَ عَلَى حَرْدِ[2]
وَأَرْعَنَ كَالْبَحْرِ الْخِضَمِّ تَخُوضُهُ ... سَفَائِنُ لَكِنْ مِنْ مُضَمَّرَةٍ جُرْدِ
وَحَفَّتْ بِهَا الأَنْهَارُ لَكِنْ مِنَ الظُّبَا ... فَصَيَّرَتِ الأَعْدَاءَ لِلْجَزْرِ وَالْمَدِّ
وَمَا اتَّبَعَتْ يَوْماً قَسَنْطِينَةُ الْهَوَى ... هَوَاهَا وَلاَ كَانَ التَّمَنُّعُ عَنْ عَمْدِ
وَلَكِنْ لِتَحْظَى بِاقْتِرَابِ خَلِيفَةٍ ... يَدِينُ بِتَقْوَى اللَّهِ فِي الحِلِّ وَالعَقْدِ
وَإِنَّ بِقَاعِ الأَرْضِ كَالنَّاسِ بَعْضُهُمْ ... غَدَا غَيْرَ مَجْدُودٍ وَآخَرُ ذَا جَدِّ[3]
فَلِلَّهِ عَيْنَا مَنْ رَأَى يَوْمَ فَتْحِهَا ... عَجَائِبَ قَدْ جَلَّتْ عَنِ الْحَصْرِ وَالْعَدِّ
أَتَتْهَا جُيُوشٌ زَاحِفَاتٌ كَأَنَّهَا ... مَعَ النَّصْرِ قَدْ كَانَتْ هُنَاكَ عَلَى وَعْدِ
فَأَذْعَنَ أَهْلُوهَا وَجَاءَ أَمِيرُهُمْ[4] ... لأَكْرَمِ مَوْلىً شَأْنُهُ الرِّفْقُ بِالْعَبْدِ
فَأَعْطَيْتَهُ حَتَّى الْحَيَاةَ مَوَاهِباً ... لِرَبِّكَ مِنْهَا مَا تُعِيدُ وَمَا تُبْدِي
وَلاَ فَرْقَ عِنْدَ الحَاضِرِ الشَّهْمِ بَيْنَ مَنْ ... غَدَا وَهْوَ مَحْصُورٌ وَمَنْ مَرَّ فِي لَحْدِ

---

(1) النص المحقق: الضبا.

(2) تكررت الألفاظ الرئيسة في هذا البيت ضمن واحد من الأبيات التي مدح بها الغني بالله، وربما أعاد البيت أو الشطر حرفياً الأمر الذي يدل على وجود ظاهرة الاستعارة من الذات بصورة واضحة في شعر ابن الحاج كما هو في شعر ابن زمرك والملجأ في الشطر الأول: المعقل.

(3) الفيض: حد. والجد: هنا الحظ، وقد قابله بغير مجدود.

(4) أميرهم: هو أبو العباس الحفصي، سلمه سكان قسنطينة إلى المرينيين فاعتقلوه بسبتة، ودخل أبو عنان إلى قسنطينة فاتحاً. (العبر: 7\351).

وَمَنْ كَانَ جَيشُ الرُّعْبِ يُفْنِي عِدَاتَهُ فَذَاكَ غَنِيٌّ فِي الْحُرُوبِ عَنِ الْجُنْدِ
مَتَتْتَ وَبَعْدَ الْمُلْكِ أَسْجَحْتَ مُنْعِماً فَلِلَّهِ مَا أَسْدَيْتَ فَضْلاً وَمَا تُسْدِي
وَيَا حُسْنَ فَتْحٍ عَمَّ تَصْحِيفُهُ الْعِدَى وَمَقْلُوبُهُ وَافَى لَهُمْ مُزْعِجَ الْوَفْدِ[1]
هُمُ الْعَرَبُ[2] الْعَرْبَاءُ لاَ دَرَّ دَرُّهُمْ وَلاَ حَوَّمُوا بِالعِيسِ إِلاَّ عَلَى ثَمْدِ
سَلَبْتَهُمْ بِالسَّيْفِ أَمَّ قُرَاهُمْ فَمَا ظَفِرُوا مِنْهَا بِغَوْرٍ وَلاَ نَجْدِ
وَقَدْ أَشْبَهُوا الْخَنْسَاءَ[3] حُزْناً فَكُلُّهُمْ يَنُوحُ عَلَى صَخْرٍ وَيَشْكُو مِنَ الْفَقْدِ
أُتِيحَتْ لَهُمْ فِيهَا الدَّوَاهِي دَوَاهِماً فَأَعْطَتْهُمْ كُلَّ الْهُمُومِ وَلَم تَكْدِ
وَأَنْسَتْهُمُ نَهْداً عَلَى الصَّدْرِ مُعْجِباً حُرُوبُ إِمَامٍ جَاءَ صَدْراً عَلَى نَهْدِ
إِمَام هُدىً قَادَ الْجِيَادَ إِلَى الوَغَى سِرَاعاً كَمَا طَارَ الشَّرَارُ مِنَ الزَّنْدِ
فَمَرَّتْ رِيَاحٌ كَالرِّيَاحِ سَحَابُهَا دُمُوعُهُمُ خَوْفَ الْمَذَلَّةِ والطَّرْدِ
فَهَذِي رِمَاحُ [الخطِّ][4] تُشْرِعُ نَحْوَهُمْ صُدُوراً بِهَا مَا فِي الصُّدُورِ مِنَ الحِقْدِ
وَهَذِي السُّيُوفُ البِيضُ تَرْتَدُّ نَحْوَهُمْ [لِتَشْفِيرِهَا][5] بِالْفَتْكِ مِنْ كُلِّ مُرْتَدِّ
مِنَ البَاتِرَاتِ الآكِلاَتِ غُمُودَهَا فَوَاصِل لاَ عَنْ فِكْرَةٍ لاَ وَلاَ [جَهْدِ][*]
تَجُودُ عَلَى نَارِ الوَغَى بِنُفُوسِهَا كَأَنَّ سُيُوفَ الْهِنْدِ بَعْضُ بَنِي الْهِنْدِ
سَتَتْرُكُهُمْ فِي الأَرْضِ لِلنَّاسِ عِبْرَةً وَلَيْسَ لاِمْرٍ شَاءَهُ اللَّهُ مِنْ رَدِّ

(1) يريد بتصحيفه ومقلوبه: الفتخ، والحتف، وهما الثني والهلاك.

(2) هم الأعراب حول قسنطينة وبجاية وفيهم رياح وبنو سدويكش وغيرهم.

(3) الخنساء: هي تماضر بنت عمرو بن الحارث: شاعرة مخضرمة. (انظر: الشعر والشعراء: 123، وأعلام النساء: 1\305، وخزانة البغدادي: 1\208).

(4) في الفيض: الخد.

(5) شفر السيف: أصاب حده. وفي الفيض: (لتشفيها) ولا يستقيم الوزن بذلك وزناً ولا معنى.

(*) في النص المحقق: حبد.

فَسِرْ فِي ضَمَانِ اللَّهِ مُلْكُكَ فَوْقَ مَا تَسَنَّى قَدِيماً لِلرَّشِيدِ وَلِلْمَهْدِي[1]
وَلاَ تُبْدِ شَمْسَ الشَّرْقِ فَالْغَرْبُ مُطْلِعٌ شُمُوسَ هُدىً تُبْدِي لِذِي الرُّشْدِ مَا تُبْدِي
بَقِيتَ سَعِيداً فِي الْمُلُوكِ مُخَلَّداً وَلاَ زِلْتَ تَهْدِينَا إِلَى جَنَّةِ الْخُلْدِ
وَدُونَكَ مَدْحاً شَبَّهَ المِسْكَ عَرْفُهُ فَطَيِّبُهُ يُنْسِي أَبَا الطَّيِّبِ الكِنْدِي[2]

38

«وقال أيضاً[**]: [طويل]

أَلاَ رُبَّ شَادٍ قَامَ يَضْرِبُ عُودَهُ عَلَى حِينِ لَمْ يُوفِ الْحَبِيبَ بِمَوْعِدِ
فَأَضْرَمَ نَارَ الشَّوْقِ بَيْنَ جَوَانِحِي وَلاَ عَجَبٌ أَنْ تُضْرَمَ النَّارُ بِالعُودِ

39

«وقال في قاضي القُضاة العالم الشهير، صاحب التفسير، عماد الدين الكِنْدِي، وهو ممن أخذ عنه بثغر الاسكندرية[***]: [متقارب]

وَلَمَّا اخْتَبَرْتُ ذَوَاتَ الْوَرَى تَعَجَّبْتُ مِنْ حُسْنِ ذَاتِ العِمَادِ
فَتِلْكَ الَّتِي لَمْ أَكُنْ مُبْصِراً مَدَى عُمُرِي مِثْلَهَا فِي الْبِلاَدِ»[3]

(1) هارون الرشيد والمهدي: من مشاهير خلفاء بني العباس.
(2) يقصد أبا الطيب المتنبي.
(**) الكتيبة: 269.
(***) النفح: 7\111.
(3) ورَّى بذات العماد المذكورة في القرآن الكريم (الفجر: 7) عن ذات عماد الكندي المذكور.



40

«وله أيضاً(*): [كامل]

لِـمَـنِ الْـكُـمَـاةُ تَـقَـلَّـدُوا الـفُـولاَذَا ... وَتَـعَـوَّدُوا الإرْقَـالَ وَالإِغْـذَاذَا[1]
وَتَـعَـلَّـمُـوا لَـعِـبَ[2] الْـوَغَـى فِـي مَـأْزِقٍ ... عَـنْـهُ تَـسَـلَّـلَـتِ الْـمُـلُـوكُ لِـوَاذَا
وَفَـوَارِسٍ وَافَـوْا زَرَافَـاتٍ وَكَـمْ ... قَـدْ أَنْـسَـلُـوا[3] يَـوْمَ الْـوَغَـى أَفْـذَاذَا
وَحَـمَـوْا ضَـعَـائِـنَـهُـمْ بِـسُـمْـرِ ذَوَابِـلٍ ... قَـدْ أَنْـفَـذَتْ ثَـغْـرَ الـعِـدَى إِنْـفَـاذَا
مِـنْ كُـلِّ رَكَّـابِ الْـعَـظَـائِـمِ ضَـارِبٍ ... لِـلْـهَـامِ ظَـلَّ لأَهْـلِـهَـا أَخَّـاذَا
يَـتَـسَـاءَلُ الْـحُـسَّـادُ عَـنْـهُ كَـأَنَّـهُـمْ ... لَـمْ يَـجْـعَـلُـوهُ مَـلْـجَـأً وَمَـلاَذَا
وَإِذَا رَأَوْهُ مِـنَ الـثَّـنَـايَـا طَـالِـعـاً ... قَـالُـوا، وَقَـدْ عَـرَفُـوا: أَلاَ مَـنْ هَـذَا
وَكَـأَنَّـمَـا الْـمِـسْـكُ الْـفَـتِـيـقُ بِـبُـرْدِهِ ... مَـدْحُ ابْـنِ نَـصْـرٍ[4]، ذَا لِـذَلِـكَ حَـاذَا
مَـلِـكٌ حَـكَـى كِـسْـرَى[5] وَقَـيْـصَـرَ إِذْ سَـطَـا ... وَزَرَى بِـهَـامَـانٍ وَفَـاقَ قُـبَـاذَا
وَحَـكَـى بَـنِـي الـعَـبَّـاسِ فِـي الْـمُـلْـكِ الَّـذِي ... تَـحْـكِـي بِـهِ غَـرْنَـاطَـةٌ بَـغْـذَاذَا
مِـنْ آلِ خَـزْرَجَ فِـي سَـرَارَةِ ضِـئْـضِـيءٍ[6] ... لاَذَتْ بِـهِ الـغُـرُّ الـكِـرَامُ لِـيَـاذَا

(*) المزاين: 2 ب.
(1) الأرقال والأغذاذ: السرعة في السير.
(2) في الأصل: اللعب.
(3) أنسل في عَدْوِه: أسرع.
(4) هو محمد الغني بالله الذي خصه بمدائح المزاين كلها.
(5) كسرى: ملك الفرس. قيصر: ملك الروم. هامان: وزير فرعون. وقباذ من الأكاسرة، ورد ذكره في بعض المدائح النبوية. (انظر: النفح: 7\501).
(6) سرارة الحسب: أوسطه وأفضله. والضئضيء: الأصل.

مِـنْ آلِ نَـصْـرٍ وَالأَحَـامِـرَةِ[1] الأُلَـى كَـانُـوا لأَكْـبَـادِ الـعُـلاَ أَفْـلاَذَا
وَالـمُـعْـتَـلِـي لِـلـرُّومِ فِـي رَجْـرَاجَـةٍ عَـاذَتْ بِـهَـا غُـرُّ الـفُـتُـوحِ عِـيَـاذَا
وَالـجَـاعِـلُ الأَصْـنَـامَ تِـلْـكَ وَأَهْـلَـهَـا بِـالـسَّـمْـهَـرِيَّـةِ[2] وَالـسُّـيُـوفِ جُـذَاذَا
فِـي الـعِـلْـمِ أُسْـتَـاذٌ إِذَا صُـرِفَـتْ لَـهُ هِـمَـمُ الْـمُـلُـوكِ، وَيَـا لَـهُ أَسْـتَـاذَا
وَعَـلَـى الـمَـعَـالِـي لَـمْ يَـزَلْ مُـسْـتَـحْـوِذاً وَعَـلَـى الْـمَـكَـارِمِ كُـلِّـهَـا اسْـتِـحْـوَاذَا
وَتَـلاَ الْـمُـلُـوكَ فَـكَـانَ أَفْـضَـلَ مِـنْـهُـمُ كَـالْـوَبْـلِ يَـتْـلُـو فِـي الْـبِـطَـاحِ رَذَاذَا
وَحَـمَـى بِـلاَدَ الـمُـسْـلِـمِـيـنَ فَـسَـيْـفُـهُ سَـيْـفٌ غَـدَا لِـلْـعَـائِـذِيـنَ مَـعَـاذَا
وَأَزَالَ عَـنْ أَهْـلِ الـبِـلاَدِ إِذَايَـةً لَـهُـمُ، فَـبَـاءَ بِـحَـسْـرَةٍ[3] مَـنْ آذَا
وَمَـعَ الـمُـلُـوكِ نَـعَـمْ جَـرَى فِـي حَـلْـبَـةٍ وَجَـرَوا فَـبَـذَّ وَلَـمْ يَـزَلْ بَـذَّاذا
وَغَـدَا يُـسَـاجِـلُ[4] جُـودُهُ صَـوْبَ الْـحَـيَـا لَـكِـنْ بِـهِ صَـوُبُ الْـحَـيَـا قَـدْ عَـاذَا
وَغَـدَا يُـبَـاهِـي الْـبَـدْرَ نُـورُ جَـبِـيـنِـهِ فَـكِـلاَهُـمَـا قَـدْ دَاوَمَ اسْـتِـلْـذَاذَا
وَعَـلَـى ابْـنِ يُـوسُـفِ الأَمِـيـرِ مُـحَـمَّـدٍ أُثْـنِـي، فَـأُلْـفِـي لِـلـثَّـنَـاءِ نَـفَـاذَا
مُـسْـتَـنْـقِـذِ الـعَـافِـيـنَ مِـنْ أَيْـدِي الأُلَـى قَـدْ أَسْـلَـمُـوهُـمْ لِـلـرَّدَى اسْـتِـنْـقَـاذَا
وَمُـطِـيلِ رَكْـضِ الْـخَـيْـلِ حَـتَّـى أَصْـبَـحَـتْ وَسُـرُوجُـهَـا قَـدْ مَـلَّـتِ الأَفْـخَـاذَا

---

(1) الأحامرة: جمع أحمر، يريد بها لقبهم القريب، وربما أراد انتسابهم إلى حمير.
(2) السمهرية: نسبة إلى «سمهر»، رجل كان يقوِّم الرِّماح، وقد صارت تطلق على الرماح الصلبية العود.
(3) في الأصل: بخسرة.
(4) في الأصل: «بساحل جوده»، والمعنى بهذه القراءة طريف، ولكن الاستدراك في الشطر الثاني يفيد المساجلة بين جُودِهِ وصَوْبِ الحيا.

الــراء

41

«وله، يمدح الشفيع المشفع ـ صلى الله عليه وسلم ـ وفي آخرها يمدح أبا بكر السعيد أحد ملوك مدينة فاس(*): [متقارب]

سَقَى اللَّهُ بِالأَجْرَعِ الْفَرْدِ[1] دَاراً ... لأَمْرٍ بِهَا الشَّوْقُ وَالْبَرْقُ ثَارَا
وَقَفْتُ بِهَا مُرْسِلاً عَبْرَةً ... تُطِيلُ السَّحَائِبُ مِنْهَا اعْتِبَارَا
وَلَمْ أَرَ مِنْ قَبْلِ ذَا الدَّمْعِ مَاءً ... يُؤَجِّجُ فِي الْقَلْبِ مِنِّيَ نَارَا
وَكَمْ ظَلْتُ فِيهَا أَنَا وَالنَّسِيمُ ... غَدَاةَ التَّفَرُّقِ نَشْكُو ضِرَارَا
كَأَنَّ اللَّوَاحِظَ أَعْدَيْنَنَا ... فَكُلٌّ عَلِيلٍ يُدِيمُ اعْتِذَارَا
وَكَمْ جِئْتُهَا خَلْفَ بَرْقٍ لَمُوعٍ ... كِلاَنَا، لَعَمْرِيَ، يَحْدُو الْقِطَارَا
وَفَوْقَ الرَّوَاجِلِ أَحْوَى الْجُفُونِ ... بِبُعْدٍ وَإِنْ ظَلَّ يُدْنِي مَزَارَا
حَكَى الظَّبْيَ لَحْظاً وَجِيداً وَفَرْعاً ... وَبِالرَّغْمِ مِنْهُ حَكَاهُ نِفَارَا
وَلَمْ أَنْسَ لاَ أَنْسَ يَوْمَ النَّوَى ... ذَوَائِبَ فِي لَيْلِهَا الصَّبُّ حَارَا
وَحُسْنَ الثُّغُورِ الَّتِي خِلْتُهَا ... حُبَاباً عَلَى خَمْرَةِ الرِّيقِ دَارَا
وَقَالُوا: هُوَ الدُّرُّ أَصْدَافُهُ ... قِبَابٌ فَأَجْرَيْتُ دَمْعِي بِحَارَا
وَكَمْ بِالْحِمَى مِنْ غَزَالٍ رَعَى ... بِنَجْدٍ فُؤَادِي وَخَلَّى الْعَرَارَا[2]

(*) جذوة الاقتباس 1\93. وأبو بكر السعيد تولى صبياً صغيراً بعد وفاة أبيه أبي عنان فارس، ودامت ولايته ما بين ذي الحجة 759هـ وشعبان 760هـ، حيث أغرقه وزيره حسن بن عمر الفودودي. وبذلك يتبين أن القصيدة كانت على الأرجح في شهر ربيع الأول من سنة 760هـ.

(1) الأجرع: الأرض ذات الحزونة تشبه الرمل. والفرد: المنفرد المتوحد والمنقطع عن أشباهه.

(2) العرار: نبات طيب الرائحة، ونلاحظ أنه مع نباتات بدوية أخرى كالشيح، والأثل، والبان.. يرد كثيراً في المقدمات الحجازية والمولديات والمدائح.

وَشَمْسٍ تَوَارَتْ لَنَا بِالْحِجَابِ ... وَلَكِنْ حِجَاب قُلُوبِ الْغَيَارَى
فَأَعْقَبَهَا اللَّيْلُ وَهْوَ الْقَتَامُ ... يُقِلُّ السَّحَائِبَ وَهْيَ الْمَهَارَى
وَيَا مَنْ رَآنِي أَجِدُّ اصْطِبَاحاً ... بِكَأْسِ الْغَرَامِ وَأَبْلَى اصْطِبَارَا
وَعَاطِلَةِ الْجِيدِ حَلَّيْتُهَا ... بِشِعْرِي نِظَاماً وَدَمْعِي نِثَارَا
وَجَاهَرْتُ بِالْحُبِّ لَمَّا بَدَتْ ... فَلَمْ أَرَ بَدْراً يُحِبُّ السِّرَارَا
وَقَالُوا حَكَى اللَّحْظَ مِنْهَا فُؤَادِي ... صَدَقْتُمْ وَلَكِنْ حَكَاهُ انْكِسَارَا
فَيَا مُبلِياً عُمْرَهُ فِي الطِّعَانِ ... كَفَتْكَ الطِّعَانَ قُدُودُ الْعَذَارَى
وَيَا كَاسِراً لِي جُفُونَ الظِّبَاءِ ... كَفَى الْحَبَّ كَسْرُ الْجُفُونِ احْوِرَارَا
وَمَا اشْتَعَلَ الرَّأْسُ مِنِّيَ شَيْباً ... فَأَوْدَعَ إِلاَّ ضُلُوعِي السِّرَارَا
وَقَدْ نَبَتَتْ حَبَّةُ الْقَلْبِ فِي ... خَمِيل مُسِيلِ الدُّمُوعِ ادِّكَارَا
لَعَمْرُ الْهَوَى وَالْعُهُودِ الَّتِي ... بِذِكْرِي لَهَا سَاكِنُ الْغَوْرِ غَارَا
لَقَدْ فَرَّقَ الْبَيْنُ إِلاَّ شُجُونِي ... وَبَلَّتْ دُمُوعِي إِلاَّ ٱلأَوَارَا[1]
وَأَرَّقَنِي، وَالْعُيُونُ هُجُوعٌ ... حَمَامٌ كَقَلْبِي بِذِي الأَثْلِ طَارَا
وَقَدْ هِجْتُهُ مِثْلَ مَا هَاجَنِي ... فَأَبْكِي مِرَاراً وَيَبْكِي مِرَارَا
وَمِمَّا نَفَى النَّوْمَ عَنِّيَ بَرْقٌ ... ظَنَنَّاهُ بَيْنَ الثَّنَايَا افْتِرَارَا
وَقَدْ أَعْجَزَ السُّحْبَ عَنْ بَذْلِهِ ... فَتُهْدِي لُجَيْناً وَيُهْدِي نُضَارَا
لَحَا اللَّهُ قَلْبِيَ كَمْ ذَا الْهَوَى ... وَقَدْ رَدَّ دَهْرِي شَبَابِي الْمُعَارَا
وَعَادَ نُصُولاً بِطُولِ الْخِضَابِ ... فَأَدْرَكَ فِي مُنْغِصِ الشَّيْبِ ثَارَا
أَرَى الطِّبَّ عَارًا وَلَوْ قُلْتُ آهاً ... عَلَى زَمَنِ الْحَيْفِ لَمْ يَكُ عَارَا
رُبُوعٌ مَتَى تَرِبَتْ بِالْحَجِيجِ ... جَعَلْنَا الشُّعُورَ عَلَيْهَا شِعَارَا

(1) الأوار: حر النار والشمس، واستعير هنا لحر الجوى والشوق.

مِـنَ الـمُـوقِـدَاتِ جِـمَـارَ الْـهَـوَى ... إِذَا مَـا رَمَـى الـصَّـبُّ فِـيـهَـا الْـجِـمَـارَا
سَـفَـكْـنَـا الـدُّمُـوعَ بِـهَـا وَالـدِّمَـا ... فَـرَاقَـتْ خُـدُودُ الـبِـطَـاحِ احْـمِـرَارَا
وَلِـلَّـهِ جَـمْـعٌ وَجَـمْـعِـي بِـهَـا ... لِـشَـمْـلِ الـمُـحِـبِّـيـنَ أمْـسَـوْا حَـيَـارَى
وَمَـوْقِـفُـنَـا وَالـدُّجَـى مُـسْـكَـةٌ ... فَـكَـفُّ الـصَّـبَـاحِ تَـزِيـدُ انْـتِـشَـارَا
وَقَـدْ فَـجَّـرَ الـفـجـر [نَـهْـرَ] الـنَّـهَـارِ ... فَـغَـاصَـتْ حَـصَـى الـشُّـهْـبِ فِـيـهِ جِـهَـارَا
أَأُمَّ الـقُـرَى[1] هَـلْ لِـبَـذْلِ الْـقِـرَى ... سَـبِـيـلٌ فَـمَـا غِـبْـتُ عَـنْـكِ اخْـتِـيَـارَا
وَلَـكِـنْ ذُنُـوبِـي أَطَـلْـنَ انْـتِـزَاحِـي ... وَصَـيَّـرْنَ أَيَّـامَ أُنْـسِـي قِـصَـارَا
وَكَـمْ حِـجَّـةٍ أَصْـبَـحَـتْ حُـجَّـةً ... عَـلَـيَّ فَـلَـمْ تُـجْـدِ إِلاَّ اعْـتِـذَارَا
بِـنَـفْـسِـيَ رَكْـبٌ بِـبَـرْحِ الْـهَـوَى ... تَـرَاهُـمْ سُـكَـارَى وَمَـا هُـمْ سُـكَـارَى
صَـحِـبْـتُـهُـمُ وَالـدُّجَـى فَـاحِـمٌ ... فَـأَشْـعَـلْـتُ وَجْـدِي حَـتَّـى اسْـتَـنَـارَا
فَـلِـلَّـهِ عَـيْـنُ امْـرِىءٍ أَبْـصَـرَتْ ... رَوَاحِـلَـهَـا فِـي بُـرَاهَـا تَـبَـارَى
طَـوَالِـعَ مِـنْ كُـلِّ فَـجٍّ عَـمِـيـقِ ... بِـشُـعْـثٍ تَـمُـدُّ الأَكُـفَّ افْـتِـقَـارَا
أَهِـلَّـةَ سَـيْـرٍ تُـسَـمَّـى مَـطَـايَـا ... بِـأَفْـلاَكِ أُفْـقٍ تُـسَـمَّـى قِـفَـارَا
وَلَـمَّـا أَتَـيْـنَـا نَـؤُمُ الـعَـقِـيـقَ[2] ... جَـرَى كَـاسْـمِـهِ دَمْـعُ عَـيْـنِـي ابْـتِـدَارَا
وَأَسْـرَى إِلَـى الْـحَـرَّةِ[3] الـصَّـبُّ يَـطْـوِي ... عَـلَـى الـوَجْـدِ فِـيـهَـا ضُـلُـوعـاً حِـرَارَا
وَأَنْـضَـيْـتُ ثَـوْبَ الْـهَـوَى إِذْ دَنَـا ... إِلَـيَّ الـنَّـقَـا وَالْـتَـمَـسْـتُ الـدِّيَـارَا
وَعِـنْـدَ الـمُـصَـلَّـى أَعَـدْتُ الـصَّـلاَةَ ... عَـلَـى الْـمُـصْـطَـفَـى وَالْـتَـثَـمْـتُ الـجِـدَارَا
وَأَقْـبَـلْـتُ أُهْـدِي بِـبَـابِ الـسَّـلاَمِ ... إِلَـيْـهِ سَـلاَمـاً وَأُبْـدِي الـوَقَـارَا

(1) أم القرى: مكة المكرمة.

(2) العقيق؛ واد قريب من مدينة الرسول(ص) ورد ذكره في الحديث النبوي. (انظر باب التمتع بالعمرة، سنن ابن ماجة: 2\991، كتاب المناسك) وقد أفاض في تتبع مسمياته أبو جعفر الرعيني في كتابه «طراز الحلة»: 157-159. والعقيق أيضاً: حجر كريم أحمر يعمل منه فصوص.

(3) الحرّة: موضع بظاهر المدينة المنورة، وبها كانت وقعة الحرة في عهد يزيد بن معاوية.

وَقُـلْـتُ أَيَـا نَـفْـسِـي لاَ تَـجْـزَعِـي   وَلاَ تَـسْـأَمِـي لِـلْـخَـلاَصِ انْـتِـظَـارَا
فَـإِنَّ الـشَّـفَـاعَـةَ قَـدْ أُوْجِـبَـتْ   لِـكُـلِّ امْـرِىءٍ ذَلِـكَ الـقَـبْـرَ زَارَا
وَهَـذَا الـنَّـبِـيُّ الـكَـرِيـمُ الَّـذِي   يُـقِـيـلُ الـعِـثَـارَ وَيَـرْعَـى الْـجِـوَارَا
رَسُـولٌ أَتَـى رَحْـمَـةً لِـلْـوَرَى   عَـلَـى حِـيـنِ خَـافُـوا بَـوَاحـاً بَـوَارَا
رَفِـيـعُ الْـمَـنَـاسِـبِ عَـمـاً وَخَـالاً   مَـنِـيـعُ الـجَـوَانِـبِ أَهْـلاً وَجَـارَا
نَـمَـتْـهُ إِلَـى الْـغُـرِّ مِـنْ هَـاشِـمٍ   مَـحَـاتِـدُ طَـالَـتْ وَطَـابَـتْ نِـجَـارَا
وكُـثْـرُ الـمَـعَـالِـي [إِذِ] الـمَـجْـدُ نَـزْرٌ   إِذَا زَهْـرَةُ الْـحَـمْـدِ أَعْـلَـتْ فَـخَـارَا
وَقَـدْ رَحِـمَ الـلَّـهُ أَرْحَـامَـهَـا   بِـنُـورٍ أَضَـاءَ وَمَـا إِنْ تَـوَارَى
فَـلَـوْ زَارَهُ الْـبَـدْرُ بَـانَ لَـهُ   مِنَ الشَّمْسِ عَنْهُ القُصُورُ اضْطِرَارَا
شَـفِـيـعٌ إِذَا الـنَّـارُ نَـارُ الْـجَـحِـيـمِ   أَقَـامَـتْ شَـرَاراً وَلَـفَّـتْ شَـرَارَا
وَلَـوْلاَ حَـيَـا الْـغَـيْـثِ أَضْـحَـتْ هَـشِـيـمـاً   خَـمَـائِـلُ زَهْـرٍ شَـذَاهَـا اسْـتَـدَارَا
لِـمَـوْلِـدِهِ جَـلَّ مِـنْ مَـوْلِـدٍ   خَـبَـتْ نَـارُ فَـارِسَ وَالْـمَـاءُ غَـارَا[1]
وَإِيـوَانُ كِـسْـرَى تَـدَاعَـى سُـقُـوطـاً   فَـأَبْـدَى انْـكِـسَـاراً وَذَلَّ افْـتِـقَـارَا
وَحُـقَّ لِـذِي الـعَـقْـلِ حُـسْـنُ افْـتِـكَـارٍ   إِذَا مَـا أَبَـى الْـعَـقْـلُ إِلاَّ افْـتِـكَـارَا
وَلاَحَـتْ لآمِـنَـةٍ أُمِّـهِ   قُـصُـورٌ بِـبُـصْـرَى[2] تَـرَاءَتْ قَـرَارَا
وَيَـا حُـسْـنَـهَـا بَـعْـدَ إِذْ جَـاءَهَـا!   يُـصَـاحِـبُ فِـي الـبِـيـدِ قَـوْمـاً تِـجَـارَا
وَأَرْخَـتْ سُـتُـوراً عَـلَـيْـهَـا الـغَـمَـامُ   تَـمَـارَى بِـمَـكَّـةَ مَـنْ قَـدْ تَـمَـارَى
وَشُـقَّ لَـهُ الْـبَـدْرُ نِـصْـفَـيْـنِ لَـمَّـا   تَـمَـارَى بِـمَـكَّـةَ مَـنْ قَـدْ تَـمَـارَى
وَصُـبْـحـاً أَشَـارَ لأَصْـنَـامِـهَـا   فَـظَـلَّـتْ سَـوَاقِـطَ لَـمَّـا أَشَـارَا

(1) استهلال للمعجزات التي توردها كتب السيرة حول الخوراق التي حدثت قبيل وأثناء وبعد ميلاده ـ عليه السلام ـ وهي من الموضوعات التي تحفل بها المولديات. (انظر ظاهرة المدائح النبوية).

(2) بصرى: قرية بالشام تنسب إليها السيوف البصرية. (اللسان: بصر).

وَأَلْــقَــى أَنَــامِــلَــهُ فِــي الإنَــاءِ   فَــأَنْــبَــعَ مِــنْــهَــا مِــيَــاهــاً غِــزَارَا
وَلَــوْ فَــاضَ حِــسًّــا كَــمَــا فَــاضَ مَــعْــنــىً   نَــدَاهُ، لَــفَــاقَ الْــبِــحَــارَ انْــفِــجَــارَا
هُــوَ الْــقَــاتِــلُ الْــمَــحْــلَ لَــمَّــا دَعَــا   فَــصَــيَّــرَ فِــي الْــغَــابِــرِيــنَ الْــغِــبَــارَا[1]
وَأَرْسَــلَــهَــا فِــي بُــرُودِ الــنَّــسِــيــمِ   جَــوَارِيَ سُــحْــبٍ هَــوِيــنَ ابْــتِــكَــارَا
وَحَــنَّ لَــهُ الْــجِــذْعُ يَــوْمَ الــنَّــوَى   حَــنِــيــنَ الــرَّوَاحِــلِ تَــحْــوِي الْــعِــشَــارَا
وَجَــاءَتْ لَــهُ الــشَّــجَــرُ الْــعَــادِيَــاتُ   تَــجُــرُّ عُــرُوقــاً مُــلِــئْــنَ ثِــمَــارَا
وَلَــمَّــا قَــضَــتْ حَــقَّــهُ أَسْــرَعَــتْ   بِــرُجْــعَــى امْــتِــثَــالاً لَــهُ وَائْــتِــمَــارَا
وَسَــلَّــمَ حَــبْــراً[2] عَــلَــيْــهِ الْــحِــجَــارُ   فَــأَبْــهَــجَ أَهْــلَ الْــحِــجَــا وَالْــحِــجَــارَا
وَسَــبَّــحَ فِــي الْــكَــفِّ مِــنْــهُ الْــحَــصَــا   فَــمَــا كَــفَّ لَــكِــنْ أَخَــا الْــبِــرَّ بَــارَى

(وهي طويلة اقتصرنا على هذا القدر منها)[3]

42

وله من قصيدة(*): [طويل]

لَــقَــدْ مَــرَّ شَــهْــرُ الــصَّــوْمِ عَــنْــكَ مُــؤَدِّيــاً   ثَــنَــاءً كَــمَــا هَــبَّ الــنَّــسِــيــمُ الْــمُــعَــطَّــرُ
وَمَــا أَمْــطَــرَتْ فِــيــهِ الــسَّــحَــابُ وَإِنَّــمَــا   بَــكَــى أَدْمُــعــاً خَــوْفَ الــنَّــوى تَــتَــحَــدَّرُ
وَحَــسْــبُــكَ مِــنْ ضَــيْــفٍ كَــرِيــمٍ قَــرَيْــتَــهُ   مِــنَ الْــبِــرِّ أَعْــمَــالاً إِلَــى الــلَّــهِ تُــذْخَــرُ

ومنها:

وَذِي لُــجَــبٍ زَارَ الــسَّــبِــيــكَــةَ[4] فَــانْــثَــنَــتْ   بِــنِــيــرَانِ كَــرَّاتِ الْــخُــيُــولِ تَــشَــحَّــرُ

---

(1) الغبار: صفة لموصوف محذوف، أي السنوات الغبراء، والسنة العبراء: الجدبة.
(2) حبر حبّرا ـ بتحريك الباء ـ: ابتهج ونضر، وتسكن في البيت لاستقامة الوزن.
(3) التعليق لصاحب الجذوة.
(*) مختارات ابن عزيم: 28.
(4) السبيكة في أصلها اللغوي: كتلة من الذهب أو الفضة مصبوبة على قوالب أو قضبان مستطيلة الشكل. وفي اصطلاح الأندلسيين تطلق على مدرج يقع جنوب شرقي الحمراء، كثر ذكره في

وَلاَحَتْ لَنَا أَعْلاَمُكَ الحُمْرُ تَنْتَشِي بِهَا السّمْرُ فِي أَطْوَادِهَا حِينَ تُنْشَرُ
وَمَا كُنْتُ أَدْرِي أَنَّ لِلدَّهْرِ قَبْلَهَا تَوَرُّدَ خَدٌّ كَانَ بِالحُسْنِ يَقْطُرُ

43

وقال في التورية(*): [طويل]

كُمَاةٌ تَلاَقَتْ تَحْتَ نَقْعِ سُيُوفِهِمْ وَلِلْهَامِ رَقْصٌ كُلَّمَا طُلِبَ الثَّارُ
فَلاَ غَرْوَ أَنْ غَنَّتْ وَتِلْكَ رَوَاقِصٌ فَبَيْنَهُمْ فِي مَأْزِقِ الحَرْبِ أَوْتَارُ

44

وقال من قصيدة بعث بها إلى سلطان الأندلس(**): [طويل]

دَعُوا أَدْمُعِي شَوْقاً لِلُقْيَاكُمْ تَجْرِي فَإِنِّيَ فِي حُبِّي لَكُمْ رَابِحُ التَّجْرِ(1)
وَأَهْدُوا لَنَا رُوحَ العُذَيْبِ وَبَارِقٍ وَلَكِنْ مِنَ الرِّيقِ الْمُعطَّرِ وَالثَّغْرِ(2)
وَلاَ تَبْتَغُوا مِنّي السُّلُوَّ فَإِنَّنِي سَأَسْلُو سُلُوَّ الْبَانِ عَنْ وَاكِفِ القَطْرِ
وَأَتْرُكُ تَهْيَامِي بِكُمْ وَصَبَابَتِي كَمَا تَرَكَ الحَادِي السُّرَى لَيْلَةَ النَّفْرِ

أشعار العصر وقد كانت به مقبرة عتيقة دفن فيها محمد بن الأحمر مؤسس الدولة النصرية، ويقول الأستاذ عنان إن الأسبان قد استحدثوا فيه بستاناً عظيماً به طرق صاعدة ويتخلله الماء المتدفق من الجداول والنوافير. (نهاية الأندلس: 292).

(*) الكتيبة: 268، والإحاطة: 1\349.

(**) الكتيبة: 261. وفي «مختارات ابن عزيم» عشرون بيتاً منها، في الصفات: 54,49,27,26، وفيه إعجاب بها جعله يسميها بـ«روضة المحاسن» (ص. 26) ولكننا لم نحصل على نصها متكاملاً في مصدر واحد.

(1) التجر: التجارة.

(2) العذيب: ماء لبني تميم على مرحلة من الكوفة، وبارق: موضع قريب من الكوفة، كما أنه اسم لقبيلة من اليمن. (اللسان: عذب، برق).

وَأَنْسَاكُمُ لَكِنْ كَمَا نَسِيَ الْهَوَى ... عَلَى النَّأْيِ قَيْسٌ وَابْنُ مَعْمَرِ العُذْرِي[1]
فَيَا صَاحِبَيْ نَجْوَايَ مِنْ آلِ عَامِرٍ[2] ... أَلاَ نَادِمَانِي بِالغَرَامِ مَدَى عُمْرِي
وَيَا مُثْقِلَ الْخِدْرِ الَّذِي قَذَفَتْ بِهِ ... أَمُونٌ تُبَارِي الرِّيحَ فِي الْبَلَدِ القَفْرِ[3]
دَعَوْتُكَ فَاحْلُلْ بَيْتَ قَلْبِيَ زَائِراً[4] ... بِدَعْوَةِ إِبْرَاهِيمَ لِلْبَيْتِ ذِي الْحِجْرِ[5]
وَبِالسِّجْفِ فِي الْحَيِّ الْمُمَنَّعِ غَادَةٌ ... يَبِيتُ بِهَا نَجْمُ السَّمَاءِ عَلَى ذُعْرِ
مُنَعَّمَةٌ لَذَّ الشَّقَاءُ بِحُبِّهَا ... وَلَوْ أَنَّهَا تُبْدِي هَجِيراً مِنَ الْهَجْرِ
وَلَوْ صَدَعَتْ قَلْبِي وَحَيَّتْ بِوَجْهِهَا ... لَقُلْتُ: صَبَاحٌ دُونَهُ صَدْعَةُ الْفَجْرِ
بِوَادِي الغَضَى حَلَّتْ وَلَكِنْ مِنَ الحَشَا ... وَشِعْبِ النَّقَا لَكِنْ مِنَ السِّحْرِ وَالنَّحْرِ[6]
وَأَسْنَدَ وَجْدِي مِنْ أَحَادِيثِ حُسْنِهَا ... غَرائِبَ لَمْ تَخْطُرْ بِبَالٍ وَلاَ فِكْرِ[7]
فَلَمْ تَرْوِ يَوْماً عَنْ نَمُومٍ سِوَى الشَّذَا ... وَلَمْ تَرُوِ يَوْماً عَنْ ضَعِيفٍ سِوَى الخِصْرِ[8]
إِذَا لَمْ أُشَاهِدْ رَبْعَهَا كُلَّ لَيْلَةٍ ... فَإِنَّكَ يَا إِنْسَانَ عَيْنِي لَفِي خُسْرِ[9]

---

(1) قيس: أشهر من عُرف بالهوى ممن اسمه قيس، هو مجنون ليلى قيس بن الملوح وهو شاعر غَزِل اختلف الناس في وجوده. له ديوان مطبوع. (ترجمته في: الأغاني 2\1 (ط. دار الكتب)، وفوات الوفيات: 2\136، وخزانة البغدادي: 2\170). أما ابن معمر العذري: فهو صاحب بثينة جميل بن معمر العذري (ترجمته في الأغاني).

(2) آل عامر: قوم مجنون ليلى.

(3) الأمون المطية المأمونة لا تعثر ولا تفتر (وسيط: أمن).

(4) في مختارات ابن عزيم: فائزا.

(5) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾ (إبراهيم: 37).

(6) الغضى: شجر من الأثل أصلب من الخشب. وأهل الغضى: أهل نجد لكثرته في ديارهم. والنقا: الكثيب من الرمل.

(7) في مختارات ابن عزيم (ص. 49): فأسند.

(8) في المصدر السابق:
فلم يرو يوماً عن نموم سوى الشذا ... ولم يرو يوماً عن ضعيف سوى النشر.

(9) هذا الشطر مما استعاره من قصيدة أخرى له هي التالية في هذا الديوان، ورقم البيت فيها: خمسون.

وَمِـمَّـا أَثَـارَ الْـوَجْـدَ جِـيـدٌ أَمَـالَـنِـي　　بِوَسْوَاسِ حَلْيٍ، مَالِكٍ فِي الهَوَى أَمْرِي
وَثَـغْـرٌ ثَـنَـانِـي الـرَّدُّ عَـنْ لَـثْـمِ دُرِّهِ　　كَـأَنَّ رَقِـيـبِـي قَـدَّمَ الـرَّاءَ مِـنْ دُرِّ
نَـسِـيـتُ وَلاَ أَنْـسَـى مَـعَـاهِـدَ بِـالْـحِـمَـى　　يُـمَـثِّـلُـهَـا فِـكْـرِي وَيَـلْـزَمُـهَـا ذِكْـرِي
إِذَا انْـتَـصَـبَـتْ دَوْحَـاتُـهَـا خَـفَـضَـتْ بِـهَـا　　غُصُوناً قَرَاهَا الغَيْثُ فِي الوَرَقِ الخضْرِ
وَقَـدْ جَـرَّهَـا نَـفْـحُ الـصَّـبَـا بَـعْـدَ رَبْـعِـهَـا　　كَـأَنَّ نُـسَـيْـمَـاتِ الـصَّـبَـا أَحْـرُفُ الْـجَـرِّ
عَـجِـبْـتَ لِـنَـبْـتٍ وَسْـطَـهَـا وَهْـوَ بَـاقِـلٌ　　يَـخِـيـمُ بِـهِ قُـسُّ عَـنِ الـنَّـظْـمِ وَالـنَّـثْـرِ
وَرُبَّ رِيَـاضٍ بِـالـغُـوَيْـرِ تَـزَيَّـنَـتْ　　بِـنَـضْـرِ نَـبَـاتٍ غَـاصَ فِـي مَـائِـهَـا الْـغَـمْـرِ
وَأُخْـرَى بِـذَاتِ الـجَـزْعِ طَـيِّ ظِـلاَلِـهَـا　　نَـعِـمْـتُ بِـهِ يَـقْـظَـانَ فِـي سِـنَـةِ الْـعُـمْـرِ
وَلَـمَّـا تَـقَـضَّـى الـلَّـيْـلُ إِلاَّ أَقَـلَّـهُ　　حَـبَـتْـنَـا بِـمِـعْـطَـارِ الـشَّـذَا أَرِجِ الـنَّـشْـرِ
كَـأَنَّ بُـرُوقَ الـجَـوِّ نَـارٌ تَـلَـهَّـبَـتْ　　وَمَا ارْفَضَّ مِنْ جُنْحِ الدُّجَى عَنْبَرُ الشِّحْرِ
إِذَا مَـا الْـتَـقَـى فِـي نَـهْـرِهَـا سَـاكِـنَـانِ مِـنْ　　قَـضِـيـبٍ وَمِـنْ حَـصْـبَـاءَ حُـرِّكَ بِـالْـكَـسْـرِ
مُـجَـرِّرَةٌ ذَيْـلَ الـنَّـسِـيـمِ طَـرُوبَـةٌ　　وَلاَ طَرَبَ الْحَادِي بِذِي الأَثْلِ وَالسِّدْرِ
تَـرَى الـغَـيْـثَ فِـيـهَـا بَـاكِـيـاً مُـتَـغَـيِّـراً　　إِذَا ضَـاعَ مِـنْ أَكْـمَـامِـهِ مُـؤرِجُ الـزَّهْـرِ
مُـعَـانِـقَـةٌ مِـنْ قُـضْـبِـهَـا كُـلَّ أَهْـيَـفٍ　　وَلاَ هَيَفَ الأَعْطَافِ فِي الْحُلَلِ الْحُمْرِ
تَـكَـادُ، لَـعَـمْـرِي، فِـيـهِ كُـلُّ حَـمَـامَـةٍ　　تَشِبُّ عَنِ الطَّوْقِ ارْتِيَاحاً عَلَى الذِّكْرِ
وَكَـمْ سَـاعَـدَتْـهَـا وَهْـيَ بِـالـشُّـرْبِ بَـرَّةٌ　　وَمَـا بِـرُّهَـا بِـالـبِـدْعِ كَـلاً وَلاَ الـنُّـكْـرِ
بِقَطْرِ النَّدَى قَطْرُ النَّدَى وَسْطَهَا اقْتَدَى　　فَـمَـا نَـامَ لَـمَّـا نَـامَ ذُو الـكَـأْسِ وَالـوَتْـرِ
فَـمَـنْ عَـاذِرِي مِـنْ حِـيـرَتِـي وَتَـوَلُّـهِـي　　إِذَا سَـفِـرَتْ مِـنْـهَـا الـمَـحَـاسِـنُ لِـلـسَّـفْـرِ
أَعَـادَتْ لِـيَ الـشَّـوْقَ الْـقَـدِيـمَ مَـيَـاهُـهَـا　　«وَسُقْنَ الْهَوَى مِنْ حَيْثُ أَدْرِي وَلا أَدْرِي»[1]

---

(1) تضمين لعجز بيت من شعر علي بن الجهم (ديوانه: 141، تحقيقة خليل مردم، ط. 2، لجنة التراث العربي).

كَـأَنِّـي عَـلِـيٌّ[1] وَالْـعُـيُـونُ الَّـتِـي رَنَـتْ «عُيُونُ المَهَا بَيْنَ الرُّصَافَةِ وَالجِسْرِ»[2]

أَلاَ يَـا نَـدِيـمـاً حُـثَّ مِـسْـكِـيَّـةَ الـشَّـذَا إِلَى الدَّيرِ لاَ دَارِينَ مَنْسُوبَةَ النَّجْرِ[3]

تُـرَاجِـعُـهَـا أَيْـدِي الـسُّـقَـاةِ كَـأَنَّـهَـا وَقَدْ قُطِعَتْ بِالْمَزْجِ بَيْتٌ مِنَ الشِّعْرِ

نَشَدْتُكَ هَلْ غُصْنُ الرِّيَاضِ ابْنُ هَانِىءٍ يَمِيلُ بِسَابَاطا[4] ارْتِيَاحاً إِلَى الْخَمْرِ

وَهَلْ بُلْبُلُ الدَّوْحَاتِ يَحْيَى بْنُ أَكْثَمٍ يَظَلُّ دَفِيناً فِي الرَّيَاحِينِ ذَا سُكْرِ

وَهَـلْ أَهْـدَتِ الأَزْهَـارُ عَـاطِـرَ نَـفْـحِـهَـا مَعَ الْفَجْرِ أَمْ أَهْدَتْ مَدِيحَ بَنِي نَصْرِ

منها في المديح:

إِمَامُ الْـهُـدَى جَـزْلُ الـرِّدَا شَـرَكُ الـعِـدَى غَمَامُ النَّدَى بَحْرُ الجَدَا مَعْدِنُ الذُّخْرِ

كَرِيمُ اللُّهَا، زَاكِي النُّهَى، مَجْدُهُ انْتَهَى لأَوْجِ السُّهَا، كَيْفَ اشْتَهَى دُونَ مَا نُكْرِ

[إِذَا هُـوَ أَجْـرَى الطَّـرْفَ وَالـطَّـبْـلُ صَـائِـلٌ يَـفُـضُّ دُرُوعَ الْـهِـنْـدِ بِـالـذُّبَّـلِ الـسُّـمْـرِ[5]

تَرَى الْغَيْثَ فَوْقَ الْبَرْقِ وَالرَّعْدُ قَاصِفٌ يَـقُـدُّ سَـحَـابَ الـلَّـيْـلِ بِـالأَنْـجُـمِ الـزُّهْـرِ

ومنها:

إِذَا شَـكَّ بِـالْـخَـطِّـي دِرْعَ مُـنَـازِلٍ عَـلَـى طَـرْفِـهِ وَالـنَّـقْـعُ فِـيـهِ دَمٌ يَـجْـرِي

أَرَى أَسْـمَـراً فِـي أَزْرَقٍ فَـوْقَ أَبْـيَـضٍ عَـلَـى أَدْهَـمٍ فِـي أَدْكَـنٍ وَهْـوَ مُـحْـمَـرٌ

ومنها:

---

(1) هو علي بن الجهم صاحب البيت المضمن: شاعر عباسي، له ديوان شعر مطبوع.

(2) صدر بيت لابن الجهم تقدم عجزه.

(3) الدير: هو بيت الرهبان والراهبات. دارين: موضع ترفأ فيه السفن المحملة بالمسك. (اللسان: دور).

(4) في مختارات ابن عزيم: 54: بسوباط. وساباط: هو ساباط كسرى بالمدائن، كان حُبس فيه النعمان بن المنذر. كما أنه اسم موضع ورد في شعر الأعشى (اللسان: سبط). وفي شعر ابن هانىء أو أبي نواس ذكر لساباط ضمن ما ذكره من أماكن اللهو.

(5) هذا البيت والأبيات الثمانية بعده مما اختصت به «مختارات ابن عزيم» 26-27.

وَأَصْبَحَ مِنِّي الْكُلُّ وَالْبَعْضُ رَاوِياً أَحَادِيثَ نُعْمَاكَ الَّتِي شَرَّفَتْ قَدْرِي
فَقَلْبِيَ عَنْ رُوحٍ وَعَنْ نَائِلٍ يَدِي وَعَنْ مَرْحَبٍ أُذْنِي وَعَيْنِيَ عَنْ بِشْرِ

ومنها:

فَلَوْ أُلِّفَ الشَّوْقُ الَّذِي قَدْ لَقِيتُهُ حَكَى بَأْسَكَ الْمَشْهُورَ فِي الْبَدْوِ وَالْحَضْرِ
وَلَوْ أَنَّ دَمْعِي، إِذْ نَأَيْتَ، مُجَمَّعٌ حَكَى جُودَكَ الْمَبْذُولَ فِي السِّرِّ والْجَهْرِ
وَمَاذَا عَسَى يُنْهِي لَكَ الْعَبْدُ إِنَّمَا وَكَلْتُكَ لِلْحُبِّ الْقَدِيمِ الَّذِي تَدْرِي]

ومنها:

فَيُضْفِي لَدَيْنَا بُرْدَ حَامٍ مِنَ الْعُلاَ وَيُضْفِي عَلَيْنَا بُرْدَ سَامٍ مِنَ الْفَخْرِ
يَعِمُّ الْوَرَى مِنْ كَوْمِهِ وَعُلُومِهِ فَهَذِي لِمَنْ يَقْرَا وَهَذِي لَمَنْ يَقْرِي
فَيُحْيِي بِنَشْرِ الْجُودِ مَيْتاً مِنَ الْغِنَى وَيُرْدِي بِطَيِّ الْبُخْلِ حَيًّا مِنَ الْفَقْرِ
وَيُبْدِي بِوَصْلِ الْعِلْمِ صُبْحاً مِنَ الْهُدَى وَيُخْفِي بِقَطْعِ الْجَهْلِ لَيْلاً مَنِ الْكُفْرِ
هُمَامٌ إِذَا مَا صَالَ أَوْ جَالَ فِي الْوَغَى فَلَيْثٌ لِمُغْتَرٌ وَغَيْثٌ لِمُعْتَرِّ
رَفِيعُ عِمَادِ الْبَيْتِ رَحْبٌ فِنَاؤهُ عَظِيمُ رَمَادِ النَّارِ مُغْتَبِطُ الْوَفْرِ
حَكَى سَيْفُهُ يَوْمَ الضُّيُوفِ مُهَلْهِلاً فَلَمْ يُبْقِ بَعْدَ النَّابِ[1] حَيًّا عَلَى بَكْرِ
مُقِيمٌ عَلَى دِينِ السَّمَاحَةِ وَالنَّدَى وَبَذْلُ النَّدَى والْفَضْلِ فَرْضٌ عَلَى الْحُرِّ
إِذَا هُوَ أَعْطَاهَا دَنَانِيرَ رُشِّحَتْ بِلَوْنِ مُحِبٌ فِي الْهَوَى خَالِعِ الْعُذْرِ[2]
يُؤَرِّخُ ذُو الأَمْدَاحِ مِمَّا جَنَتْ بِهِ يَدَاهُ تَوَارِيخَ السَّعَادَةِ وَالنَّصْرِ[3]

---

(1) في رواية أخرى: النأي.

(2) هذا البيت والذي يليه في: مختارات ابن عزيم: 26.

(3) في رواية ابن عزيم: «يداه تواريخ السعادة بالصفر» وهو أنسب لذكر اللون في البيت السابق.

ولله دره إذ يقول(*): [طويل]

أَتَتْكَ وَقَدْ هَزَّ الدّجَى مَضْجِعَ الْفَجْرِ ... بِكَأْسَيْنِ مِنْ رِيقٍ بَرُودٍ وَمِنْ خَمْرِ
وَأَبْهَجَتِ الأَبْصَارَ وَالْحُسْنُ مُبْهِجٌ ... بِدُرَّيْنِ مِنْ عِقْدٍ نَفِيسٍ وَمِنْ ثَغْرِ
وَكَمْ سُتِرَ الْبَدْرُ الْمُنِيرُ وَوَجْهُهَا ... بِلَيْلَيْنِ مِنْ جُنْحٍ بَهِيمٍ وَمِنْ شَعْرِ
وَجُلِّيَ جُنْحُ اللَّيْلِ لَمَّا بَدَتْ لَنَا ... بِنُورَيْنِ مِنْ وَجْهٍ جَمِيلٍ وَمِنْ بَدْرِ
وَحَيَّتْ وَقَدْ [لَذَّ السُّرَى](1) سَحَراً لَنَا ... بِصُبْحَيْنِ مِنْ أَضْوَاءِ أُفْقٍ وَمِنْ بِشْرِ
وَمِنْ عِطْفِهَا إِذْ طَابَ نَشْراً فَعطَّرَتْ ... بِطِيبَيْنِ مِنْ مِسْكٍ يَضُوعُ وَمِنْ نَشْرِ
وَمَالَتْ عَلَى الرَّوْضِ النَّضِيرِ فَرَاقَنَا ... بِغُصْنَيْنِ مِنْ قَدٍّ وَمِنْ فَنَنٍ نَضْرِ(2)
وَجَادَ هَوىً بِي، وَالْهَوَاءُ الَّذِي لَهُ ... بِغَيْثَيْنِ مِنْ دَمْعٍ يَصُوبُ وَمِنْ قَطْرِ
وَجَدَّتْ بِعَرْضِ الْبِيدِ سَيْراً فَبَرَّحَتْ ... بِنَارَيْنِ فِيهَا مِنْ هَجِيرٍ وَمِنْ هَجْرِ
وَمَا رَاعَنِي إِلاَّ الْقِبَابُ كَأَنَّهَا ... كَمَائِمُ رَوْضٍ يَنْطَوِينَ عَلَى زَهْرِ
وَأَسْرَابُ غِزْلاَنٍ عَرَضْنَ(3) سَوَانِحاً ... وَلاَ بُدَّ مِنْ مَرْعَىً فَكَانَ مِنَ الصَّدْرِ
وَمَا بِيَ إِلاَّ أَعْيُنٌ بِسِهَامِهَا ... رَمَتْ ذَا الْهَوَى الْعُذْرِيَّ مِنْ غَيْرِ مَا عُذْرِ
مُنَصَّلَةٌ بِالْغُنْجِ وَالْهُدْبُ رِيشُهَا ... تُطَاوِلُ قَوْسَ الْحَاجِبَيْنِ بِهَا ذُعْرِي
وَرَكْبٍ سَرَوْا وَاللَّيْلُ قِطْعَةُ عَنْبَرٍ ... تَضُوعُ إِذَا جَلَّى لَنَا الْبَرْقُ عَنْ جَمْرِ
سَوَابِحُ فِي بَحْرِ السَّرَابِ وَإِنَّمَا ... مَعَادِنُ دُرِّ اللَّفْظِ فِي ذَلِكَ الْبَحْرِ
إِذَا أَطْلَعُوا عُوجَ الْمَطِيِّ أَهِلَّةً ... حَسِبْتَهُمُ مِنْ فَوْقِهَا أَنْجُمٌ تَسْرِي

(*) المزاين: 12 ب.

(1) في الأصل: لذي الشرى.

(2) في الأصل: نظر. والنبات النضر: ذو الرونق والبهجة.

(3) في الأصل: عرضنا. وعرضن سوانحاً: أي مررن من مياسر القادم إلى ميامنه فولّته ميامنها، وذلك مصدر يُمن وبركة عند العرب.

وَلَمْ أَنْسَ بِالشِّعْبِ الْيَمَانِي مَوْقِفِي عَلَى دِمَنٍ يَرْفُلْنَ فِي حُلَلٍ خُضْرِ
وَقَدْ حَمَلَتْ فِيهَا السَّحَابُ كَأَنَّهَا مَدَامِعُ عَيْنِي أَوْ عَطَايَا بَنِي نَصْرِ[1]
تَبَابِعَةٌ مِنْ آلِ يَعْرُبَ[2] قَادَةٌ لَهُمْ مَا لَهُمْ مِنْ مَكْسَبِ الْعِزِّ مِنْ وَفْرِ
مِنَ الْمُتَّقِينَ اللَّهَ إِنْ نَذَرُوا فَهُمْ عَلَى أَكْمَلِ الْحَالاَتِ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ[3]
بُدُورُ عُلاً مِنْ آلِ خَزْرَجَ أَذْكَرُوا أَجَلَّ عُهُودٍ فِي حُنَيْنٍ وَفِي بَدْرِ[4]
هُمُ خَيْرُ أَمْلاَكِ الزَّمَانِ وَخَيْرُهُمْ مُحَمَّدٌ الْمَحْمُودُ فِي السِّرِّ وَالْجَهْرِ
وَإِنْ يَكُ مِنْهُمْ فَهْوَ فَوْقَهُمُ عُلاً وَأَشْرَفُهُمْ، وَالْكُلُّ ذُو[5] شَرَفٍ كُثْرِ
وَقَدْ جَاءَ فَضْلٌ فِي لَيَالٍ كَثِيرَةٍ وَمَجْمُوعُ ذَاكَ الْفَضْلِ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ
وَلِلَّهِ جَيْشٌ أَبْهَجَتْنَا[6] خُيُولُهُ[7] بِمَا رَاقَ مِنْ كَرٍّ وَشِيكٍ وَمِنْ فَرِّ
وَمَرُّوا صَبَاحاً وَالسَّبِيكَةُ كَاسْمِهَا بِمَا بَذَلَتْ[8] تَجْرِي لِتُرْبِحَ لِي تَجْرِي[9]
وَقَدْ صَعَدَتْ فِي الْجَوِّ آيَةُ طَبْلَةٍ تُحَاكِي عَمُودَ الْفَجْرِ أَسْفَرَ لِلسَّفْرِ[10]

---

(1) بنو نصر: أسرة الممدوح محمد الغني بالله، وهم حكام غرناطة منذ حوالي سنة 635هـ إلى سنة 898هـ.

(2) التبابعة: لقب سلاطين ملوك اليمن منتمى بني نصر من طريق سعد ابن عبادة الخزرجي. ولذا كان هذا النسب محور مدائح سلاطينهم.

(3) اقتباس قرآني من: سورة الإنسان: 7.

(4) حُنين وبدر: من أشهر الوقائع الحربية بين المسلمين والكفار في عهد الرسول(ص).

(5) في الأصل: ذي.

(6) في الأصل: أنهجتنا، والتصحيح عن مختارات ابن عزيم: 56.

(7) في المزاين: خيولهم، وما أثبتناه من رواية ابن عزيم.

(8) مختارات ابن عزيم: بددت.

(9) المختارات:

وأحسبهم قد شاركوني في الوغى فحلبتهم تجري لتربح في تجر

والحلبة: جماعة الخيل تُعَدُّ للسباق، وقد وردت في المزاين: «حليتهم».

(10) في المختارات: أشرف للسفر.

وَأَنْحَوْ عَلَيْهَا بِالْعِصِيِّ كَأَنَّهَا بُرُوقٌ وَلَكِنْ بِالْبُرُوقِ غَدَتْ تُزْرِي
مِنَ الطَّبَلاَتِ الَّلائِي مَا زَالَ كَسْرُهَا لَدَى الْبَطَلِ الأَحْمَى يُعَدُّ مِنَ الْجَبْرِ
وَضَارِبُهَا يَوْمَ الْوُفُودِ عُقُوقُهُ وَإِنْ كَانَ لاَ يَخْفَى يُعَدُّ مِنَ الْبِرِّ
فَذَلِكَ مِنْهُ لِلْجِهَادِ تَدَرُّبٌ سَيَشْقَى[1] بِهِ الْحِزْبِ الَّذِي دَانَ بِالْكُفْرِ
وَقَدْ جَالَ نَقْعُ الْخَيْلِ فِي جَنَبَاتِهَا كَمَا جَالَ فِي الأَفْكَارِ مَعْنَىً مِنَ الشِّعْرِ
وَيَوْمَ سِبَاقِ الْخَيْلِ أَبْصَرْتُ ضُمَّراً كَمَا طَارَ فِي الْبَيْدَاءِ سِرْبُ القَطَا الْكَدْرِ
وَقُلْتُ بُرُوقٌ فِي دَيَاجٍ وَإِنَّمَا شَهِدْتُ اخْتِلاَطَ الشُّهْبِ مِنْهُنَّ بِالصُّفْرِ
وَكَرُّوا بِهَا حُمْراً مُجَلَّلَةً فَلَمْ أَرَ شَفَقاً مِنْ قَبْلِهَا زِينَ بِالْفَجْرِ
وَكُلُّ كُمَيْتٍ جَاءَنَا كَسَمِيِّهِ فَأَطْرَبَ، لَكِنْ لَمْ يَكُنْ ثَمَّ مِنْ وِزْرِ
وَمَا سَدَّ نَقْعُ الْخَيْلِ أُفْقاً وَإِنَّمَا رَأَى الشَّمْسَ قَدْ خَافَتْ[2] فَنَابَ عَنِ السِّتْرِ
وَقَالُوا بَدَا وَشْيٌ عَلَى الْحَطَبِ[3] الَّذِي أَتَى خَيْرَ مَنْ يَقْرِي الضُّيُوفَ وَمَنْ يُقْرِي
فَقُلْتُ لَعَلَّ الْغَالِبِيَّ مُحَمَّداً سَقَاهُ بِغَيْثٍ مِنْ مَوَاهِبِهِ ثَرِّ
فَعَادَتْ لَهُ الأَوْرَاقُ وَالتَّاجُ زَهْرُهُ كَوَشْيٍ لَهُ صَنْعَاءُ بَاتَتْ عَلَى ذُكْرِ
وَإِنْ كَانَ وَشْياً فَاعْجَبُوا لِخَلِيفَةٍ نَدَاهُ لِطُلاَّبِ النَّدَى بِالنَّدَى يُغْرِي
وَقُولُوا وَبَعْضُ الْقَوْلِ يَشْفِي صُدُورَنَا وَيُعْرِبُ عَمَّا فِي الْجَوَانِحِ مِنْ سِرِّ
أَحَتَّى حُطَامَ الأَرْضِ أَصْبَحَ كَاسِياً لَهَا، وَأَرَاهَا رِفْعَةَ الشَّأْنِ وَالْقَدْرِ
وَقَصْرٍ بَنَاهُ خَيْرُ بَانٍ فَلَمْ يَكُنْ يُضَاهِيهِ فِي الأَرْضِ الْعَرِيضَةِ مِنْ قَصْرِ
عَجَائِبُهُ فَوْقَ الْعَجَائِبِ إِنَّهَا عَجَائِبُ[4] لَمْ تَخْطُرْ بِبَالٍ وَلاَ فِكْرِ

(1) في المزاين: سيسقى، والتصحيح عن المختارات.
(2) خافت: كذا، وفي المختارات: جدت، وأحسب أن الصحيح: حَدَّث ـ بالهاء المهملة ـ أي بلغت النهاية في الحرارة.
(3) في الأصل: الخطب، والتصحيح عن المختارات: 57.
(4) المختارات (58): غرائب.

حَكَتْ أَرْضُهُ أُفْقَ السَّمَاءِ فَزَهْرُهَا يَنُوبُ، بِلاَ شَكٍّ، عَنِ الأَنْجُمِ الزُّهْرِ
وَخِلْنَا مُنِيرَ الصُّبْحِ هَامَ بِحُبِّهِ فَأَبْقَى[1] عَلَيْهِ لَوْنَهُ أَبَدَ الدَّهْرِ
إِذَا لَمْ أُشَاهِدْهُ وَأُبْصِرْ جَمَالَهُ فَإِنَّكَ يَا إِنْسَانَ عَيْنِي لَفِي خُسْرِ[2]
وَعَهْدِي بِجَارِي الْمَاءِ[3] يَسْفُلُ دَائِماً فَيَحْنُو عَلَيْهِ الشَّارِبُونَ إِذَا يَجْرِي
وَهَا هُوَ يَعْلُو لِلسَّمَاءِ تَشَرُّفاً بِمُجْرِيهِ مَسْرُوراً بِمَا نَالَ مِنْ فَخْرِ
وَأُقْسِمُ لَوْلاَ وَجْهُ خَيْرِ خَلِيفَةٍ لَمَا مُكِّنَ الورَّادُ مِنْ عَذْبِهِ الْغَمْرِ
وَلَكِنَّهُ لَمَّا بَدَا خَرَّ سَاجِداً وَأَهْدَى حُبَاباً زَادَ فَضْلاً عَلَى الدُّرِّ
وَخِلْتُ الَّذِي يَعْلُو مِنَ الْمَاءِ غَادَةً أَتَتْ عُرُساً تَزْهَى بِهِ مُدَّةَ الْعُمْرِ
وَأَعْجَبَهَا رَقْصٌ فَحِينَ تَمَايَلَتْ تَسَاقَطَ حَلْيٌ جَالَ عَنْهَا وَلَمْ تَدْرِ[4]
وَيَا حُسْنَهَا لِلنَّاظِرِينَ بُحَيْرَةً[5]! بِهَا رُكَّعُ الأَغْصَانِ بَاتَتْ عَلَى طُهْرِ
كَأَنَّ الصَّبَا فِيهَا يَخُطُّ مَدَائِحاً حِسَاناً، فَمِنْ سَطْرٍ يُضَمُّ إِلَى سَطْرِ
وَقَدْ خِلْتُهَا أُمَّ البُحَيْرَةِ مُرْضِعاً عَلَى ظَهْرِهَا اسْتَلقت، وَيَا لَكَ[6] مِنْ ظَهْرِ!
وَخشَّتُهَا الْبَيْضَاءُ نَهْدٌ بِصَدْرِهَا لَهُ لَبَنٌ يَعْلُو بِدُرٍّ عَلَى دُرِّ
وَيَا لَكَ مِنْ قَصْرٍ مَشِيدٍ مُقَصِّرٍ بِإِيَوَانِ كِسْرَى مُزْدَرٍ هَرَمَيْ مِصْرِ!
بِهِ هَزَّ أَعْطَافَ الزَّمَانِ وأَهْلَهُ صَنِيعٌ لَهُ خِصْرٌ وَنَاهِيكَ مِنْ خِصْرِ!
وَلَمَّا رَأَى الإِعْذَارَ زَادَ مَحَاسِناً كَعَلْيَاءِ بَانِيهِ تَجِلُّ عَنِ الْحَصْرِ

---

(1) المختارات: فألقى.

(2) إشارة إلى الآية الكريمة: ﴿إنَّ الإنسَانَ لَفِي خُسرٍ﴾. (العصر: 2). ورواية الشطر الأول في المختارات: «إذا لم أشاهد حسنه وجماله».

(3) في المختارات (55): يجري الماء.

(4) في المختارات: «فأعجبها» ـ و«تساقط حلي زال..».

(5) في المختارات: البحيرات.

(6) في المختارات: وقد جل.

وَأَعْـجَـبُ مِـنْ صَـبْـرِ الأَمِـيـرِ وَسِـنُّـهُ ... قَـضَـى مِـثْـلُـهُ أَلاَّ يُـطَـالَـبَ بِـالـصَّـبْـرِ
أَمِـيـرٌ لَـهُ فَـضْـلٌ سَـيُـرْوَى حَـدِيـثُـهُ ... بِذِي الحَجَرِ الْمَنْصُوبِ لِلَّثْمِ وَالحِجْرِ[(1)]
وَلاَ زِلْـتَ فِـيـنَـا يَـا ابْـنَ نَـصْـرٍ مُـؤَيَّـداً ... مِنَ اللَّهِ بِالفَتْحِ الْمُبِينِ وَبِالنَّصْرِ
وَآخِـرُ دَعْـوَانَـا أَنِ الْـحَـمْـدُ لِـلَّـذِي ... هُوَ الأَهْلُ كُلُّ الأَهْلِ لِلْحَمْدِ وَالشُّكْرِ

46

ومن ذلك قوله المعجب ـ رحمه الله تعالى(*) ـ: [طويل]

وَلَـمَّـا أَتَـتْ أَرْضَ الْـعَـدُوِّ جُـيُـوشُـهُ ... تَيَقَّنْتُ أَنَّ الْحَرْبَ ضَرْبٌ مِنَ السِّحْرِ
وَلَـمْ أَرَ إِلاَّ الْـخَـيْـلَ صُـفَّـتْ صُـفُـوفُـهَـا ... فَقُلْتُ: عُقُودٌ قَدْ نُسِقْنَ عَلَى نَحْرِ
وَجَـالَ عَـلَـى الآفَـاقِ مُـسْـوَدُّ نَـقْـعِـهَـا ... فَقُلْتُ: طُرُوسٌ زَانَهَا الْخَطُّ بِالْحِبْرِ
وَسَـالَ دَمٌ فِـي كُـلِّ دِرْعٍ مُـفَـاضَـةٍ ... فَقُلْتُ: نَثِيرُ الْوَرْدِ أُلْقِي فِي نَهْرِ
وَجُـدِّلَـتِ الأَبْـطَـالُ فِـي كُـلِّ مَـعْـرَكٍ ... فَقُلْتُ: نَدَامَى لَمْ [يَفِيقُوا](2) مِنَ السُّكْرِ

ومنها:

وَيَـا رُبَّ يَـوْمٍ خِـلْـتُ فِـيـهِ رِمَـاحَـهُ ... قُدُودَ عَذَارَى جُلْنَ فِي حُلَلٍ حُمْرِ
وَخُـيِّـلَ لِـي أَنَّ الـسُّـيُـوفَ مَـبَـاسِـمٌ ... فَقَبَّلْتُهَا وَالْغِيدُ يَضْحَكْنَ فِي إِثْرِي

47

وخوطب السلطان في هذا الغرض بكثير من المنظوم، فمن ذلك قول الشيخ القاضي المفلق الشهير، أبي إسحاق بن الحاج(*): [طويل]

---

(1) المختارات: فيا لك.

(2) في الأصل: وناهاك، وهو تصحيف.

(3) الحَجَر: الأسود بالكعبة المشرفة. و«الحِجْر»: حجر إسماعيل في أحد جوانب الكعبة.

(*) المختارات: 55-56. وقد أورد هذه الأبيات عقب الرائية السابقة ولكن النص لا يوحي بعلاقته بالموضوعات العامة في سابقه، ولا يشعر نص «المزاين» بنقص بين أجزائه، ولذا جعلته نصاً مستقلاً.

هَنِيئاً كَمَا حَيَّا الْحَيَا أَوْجُهَ الزَّهْرِ　　وَبُشْرَى كَمَا جَلَّى الدُّجَى وَضَحُ الْفَجْرِ
وَنُعْمَى أَتَتْ تَتْرَى كَمَا وَافَتِ الصَّبَا　　فَجَرَّتْ ذُيُولَ الرَّوْضِ عَاطِرَةَ النَّشْرِ
وَحُسْنَى أَتَتْ فِي إِثْرِ حُسْنَى كَمَا أَتَى　　إِلَى الرَّوْضِ إِثْرَ الغَيْثِ مُنْسَكِبُ النَّهْرِ
وَإِقْبَالُ مَلْكٍ رَاقَ بِالْعِزِّ تَاجُهُ　　كَمَا رَاقَ تَاجُ الأُفْقِ بِالأَنْجُمِ الزُّهْرِ(1)
وَعَصْرٌ غَدَا يَفْتَرُّ بِالسَّعْدِ ثَغْرُهُ　　كَمَا افْتَرَّ ثَغْرُ الْكَأْسِ عَنْ حَبَبِ الْخَمْرِ
وَأَيَّامُ أُنْسٍ قَدْ مَحَتْ كُلَّ وَحْشَةٍ　　كَمَا قَدْ مَحَا صُبْحُ الرِّضَى لَيْلَةَ الْهَجْرِ
وَإِدْرَاكُ آمَالٍ مَلَكْتَ قِيَادَهَا　　كَمَا مَلَكَ السَّاقِي قِيَادَ أَخِي السُّكْرِ
سَمَتْ بِكَ أَفْلاَكُ الْخِلاَفَةِ رَاقِياً　　كَمَا قَدْ سَمَا فِي أَوْجِهِ طَائِرُ النَّسْرِ
وَوَاقَعْتَ بِالْحَرْبِ الشَّقِيَّ الَّذِي بَغَى　　كَمَا قَدْ بَغَى شَرُّ الْبُغَاةِ عَلَى الصَّقْرِ
وَضَمَّكَ بَيْتُ الْمُلْكِ أَبْلَجَ أَزْهَراً　　كَمَا ضَمَّتِ الأَصْدَافُ كَشْحاً عَلَى الدُّرِّ
وَسُرَّتْ بِكَ الدُّنْيَا وَرَاقَ جَمَالُهَا　　كَمَا رَاقَ مَنْسُوقُ الْحُلِيِّ عَلَى النَّحْرِ
وَجَالَ إِلَيْكَ النَّصْرُ فِي حُلَلِ الرِّضَى　　كَمَا جَالَ غُصْنُ الرَّوْضِ فِي الورقِ الْخُضْرِ
وَيَهْنِيكَ عِيدٌ بِالسَّعَادَةِ وَالْمُنَى　　كَمَا عَادَ بُرْدُ العَصْبِ لِلطَّيِّ وَالنَّشْرِ
وَجَاءَكَ لِلأَعْيَادِ فِي الْفَضْلِ سَابِقاً　　كَمَا سَبَقَ الأَمْلاَكَ دَوْماً بَنُو نَصْرِ(2)
وَقَدْ ذَهَبَتْ بِالأَمْنِ كُلُّ مَسَاءَةٍ　　كَمَا ذَهَبَتْ شَيْمَا الإِمَارَةِ بِالْبَشْرِ
وَلِلَّهِ فَتْحٌ قَدْ طَرِبْتُ لِوَقْتِهِ　　كَمَا طَرِبَتْ نَفْسُ الْجَوَادِ إِلَى الشُّكْرِ

---

(1) في الأصل: يفقن.

(*) النفاضة: مخ. خ. ع: 135-138، والنص المحقق: 3\176-178. والسلطان هو: محمد الخامس ابن يوسف النصري، أما الغرض المشار إليه فهو تهنئة السلطان بإخماد الثورة التي قادها الدليل البرمكي، ومدحه على العفو الذي صدر عنه عقب القبض على زعمائها.

(2) تقوم كل أبيات هذه القصيدة على التشبيه، وأداة الشبه فيها هي «كما»، وقد التزم الشاعر بعد الأبيات الثلاثة الأولى بوضعها في مستهل الإعجاز، وذلك مظهر من مظاهر الزخرفة في شعر النميري له نظائر أخرى.

هَزَزْتَ [بِهِ][1] الدُّنْيَا فَدَلَّ عَلَى الْعُلاَ كَمَا دَلَّ مَرْقُوبُ الْهِلاَلِ عَلَى الشَّهْرِ
وَأَصْبَحْتَ فِي الْحَمْرَاءِ تَسْكُنُ رَبْعَهَا كَمَا سَكَنَ القَلْبُ المُؤَمَّنُ فِي الصَّدْرِ
حَرِيصاً عَلَى الجُودِ المُوَاصَلِ وَالنَّدَى كَمَا حَرِصَتْ نَفْسُ الْبَخِيلِ عَلَى الْوَفْرِ
فَلاَ شَخْصَ إلاَّ وَهْوَ جَذْلاَنُ فَارِحٌ كَمَا خَرَجَ الحُجَّاجُ فِي لَيْلَةِ النَّفْرِ
وَيَا ابْنَ أَبِي الْحَجَّاجِ لِلسَّعْدِ يُهْتَدَى كَمَا يَهْتَدِي الضُّلاَّلُ بِالْكَوْكَبِ الدُّرِّي
إِمَامُ رِضىً[2] قَدْ جَاءَ فِي الْفَضْلِ أَوَّلاً كَمَا جَاءَ بِسْمِ اللَّهِ فِي أَوَّلِ السَّطْرِ
بِبَذْلِ النَّدَى وَالْبَأْسِ يُعْرَفُ دَائِماً كَمَا تُعْرَفُ الأَنْهَارُ بِالْمَدِّ وَالْجَزْرِ
هُمَامٌ يَزِينُ الأَرْضَ نَقْعُ جِيَادِهِ كَمَا زُيِّنَتْ بِيضُ القَرَاطِيسِ بِالْحِبْرِ
يَحُومُ عَلَى فَيْضِ النَّجِيعِ حُسَامُهُ كَمَا حَامَ ظَمآنٌ عَلَى مَوْرِدٍ غَمْرِ[3]
إِلَيْكَ أَبَا عَبْدِ الإلهِ أَتَى الْمَلاَ كَمَا قَدْ أَتَى الحُجَّاجُ شَوْقاً إِلَى الْحِجْرِ
وَحَنَّتْ لِرُؤْيَاكَ الْقُلُوبُ مَحَبَّةً كَمَا حَنَّتِ الْوَرْقَاءُ لَيْلاً إِلَى الْوَكْرِ
وَعَادَتْ بِكَ الدُّنْيَا إِلَى الخَفْضِ وَالْغِنَى كَمَا عَادَ سِرُّ العَاشِقِينَ إِلَى الْجَهْرِ
وَكُنْتَ لِفَيْضِ الْجُودِ أَصْلاً وَلِلْعُلَى كَمَا كَانَ ضَوْءُ الشَّمْسِ أَصْلَ السَّنَا[4] البَدْرِي
وَإِنِّي بِالأَمْدَاحِ فِيكَ لَمُولَعٌ كَمَا وَلَعَ الأَبْطَالُ بِالْكَرِّ وَالْفَرِّ
وَإِنِّيَ بِالأَشْعَارِ قَدْ جِئْتُ مُتْحِفاً كَمَا أَتْحَفَ الْجَمَّالُ يَثْرِبَ بِالتَّمْرِ
بِمَقْدَمِكَ[5] الْمَيْمُونِ أَرَّخْتُ أَسْعُدِي كَمَا أَرَّخَ الرُّومُ التَّوَارِيخَ بِالصَّفْرِ
وَأَنْتَ الَّذِي صُنْتَ الْوَرَى وَحَمَيْتَهُمْ كَمَا قَدْ حَمَى رَبّ التُّقَى جَانِب الصَّبْرِ
وَأَصْبَحْتَ بِالسَّيْفِ الْمُطَاوِلِ غَالِباً كَمَا يَغْلِبُ الْيُسْرَانِ بِالشَّرْعِ لِلْعُسْرِ

(1) في الأصل: بنو النصر.
(2) في الأصل: بها.
(3) في الأصل: إمام رضي. وبه يختل الوزن.
(4) في الأصل: عمر ـ بالعين المهملة ـ.
(5) في الأصل: سنا.

وَلَكِنْ عَلَى عَفْوٍ جُبِلْتَ تَكَرُّماً   كَمَا جُبِلَتْ نَفْسُ الْجَبَانِ عَلَى الذُّعْرِ
فَلاَ زِلْتَ فِي بُرْدِ السَّعَادَةِ رَافِلاً   كَمَا تَرْفُلُ الْحَسْنَاءُ فِي حُلَلِ الْخَمْرِ
وَدَامَ لَكَ الْعِزُّ الْمُجَدَّدُ وَالْعُلَى   كَمَا دَامَ حُبُّ الْعُرْبِ لِلنَّظْمِ والنَّثْرِ

48

في رثاء الطبيب ابن عمار(*): [طويل]

أَلاَ أَسْعِدَا عَيْنِي عَلَى السُّهْدِ وَالْبُكَا   فَقَدْ وَاصَلَ السُّهْد الْمُبَرِّح تَذْكَارِي
وَأَبْدَى الرَّدَى فَتْكُ ابْنِ عَبَّادَ إِذْ سَطَا   فَلاَ غَرْوَ أَنْ أَبْكِي لِفَقْدِ ابْنِ عَمَّارِ

49

وقال مما يكتب في الترس(**): [طويل]

أَنَا التُّرْسُ قَدْ أُنْشِئْتُ(1) بِالأَمرِ عُدَّةً   لِيَوْمِ جِهَادٍ مُطْلِعٍ غُرَّةَ النَّصْرِ
فَلاَقُوا بِيَ الأَعْدَاءَ فِي زَحْفِهِمْ وَلاَ   تُبَالُوا بِقَرْعِ الزُّرْقِ وَالْبِيضِ وَالسُّمْرِ
وَلاَ تُنْكِرُوا سَتْرِي لِمَقْتَلِ حَامِلِي   فَفِي اسْمِي كَمَا شَاهَدْتُمُ أَحْرُفُ السَّتْرِ

50

وقال، وقد توفي أبو يحيى أبو بكر صاحب تونس وولي ابنه أبو حفص عمر بعد قتله لإخوته(***): [طويل]

وَقَالُو أَبُو حَفْصٍ حَوَى الْمُلْكَ غَاصِباً   وَإِخْوَتُهُ أَوْلَى وَقَدْ جَاءَ بِالنُّكْرِ

---

(1) في الأصل: بمقدامك.

(*) النفح: 6\118، ولم أجد ترجمة لهذا الطبيب الذي رثاه الشاعر باقتراح ابن جزي، وقد ورّى عنه بابن عمار شاعر المعتمد ووزيره وصديقه الذي هلك على يديه.

(**) النفح: 7\118-119.

(2) في النفح: «أنشأت» ولا يبدو له وجه مقبول.

(***) الإحاطة: 1\349، والنفح: 7\112. وتفاصيل الخبر من وفاة السلطان أبي بكر الحفصي وولاية ابنه أبي حفص في: العبر: 6\452-454، ومنها تنكيله بأخويه خالد وعزوز.

فَقُلْتُ لَهُمْ كُفُّوا فَمَا رَضِيَ الْوَرَى   سِوَى عُمَرٍ مِنْ بَعْدِ مَوْتِ أَبِي بَكْرِ

51

و [من شعره] قوله(*): [وافر]

وَظَبْيٌ طَرَّ عَارِضَهُ وَأَعْفَى   عِذَاراً بَعْدُ يَزْهُو بِاخْضِرَارِ
رَأَى سَقَماً بِمُقْلَتِهِ فَوَافَى   بِآسٍ عَادَ لَكِنْ مِنْ عِذَارِ

52

وقوله(**) [طويل]

أَتَوْنِي بِنَمَّامٍ مِنَ الرَّوْضِ يَافِعٍ   سَقَتْهُ الغَوَادِي كُلَّ أَسْجَمَ مِدْرَارِ
فَلاَ غَرْوَ أَنْ أَصْلَيْتُهُ نَارَ زَفْرَتِي   وَحُكْمٌ عَلَى النَّمَّامِ الالْقَاءُ فِي النَّارِ

53

وقوله(***): [خفيف]

هَذِهِ الشَّمْسُ بِالْحِجَابِ تَوَارَتْ   بَعْدَ نُورٍ لَهَا وَرَحْبٍ وَبِشْرِ
وَأَتَى اللَّيْلُ بِالنَّسِيمِ عَلِيلاً   فَهْوَ يَمْشِي مِنْ أُفْقِهِ لابْنِ زُهْرِ

54

وقال مضمناً، وقد حضر الفتى الكبير عنبر قتالا، وكان فارساً مذكوراً عند بني مرين:(****): [كامل]

(*) النفح: 7\113.

(**) النفح: 7\113.

(***) النفح: 7\113. وعلق المقري على البيتين فقال: «يعني بذلك الوزير الكبير الشهير الطبيب ابن زهر الأشبيلي الأندلسي، فإنه كان وحيد دهره في الطب. فجاءت التورية بسبب ذلك محكمة إلى الغاية».

(****) الإحاطة: 1\349.

وَلَقَدْ أَقُولُ وَعَنْبَرٌ ذَاكَ الْفَتَى   يَلْقَى الفَوَارِسَ فِي الْعَجَاجِ الأَكْوَرِ
يَا عَاثِرِينَ لَدَى الجِلاَدِ لَعاً فَقَدْ[1]   بَسَقَتْ لَكُمْ رِيحُ الجِلاَدِ بِعَنْبَرِ

55

قال المقري: وله فيما أظن: [كامل]

لَهُ شَفَةٌ أَضَاعُوا النَّشْرَ فِيهَا[*]   بِلَثْمٍ حِينَ سَدَّتْ ثَغْرَ بَدْرِ
فَمَا أَشْهَى لِقَلْبِي مَا أَضَاعُوا   لِيَوْمِ كَرِيهَةٍ وَسَدَادِ ثَغْرِ[2]

56

وقال[**]: [كامل]

هُنَّ البُدُورُ تَغَيَّرَتْ لَمَّا رَأَتْ   شَعَرَاتِ رَأْسِي آذَنَتْ بِتَغَيُّرِ
رَاحَتْ تُحِبُّ دُجَى شَبَابٍ مُظْلِمٍ   وَغَدَتْ تَعَافُ ضُحَى مَشِيبٍ نَيِّرِ

57

وقال، بعد إقلاع سيل أَلَمَّ بمحلة الأمير أبي عنان في أثناء رحلته[***]: [بسيط]

يَاخَيْرَ مَلْكٍ بِهِ الدُّنْيَا قَدِ ابْتَهَجَتْ   وَخَيْرَ مُعْتَضِدٍ فِيهَا وَمُنْتَصِرِ
قَدْ حَنَّتِ السُّحْبُ مِنْ شَوْقٍ إِلَيْكَ وَلَمْ   تَشْعُرْ بِذَلِكَ إِذْ جَاءَتْ عَلَى قَدَرِ
وَاسْتَشْعَرَتْ أَنَّنَا لَمْ نَدْرِ مَا قَصَدَتْ   فَأَرْسَلَتْ سَيْلَهَا يَسْعَى عَلَى الأَثَرِ
فَقَبَّلَ الأَرْضَ إِعْظَاماً وَأَوْسَعَهَا   لَثْماً وَلَمْ يَطْوِ مِنْ كَشْحٍ عَلَى ضَرَرِ

---

(1) لعا: صوت معناه الدعاء للعاثر بأن يرتفع من عثرته.

(*) النفح: 2\535، والوافي: 6\40.

(2) هذا المصراع للعرجي. (انظر الأغاني: 1\413 (ط. دار الكتب).

(**) الوافي بالوفيات: 6\40.

(***) فيض العباب: 90-91.

سَـرِيـرَةٌ ظَـلَّ يُـبْـدِيـهَـا وَيُـظْـهِـرُهَـا   مِـنَ الْـمَـحَـبَّـةِ حَـتَّـى جَـاءَ بِـالْـعِـبَـرِ
فَـاعْـجَـبْ لِـمَـاءٍ غَـدَا يُـخْـفِـي سَـرَائِـرَهُ   مَـعَ الـصَّـفَـاءِ ويُـبْـدِيـهَـا مَـعَ الْـكَـدَرِ
لاَ زِلْـتَ فِـي الـعِـزِّ وَالـسَّـعْـدِ الْـمُـجَـدَّدِ مَـا   وَافَـى الـحَـجِـيـجُ لِـقَـصْـدِ الـحِـجْـرِ وَالْـحَـجَـرِ

58

وقال(*): [كامل]

وَالـطَّـاعِـنَـاتُ[1] قُـدُودُهُـنَّ بَـنِـى الْـوَغَـى   بَـيْـنَ الـصَّـوَارِمِ وَالْـقَـنَـا الْـخَـطَّـارِ
فَـكَـأَنَّـمَـا الأَجْـفَـانُ أَجْـفَـانُ الـظُّـبَـا   وَكَـأَنَّـمَـا الأَشْـفَـارُ حَـدُّ شِـفَـارِ

(*) فيض العباب: 74. ويبدو من سياق عرضهما أنهما كانا ضمن مساجلات بين يدي أبي عنان فارس المريني، الذي استحسن البيت الثاني للشاعر وأولاه القبول.

(1) في الأصل: والظاعنات، ولا يستقيم به المعنى ولا الإعراب في بقية الشطر.

الــزاي

59

وله أيضاً[*]: [كامل]

يَا ثَالِثَ الْقَمَرَيْنِ أَنْتَ الْمُعْجِزُ ... حُسْناً، وَأَنْتَ لِذَا وَذَاكَ مُعَزَّزُ
لِلَّهِ طَيْفُكَ إِذْ أَلَمَّ وَلِلدُّجَى ... بُرْدٌ بِإِيمَاضِ الْبُرُوقِ مَطَرَّزُ
وَالشُّهْبُ تَجْنَحُ لِلْغُرُوبِ كَأَنَّهَا ... أَسْرَارُ حُبٍّ خَوْفَ وَاشٍ تَرْمُزُ
حَتَّى بَدَا الصُّبْحُ الْمُنِيرُ كَرَايَةٍ ... بَيْضَاءَ فِي هَضَبَاتِ نَجْدٍ تَرْكُزُ
وَذَكَتْ كَعَرْفِكَ رَوْضَةٌ أَزْهَارُهَا ... عَنْ زُهْرِ شُهْبِ الأُفْقِ لا تَتَمَيَّزُ
وَالْقُضْبُ كَالأَلِفَاتِ، سَاجِعُ وُرْقِهَا ... مِنْ فَوْقِهَا هَمَزَاتُهَا إِذْ تَبْرُزُ
وَالْوَرْدُ فِيهَا أَوْجُهٌ مُخَمَّرَةٌ ... خَجَلاً، وَنَرْجِسُهَا عُيُونٌ تَغْمِزُ
وَبِأَيْمُنِ الأَثْلاَتِ رَبْعٌ مَاحِلٌ ... نِسْيَانُهُ وَالصَّبْرُ كُلٌّ مُعْوِزُ
رَبْعٌ عَفَتْهُ الرِّيحُ إِلاَّ جُثَّماً ... نَارُ الأَسَى لِجَنَابِهَا تَتَحَيَّزُ
عَهْدِي بِهِ وَالْعَيْشُ صَفْوٌ وَالصَّبَا ... أَنْفٌ[1] وَمَوْعِدُ كُلِّ أُنْسٍ مُنْجَزُ
[وَيُزَهِّنِي ذَاكَ][2] التَذَلُّلُ فِي الْهَوَى ... فَتَذَلُّلِي فِي الْعَاشِقِينَ تَعَزُّزُ

(*) مزاين القصر: ق 14.

(1) الأنف، ج. أنوف: ويطلق عادة على المرأة الطيبة رائحة الأنف خِلقة، وعلى الرجل الشديد الأنف، ومن الإطلاق الأول استعير للصبا.

(2) في الأصل: «ويرهبني تلك»، ويناسب الزهو ذلك التعزز الذي قابل به التذلل. ولا وجه لتأنيث اسم الإشارة.

وَلَقَدْ نَظَرْتُ إِلَى السُّيُوفِ، لَوَاحِظٌ[1] أَبداً تَكُرُّ عَلَى النُّفُوسِ وَتُجْمِزُ[2]
وَرِمَاحُ أَعْطَافٍ تَهِزُّ بِمَأْزِقٍ أَهْلَ الْهَوَى أَبْطَالُهُ لاَ تُحْجَزُ
وَكَأَنَّمَا بِيضُ الْقِبَابِ كَمَائِمٌ وَالْغِيدُ أَزْهَارٌ تُصَانُ وَتُحْرَزُ
وَكَأَنَّمَا عُوجُ الْمَطِيِّ أَهِلَّةٌ فِي لَيْلِ نَقْعٍ بِالْبُرُوقِ تَحَفَّزُ
وَكَأَنَّمَا الْعُشَّاقُ خَلْفَ حُدَاتِهَا وَرْقٌ لَهُنَّ بِشَجْوِهِنَّ تَمَيُّزُ
وَعَلَى غَيَارَى[3] الْحَيِّ إِنْ هَزُّوا الْقَنَا بَشَرَى[4] بِلَبَّاتِ الْفَوَارِسِ تُغْرَزُ
وَتَخَيَّلُوا لَيْلَى هِيَ الْبَدْرُ الَّذِي يُنْمَى إِلَيْهِ تَبَرُّجٌ وَتَبَرُّزُ
مَيَّاسُ قَدٍّ جَالَ بَيْنَ بُرُودِهَا خُوطٌ لَعَمْرِي لَيْسَ فِيهِ مَغْمَزُ
لَمْ أَدرِ هَلْ مِنْ ثَغْرِهَا أَمْ أَدْمُعِي عِقْدٌ يَلُوحُ بِجِيدِهَا إِذْ، تَبْرُزُ
وَلَقَدْ تَفُضُّ حَدِيثَهَا عَنْ جَوْهَرٍ يَصْبُو إِلَيْه الجَوْهَرُ الْمُتَحَيِّزُ
لَكِنْ مَدِيحُ مُحَمَّدٍ مَلِكُ الْوَرَى أَشْهَي لِقَلْبِي أَطْنَبُوا أَوْ أَوْجَزُوا
مَوْلاَيَ مُعْطَىً مُلْك رَبِّي فَسَيِّدِي بَلْ قَدْرُهُ أَعْلَى وَوَصْفِيَ مُعْجزُ
مَلِكُ الْمُلُوكِ وَمُحرِزُ الْمَجْد الَّذِي قَدْ جَلَّ مِقْدَاراً وَجَلَّ الْمُحْرِزُ
خَيْرُ السَّلاَطِينِ الْكِرَامِ مُمَدَّحٌ أَثْنَى عَلَيْهِ مُقَصِّدٌ وَمُرَجِّزُ

---

(1) لواحظ بالرفع: على أنها خبر لمبتدأ محذوف تقديره: (وهي لواحظ) والجملة الفعلية بعدها صفة لها. والجملة الاسمية في موقع الحال. ويمكن أن تنصب على أنها حال مفردة، أو بالنصب على نزع الخافض، ولكن الرواية لم تنصبها.

(2) تجمِز: تسير سيرا قريباً من العدو، وفي حاشية المخطوط شرح لغوي لهذه الكلمة جاء فيه أن «الجمز: ضرب من السير، ولولا هذا الشرح لقرأتها «تجهز» للتقارب في الرسم بين الكلمتين ولأن مهمة السيوف أن تجهز على العدو فترديه قتيلاً، أما الجمز فمن صفات الدواب، ولعل المعنى الأول هو مراد الشاعر.

(3) في الأصل: عيارى ـ بالعين المهملة ـ.

(4) الشرى: التتابع والمبالغة، تقول شرى البرق أي تتابع لمعانه، والقنا تهتز بشرى أي: الرماح تتتابع بسرعة.

وَإِمَـامُ كُـلِّ إِمَـامِ هَـذْي لَـمْ يَـكُـنْ ... لَـوْلاَ تَـعَـزُّزُ قَـدْرِهِ يَـتَـعَـزَّزُ
أَمَـا الـمَـعَـالِـي فَـهْـيَ غَـيْـرُ نَـوَاشِـزٍ ... عَـنْـهُ [وَ][1] يَـطْـلُـبُـهَـا سِوَاهُ فَـتَـنْـشَـزُ
وَالْـعِـلْـمُ أَجْـمَـعُ فِـي يَـدَيْـهِ مَـلاَكُـهُ ... وَإِذَا يُـدَارُ فَـمَـا سِـوَاهُ الْـمَـرْكَـزُ
ذُو الْـجِـدِّ إِنْ تَـنْـبُـو الـسُّـيُـوفُ فَـسَـيْـفُـهُ ... مَـاضٍ عَـلَـى كُـلِّ الـعُـدَاةِ مُـفَـوَّزُ
ذُو الـسَّـعْـدِ قَـامَ مَـقَـامَ كُـلِّ كَـتِـيـبَـةٍ ... مِـلْءِ الأَبَـاطِـحِ لِـلْـحُـرُوبِ تَـجَـهَّـزُ
أَمْـدَاحُـهُ الْـحُـسْـنَـى تُـوَشِّـي دَائِـمـاً ... بِـيضَ الـسُّـيُـوفِ كَـمَـا انْـتَـقَـتْ وَتُـطَـرَّزُ
مَـسَـكَ الْـمُـهَـنَّـدَ وَالْـيَـرَاعَ فَـقِـرْنُـهُ ... مِـنْ ذَا وَذَاكَ لَـهُ اسْـتَـمَـرَّ تَـحَـرُّزُ
وَحَـمَـى الْـبِـلاَدَ وَزَادَ أَمْـنـاً أَهْـلَـهَـا ... فَـدَنَـا الْـبَـعِـيـدُ وَوُطِّـنَ الْـمُـسْـتَـوْفِـزُ
بَـادِي الـسَّـمَـاحَـةِ فَـاضِـلٌ مُـتَـفَـضِّـلٌ ... فِـيـهِ وَإِلاَّ فِـي الْـمَـدِيـحِ تَـحَـوُّزُ
مِـنْ أُسْـرَةٍ غُـرِّ الْـوُجُـوهِ خَـلاَئِـفٍ ... تَـتَـضَـاءَلُ الـشُّـهْـبُ الـعُـلاَ إِنْ يَـعْـتَـزُوا
مِـنْ آلِ قَـحْـطَـانَ الَّـذِيـن هُـمُ هُـمُ ... وَالْـخَـيْـلُ تَـعْـجَـلُ لِـلـنِّـزَالِ وَتَـحْـفِـزُ
أَزْوَالُ أَيَّـامِ الْـحُـرُوبِ شِـعَـارُهُـمْ ... طَعْـنٌ عَـلَـى الْقُدُمِ الْفَوَارِسِ مُجْهِزُ[2]
أَلْـقَـوْمُ كُـلٌّ مِـنْـهُـمُ مُـتَـسَـابِـقٌ ... فِـي حَـلْـبَـةِ الْـمَـجْـدِ الأَثِـيـلِ مُـبَـرِّزُ
وَهُـمُ الَّـذِيـنَ تَـوَارَثُـوا الـشَّـرَفَ الَّـذِي ... يُـغْـنِـي مَـآثِـرَهُ الـزَّمَـانُ وَيَـكْـنِـزُ
وَمُـحَـمَّـدٌ فِـيـهِـمْ أَجَـلُّ خَـلِـيـفَـةٍ ... وَأَغَـرُّ نَـدْبٍ بَـذْلُـهُ لاَ يُـعْـوِزُ[3]
أَسْـدَيْـتَـهَـا نِـعَـمـاً زَكَـتْ وَمَـوَاهِـبـاً ... بِـالْـفَـقْـرِ مَـنْ خَـلُـصَـتْ لَـهُ لاَ يُـنْـبَـزُ
فَـلَـدَيَّ أَرْحَـبُ حَـيِّـزٍ لِـوُفُـودِهَـا ... أَبَـداً، وَلِـلْـحَـمْـدِ الْـمُـوَاصَـلِ حَـيِّـزُ
وَوَعَـدْتَـنِـي وَعْـداً فَـمِـثْـلِـي يَـرْتَـجِـي ... إِنْـجَـازَهُ كَـرَمـاً وَمِـثْـلُـكَ[4] يُـنْـجِـزُ

---

(1) في الأصل: فيطلبها.
(2) الأزوال: الشجعان، يزول الناس من شجاعتهم. والقدم من الرجال: الشجاع.
(3) الأغر من الرجال: السيد الشريف وكريم الفعال. والندب: الظريف النجيب.
(4) في الأصل: ومثله.

وقوله[*]: [متقارب]

أَجِـزْنِـي بِـوَصْـلٍ عَـلَـى مِـدْحَـتِـي   فَـلِـي فِـيـكَ مَـدْحٌ يُـدَوِّي عَـزِيـزَا
وَإِنْ كُـنْـتَ لِـي فِـي الْـوَرَى مَـالِـكـاً   فَـمَـا مَـالِـكٌ[1] مِـثْـلُـهَـا لَـنْ يُـجِـيـزَا

(*) مسالك الأبصار: 17\215.

(1) مالك: يريد مالك بن أنس، رأس المذهب المالكي، وفي الأسلوب تورية بين صاحب الملك مطلقاً والإمام المذكور.

الطاء

61

وقال أيضاً(*) : [بسيط]

يَا لائِمِي فِي الْهَوَى كَلَّفْتَنِي شَطَطَا وَإِنَّنِي بِالْهَوَى مَا زِلْتُ مُغْتَبِطَا
وَلِي بِأَهْلِ الْحِمَى، يَدْرِي الْحِمَى(1)، كَلَفٌ وَطُولُ مَبْكىً عَلَى عَهْدٍ بِهِ فَرَطَا
وَمَا اصْطِبَارِي وَقَدْ زُمَّتْ رَحَائِلُهُمْ وَلِلتَّرَحُّلِ حَادِي العِيسِ قَدْ نَشَطَا
وَهَاجَ وَجْدِيَ رَكْبٌ رَافِعٌ حُدُجاً بِهِنَّ جُنْح الدُّجَى فِي الْبِيدِ قَدْ خَبَطَا
وَعطَّرَ الْجَوَّ مِنْهُ أَيُّ طِيبِ شَذَا بِكُلِّ رُوحٍ، لَعَمْرِي رُوحُهُ اخْتَلَطَا
وَأَغْصُنُ الْبَانِ قَدْ مَالَتْ لَهُ طَرَباً لَمَّا أَتَى مِثْلَ مَا نَفَّرْتَ سِرْبَ قَطَا
وَالْوُرْقُ فِي الْغُصْنِ قَدْ غَنَّتْ لَهُ فَرِحاً [بِعَوْدِهِ](2) حِينَ وَافَى مُعْمِلاً لِخُطَى
وَالرِّيحُ رَقَّتْ لِمَسْرَاهُ فَمَا بَرِحَتْ عَلِيلَةً خِلْتُهَا قَدْ أَعْيَتِ الخُلَطَا
وَالْوَرْدُ لَمَّا أَتَاهُ احْمَرَّ مِنْ خَجَلٍ وَخَدَّهُ إِذْ مَشَى فِي الأَرْضِ قَدْ بَسَطَا
وَالْغَيْثُ لَمَّا سَرَى وَافَاهُ مُنْسَكِباً كَأَنَّهُ دُرُّ عِقْدٍ فِي الثَّرَى سَقَطَا
أَوْ دُرُّ مَدْحِي لِمَوْلانَا الإِمَامِ أَبِي عَبْدِ الإِلَهِ الَّذِي أَعْلَى لِي الخِطَطَا
دُرٌّ بِبِيضِ طُروسِي ظَلْتُ أَلْقُطُهُ فَزَانَ بِيضَ طُرُوسِي خَيْرُ مَا لُقِطَا
أَعْلَى الْمُلُوكِ الَّذِي جَلَّتْ مَوَاهِبُهِ تِلْكَ الَّتِي لَمْ تَدَعْ يَأْساً وَلاَ قَنَطَا
سَمِيُّ خَيْرِ نَبِيٍّ قَامَ مُنْتَصِراً لِدِينِهِ، وَأَعَزُّ الأُمَّةِ الْوَسَطَا
مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْحَجَّاجِ أَكْرَمُ مَنْ زَكَا وَأَقْسَطَ فِي حُكْمٍ وَمَا قَسَطَا

(*) مزاين القصر: ق 15.

(1) في الأصل: الحما، وجملة (يدري الحمى) معترضة.

(2) في الأصل: به، وقد أتيتُ بكلمةٍ تسد نقص الوزن وتقارب نقص المعنى.

أَوْلاَدُهُ خَيْرُ أَوْلاَدٍ لَهُمْ شَرَفٌ بُحْبُوحَةُ الْفَخْرِ كُلُّ الْفَخْرِ قَدْ وَسَطَا[1]
غُرٌّ مَيَامِنُ أَمْجَادٌ أَكَارِمَةٌ عَلَى عِدَاهُمُ إِلهُ الْخَلْقِ قَدْ سَخِطَا
شُبُولُ أَجْرَاءِ[2] لَيْثٍ لِلْقِتَالِ دَعَا وَفِي الْوَغَى لِلأَعَادِي الْكَافِرِينَ سَطَا
وَأَنْجُمٌ قَدْ نَمَاهَا لِلْعُلاَ قَمَرٌ مِنْ وَالِدٍ لِلْعُلاَ فِي مُلْكِهِ اشْتَرَطَا
مُصَحِّحٌ صُحُفاً لِلْمَجْدِ لاَ غَلَثاً[3] أَبْقَى بِهَا [لاَ][4] وَلاَ أَبْقَى بِهَا غَلَطَا
مَا زَالَ عَمَّنْ أَرَادَ الْفُحْشَ مُنْقَبِضاً وَلِلأُلَى بَلَّغُوهُ الْمَدْحَ مُنْبَسِطَا
مُبَارَكٌ لَمْ يَزَلْ لِلْمَدْحِ مُكْتَسِباً وَلِلْقَضَاءِ بِهِ مَا زَالَ مُرْتَبِطَا
رَبُّ الْمَعَارِفِ مُبْدِي كُلَّ مُعْجِبَةٍ مُعَاجِلٌ بِصَوابٍ نَحْوَ كُلِّ خَطَا
مُؤَيَّدُ الْعَزْمِ مِنْ أَهْلِ الْحُرُوبِ دَنَا وَعَنْ رُبُوعِ بَنِي الرَّاحَاتِ قَدْ شَحَطَا[5]
أَجَلُّ مَوْلىً لَزِمْنَا شُكْرَ أَنْعُمِهِ فَالْكُلُّ مِنَّا بِذَاكَ الشُّكْرِ قَدْ غُبِطَا
وَقَدْ كَشَفْنَا مِنَ الْمَدْحِ الْبَدِيعِ لَهُ عَنْ كُلِّ وَجْهٍ فَمِسْكُ الْحِبْرِ قَدْ نَقَطَا

(1) وسط الشيء: صار في وسطه. والبحبوحة من كل شيء: خياره.
(2) في الأصل: أجرى.
(3) الغلث: الخلط.
(4) زيادة يقتضيها الوزن والمعنى.
(5) شَحَطَ بَعُد. وضبطت في الأصل بالبناء للمفعول.

62

وله أيضاً(*): [كامل]

أَزْرَتْ بِقُسٍّ حِينَ حَلَّ عُكَاظَا ... [أَلْفَاظُ[1]] مَدْحِكَ يَا لَهَا أَلْفَاظَا!
وَثَنَاؤُكَ الذَّاكِي الشَّذَى [قَدْ][2] عَطَّرَتْ ... نَفَحَاتُهُ النُّوَّامَ والأَيْقَاظَا
مَلِكُ المُلُوكِ اللَّيِّنِينَ شَمَائِلاً ... وَالمُغْلِظِينَ عَلَى العِدَى إِغْلاَظَا
وَمُحَمَّدُ نَجْلُ الخَلِيفَةِ يُوسُفٍ ... أَعْظِمْ [بِهِ[3]] مِمَّنْ لَقُوْهُ حِفَاظَا
مِنْ آلِ خَزْرَجَ فِي سَرَارَةِ مَحْتِدٍ ... أَعْيَا حَدِيثُ عَلاَئِهِ الحُفَّاظَا
مِنْ عِلْيَةِ الأَنْصَارِ في البَيْتِ الَّذِي ... بِسَنَا هُدَاهُ قَيَّدَ الأَلْحَاظَا
الكَاظِمِينَ الغَيْظَ وَالعَافِينَ عَنْ[4] ... كُلِّ امرِىءٍ، كُلٌّ عَلَيْهِ اغْتَاظَا
مِنْ آلِ نَصْرٍ خَيْرِ قَوْمٍ أَرْسَلُوا ... مِنْ بَأْسِهِمْ نَحْوَ العُدَاةِ شُوَاظَا
رَقَّتْ حَمَائِلُهُمْ وَلَكِنْ فِي الوَغَى ... لَبِسُوا سَرَابِيلَ الحُرُوبِ غِلاَظَا
وَبِمَحْوِ آثَارِ الأَعَادِي أَظْهَرُوا ... عِبَراً لَهُمْ وَعَظُوا بِهَا الوُعَّاظَا
وَسَلِيلُهُمْ مَلِكُ الوَرَى بِسُيُوفِهِ ... أَبْدَتْ نُفُوسُ المُشْرِكِينَ مغَاظَا
وَمُعِزُّ فَخْرِهِمُ مُحَمَّدُ الرِّضَى ... أَرْضَى العُفَاةَ وَكُلَّ قِرْنٍ غَاظَا

(*) مزاين القصر: 16 أ.

(1) زيادة يقتضيها الوزن والمعنى.

(2) زيادة يقتضيها الوزن. والشطر في مجموعه مضطرب.

(3) ما بين المعقوفين زيادة عن الأصل يقتضيها تمام الوزن والمعنى.

(4) اقتباس من قوله تعالى: ﴿والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس﴾ (آل عمران: 134).

خَـاشٍ بِـذِكْـرِ الـلَّـهِ جَـلَّ جَـلاَلُـهُ   أَبَـداً يَـلِـظُّ مُـوَاصِـلاً إِلْـظَـاظَـا[1]
وَجَـمِـيـعُ أَنْـصَـارِ الـبَـصَـائِـرِ عِـلْـمُـهُ   إِذْ فَـاضَ أَيْـقَـظَـهَـا بِـهِ إِيـقَـاظَـا
رَاعِـي الـوَسَـائِـلِ لَـحْـظُـهُ لِـعُـبَـيْـدِهِ   لَـحْـظٌ يُـنَـبِّـهُ لِـلـسُّـرُورِ لِـحَـاظَـا

(1) لظ بالذكر: لازمه. ومنه قول الرسول (ص): «ألظوا بيا ذا الجلال والإكرام» أي: التزموا هذا الدعاء. (وسيط: لظ).

الكاف

63

«وقال، سامحه االلّه[*]: [كامل]

يَا خَمْرَ طِيبِ الوَصْلِ مَا أَحْلاكَا! ... فِي لَيْلَةٍ قَدْ نَوَّرَتْ أَحْلاكَا
وَأَلَذُّ تَرْجِيعَ الغِنَاءِ وَنَغْمَةً ... لِمُطَوَّقٍ فَوْقَ الغُصُونِ تَبَاكَا
والقُضْبُ تَرْقُصُ كُلَّمَا هَبَّتْ صَباً ... لِتَزُورَ أَثْلاً بِالحِمَى وَأَرَاكَا
وَعَلَى خُدُودِ الوَرْدِ قَدْ أَجْرَى[1] الحَيَا ... دَمْعاً يُكَفْكِفُهُ النَّسِيمُ دِرَاكَا
وعَلَى بِسَاطِ الآسِ قَدْ نَثَرَ النَّدَى ... دُرَراً كَمَا نَثَرَتْ يَدٌ أَسْلاكَا
والأُقْحُوَانُ ثُغُورُهُ مَسْقُولَةٌ[2] ... لَكِنَّهَا لَمْ تَعْرِفِ المِسْوَاكَا
والنَّرْجِسُ المَطْلُولُ قَدْ أَهْدَى شَذىً ... كَالمِسْكِ فُضَّ خِتَامُهُ فَتَذَاكَا
وَكَأَنَّهُ فِي الرَّوْضِ فَتَّحَ أَعْيُناً ... لِيَرَى ابْنَ نَصْرٍ مُلِّكَ الأَمْلاكَا
ذَاكَ ابْنُ يُوسُفِ الأَمِيرُ مُحَمَّدٌ ... أَدْعَى الفَوَارِسِ في الحُرُوبِ عِرَاكَا
وَأَجَلُّ مَنْ أَجْرَى الخُيُولَ عَوَابِسَا ... كُلٌّ، لَعَمْرِي، لَجْمَهُ قَدْ لاكَا
مِثْلُ القَطَا الأَسْرَابُ وِرْداً بَاعَدَتْ ... لَكِنَّهَا لَمْ تَقْرَبِ الأَشْوَاكَا
ضَرَّابُ هَامِ الضَّارِبِينَ الهَامَ فِي ... جَيْشٍ يَرُوعُ الرُّومَ وَالأَتْرَاكَا
حَامِي الحَقِيقَةِ لَمْ تَزَلْ فَتَكَاتُهُ ... تُرْدِي بِمَأْزِقِ حَرْبِهَا الفُتَّاكَا
وَارَتْ عَوَالِيهِ نُجُومُ أَسِنَّةٍ ... تَخِذَتْ مَثَارَ عَجَاجِهَا أَفْلاكَا

(*) مزاين القصر: 16-17.

(1) في الأصل: أدرى، وهو تصحيف.

(2) مسقولة: مائلة.

مِنْ آلِ خَزْرَجَ فِي الصَّمِيمِ شِعَارُهُ جُودٌ يُنَحِّلُ مِرْزَماً وَسِمَاكَا[1]

مِنْ آلِ نَصْرِ نَاصِرِي[2] دِينَ الهُدَى وَالحَرْبُ تَنْصِبُ لِلْكُمَاةِ شِبَاكَا

وَأَعَادَ لِلتَّوْحِيدِ شِدَّةَ[3] شَوْكَةٍ مَحَقَتْ كَمَا مَحَقَ الرِّبَا الإِشْرَاكَا

زَاكِي المَعَارِفِ وَالعَوَارِفِ عَالِمٌ إِدْرَاكُهُ قَدْ عَلَّمَ الإِدْرَاكَا

سِرُّ الكِرَامِ، بَنِي الكِرَامِ، بِمُلْكِهِ[4] وَبِنُسْكِهِ قَدْ أَبْهَجَ النُّسَّاكَا

وَأَرَى السَّعَادَةَ والمَجَادةَ وَالعُلاَ كُلٌّ أَطَالَ بِحَبْلِهِ اسْتِمْسَاكَا

حَاكَاهُ جُودُ الغَيْثِ فِي جُودٍ لَهُ لَكِنَّهُ فِي بِشْرِهِ مَا حَاكَا

64

«وقال، وقد اشتاق إلى السبيكة خارج حمراء غرناطة(*): [رمل]

إِنَّ إِفْرَاطَ بُكَائِي لَمْ يَرُعْ مِنِّي عَرِيكَهْ

قَدْ أَذَابَ العَيْنَ لَمَّا زَادَ شَوْقِي لِلسَّبِيكَهْ

---

(1) ينحل: يعطي من ماله. والمرزم: اسم لعدد من النجوم منها العبور والغميصاء. والسماك: وأحد السماكين: الأعز والرامح: وهما نجمان نيران. (اللسان: سمك). وقد أراد الشاعر أنه يلحق الأباعد بكرمه، وهو غاية الجود، ومنه قول الشاعر:

ونكرم جارنا ما دام فينا ونتبعه الكرامة حيث كانا

(2) في الأصل: ناصر الدين والهدى، وهو تصحيف بين.

(3) في الأصل: شدت.

(4) هكذا ضبط الناسخ هذا الشطر، وأحسب أن لقراءته وجهاً آخر أراه معقولاً، وهو أن يعرب «سَرَّ» على أنه فعل ماض ليقابل «أَبْهَجَ» في الشطر الثاني، ولعله كذلك في الأصل، وعليه تنصب كلمتا «الكرام» و«النساك» على المفعولية، والفاعل الممدوح فيهما.

(*) الإحاطة: 350/1.

65

وله، رحمه اللّه، من قصيدة(*): [كامل]

أَمْسَتْ حَلائِلُ مَالِهِ تَشْكُو النَّدَى ... وَتُعَاتِبُ الطُّلاَّبَ وَالسُّؤَالاَ
وَكَذَا الكَرِيمُ إِذَا أَغَارَ عَلَى العُلاَ ... أَرْضَى العُفَاةَ وَأَسْخَطَ الأَمْوَالاَ

66

«وقال أبو إسحاق النميري المذكور(**): [وافر]

أَيَا ضَوْءَ الصَّبَاحِ أَرْفِقْ بِصَبٍّ ... تَسِيلُ دُمُوعُهُ فِي الخَدِّ سَيْلاَ
وَكُنْتُ بِلَيْلَةٍ لَيْلاءَ طَالَتْ ... فَهَا أَنَا فِي الوَرَى مَجْنُونُ لَيْلَى[1]

67

[قال ابن الحاج في مذكراته](***):

«وفي ليلة يوم الجمعة الخامس عشر لجمادى الأولى، رأيت في النوم كأني

وقد تقدم أن السبيكة تُطلق على المدرج الذي يقع جنوب شرق الحمراء، ويقال إنه كان ساحة في عصر النصريين وبه مقبرة عتيقة، دفن بها مؤسس الدولة محمد بن الأحمر. (نهاية الأندلس: 292) غير أن كثرة الإعجاب بها في أشعار هذه الفترة لا يدل على أن العناية بزراعتها قد تأخرت إلى عصر الإسبان، كما يقول الأستاذ عنان.

(*) مختارات ابن عزيم: 28.

(**) النفح: 113/7.

(1) كُتبت «ليلا» بالألف الممدودة في الأصل.

(***) مذكرات ابن الحاج، بتحقيق برمبير: 127.

أمام دار مولاي الخال المرحوم أبي عبد الله بن عاصم[1]، ومعي بعضُ الأصحاب، فأنشدني في النَّوم نصفَ بيتٍ، وكأنه أراد أن أزيد عليه في رثاءِ مولاي الخال، وهو: [طويل]

خُـطُـوبٌ عَـلَـى قَـدْرِ الـمُـصَـابِ مَـنَـالُـهَـا

فقلت في اليقظة:

فَـلاَ غَـرْوَ أَنْ أَحْـيَـى الـنُّـفُـوسَ احْـتِـمَـالُـهَـا»

[وقد بنى على هذا البيت قصيدة قال في مقدمتها]:

«. . . نظمتُ هذه القصيدة في رثاءِ مولاي الخال أبي عبد الله بن عاصم، متمماً لصدرِ مطلعها الذي سمعتُه في النَّوم وقد تقدَّم ذكرُ ذلك[*]: [طويل]

خُـطُـوبٌ عَـلَـى قَـدْرِ الـمُـصَـابِ مَـنَـالُـهَـا ... فَلاَ غَرْو أَنْ أَعْيَا النُّفُوسَ احْتِمَالُـهَا

سَـرَتْ تَـبْـعَـثُ الأَشْـجَانَ نَـحْـوِيَ مَوْهِـناً ... فَـمَـا رَاعَ مِـنِّـي الـقَـلْـبَ إِلاَّ اشْـتِـعَـالُـهَـا

وَشَـنَّـتْ مِـنَ الـتَّـبْـرِيـحِ وَالـوَجْـدِ غَـارَةً ... يَـضِـيـقُ عَـلَـى رَبِّ الـحُـرُوبِ مَـجَـالُـهَـا

أَأَطْـلُـبُ مِـنْ لَـيْـلِـي الـصَّـبَـاحَ وَدُونَـهُ ... لَـيَـالِـي هُـمُـومٍ لاَ يُـتَـاحُ زَوَالُـهَـا

كَـأَنِّـي عَـلَـى نَـابِي الـمَـضَـاجِـعِ فِي الدُّجَى ... أُسَـاوِرُ رُقْـشـاً لا يَـغِـبُّ اغْـتِـيَـالُـهَـا

أَلَـهْـفِـي لَـسَـفْـرٍ خَـلَّـفُـوا الـدَّارَ بَـلْـقَـعـاً ... تَـنُـوحُ عَـلَـى الـحَـيِّ الـحَـلاَلِ حِـلاَلُـهَـا[2]

وَرَكْـبٍ أَنَـاخُـوا الـعِـيسَ فِـي سَـاحَـةِ الـبِـلَى ... فَـفَـاءَتْ عَـلَـيْـهِـمْ بِـالـمَـنُـونِ ظِـلاَلُـهَـا

(1) ابن عاصم هذا هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن عاصم بن محمد بن أبي عاصم القيسي: فقيه كاتب، تولى الحسبة. رثاه ابن الحاج بقصيدة أخرى في «نثير فرائد الجمان: 314-318. (ترجم له: صاحب الكتيبة: 172، وذكر بعض شعره. وانظر: الدرر الكامنة: 180/4، ونثير فرائد الجمان: 314، ومقدمة تحقيق جنة الرضا: 38/1).

(*) مذكرات ابن الحاج النميري (مخطوطة الاسكوريال رقم: 1734، ص 45).

مقابلة مع تحقيق برمبير، ص 153-156، وقد دون الشاعر هذه القصيدة في شهر رجب الفرد المبارك من عام خمسة وأربعين وسبعمئة.

(2) الحلال ـ بفتح الحاء ـ: المباح، وبكسرها: من مراكب النساء.

وَمَـا وَرَدُوا غَـيْـرَ الـحِـمَـام مَـشَـارِعـاً عَـزِيـزاً عَـلَـيْـنـا أَنْ يُـبَـاحَ نِـهَـالُـهَـا

فَـمَـنْ مُـبْـلِـغٌ ذَاكَ الـجَـنَـاب أَلُـوكَـةً تَعَاظَمَ في شَجْوِي وَحُزْنِي اغْتِمَالُهَا[1]

وَحَـقِّـكُـمْ يـا جِـيـرَةَ الـسَّـرْحَـةِ الَّـتِي قَـرِيـبٌ لِـمَـنْ خَـلَّـفْـتُـمُـوهُ احْـتِـلالُـهَـا

يَـمِـيناً لَـقَـدْ صَـارَمْتُ عَـيْـشِـيَ بَـعْـدَكُـمْ وَمَـا سَـرَّ نَـفْـسِي بِـالـبَـقَـاءِ اشْـتِـمَـالُـهَـا

وَبِـالـشِّـعْـبِ مِـنْ غَـرْنَـاطَـةٍ قَـبْـرُ أَوْحَـدٍ بِـهِ عُـدِّدَتْ فِـي الـصَّـالِـحَـاتِ خِـلالُـهَـا

كَـرِيـمٌ إِذَا غَـرَّتْ عَـنْ الآمِـلِ الـلُّـهَـى فَـمَـا بِـسَـوَى كَـفَّـيْـهِ يُـلْـفَـى ابْـتِـذَالُـهَـا

هُـمَـامٌ يُـزِيـرُ الـخَـيْـلَ قُـبَّـا بِـطُـونُـهَـا سَـوَابِـحَ فِـي مَـجْـرَى الـدِّمَـاءِ اخْـتِـيـالُـهَـا

وَأَيُّ إِمَـــامٍ مُـــرْشِـــدٍ بِـــعُــلُـــومِـــهِ هَـدَى كُـلَّ نَـفْـسٍ مُـسْـتَـفِـيضٍ ضَـلالُـهَـا

(. . .)[2] لـي قَـيْـس غَـيْـلانَ رُتْـبَـةٌ عَـلَـى عَـمَـدِ الإِجْـلالِ قَـامَ جَـلالُـهَـا

شَـهِـدْتُ لَـقَـدْ حَـلَّـتْ بِـشِـعْـبِ عَـشَـائِـرِي شَـعُـوبٌ وَأَوْدَى بِـالـتَّـنْـزِيـلِ نِـزَالُـهَـا[3]

فَـقُـمْ بِـي وَشُـدَّ الـكَـوْرَ فَـوْقَ شِـمِـلَّـةٍ سَـرِيـعٌ تَـرَامِـيـهَـا بَـعِـيـدٌ كَـلالُـهَـا[4]

تُـفَـرِّقُ أَيْـدِيـهَـا الـحَـصَـا وَسْـطَ نَـفْـنَـفٍ يَـخُـونُ بِـهِ الأُسْـد الـغِـضَـاب[5] صِـيَـالُـهَـا

مِـنَ الـشَّـذْقَـمِـيَّـاتِ الـرَّوَاسِـمِ جَـسْـرَة شَـدِيـدٌ عَـلَـى قَـطْـعِ الـفَـلاةِ مِـحَـالُـهَـا[6]

وَجِـدَّ الـسُّـرَى فـي كُـلِّ بَـيْـدَاءَ مُـجْـهَـلٍ تَـهِـيـلُ كَـأَمْـوَاجِ الـبِـحَـارِ رِمَـالُـهَـا[7]

لَـعَـلِّـيَ لا أَلْـقَـى لِـخَـالِـيَ نَـاعِـيـاً وَهَـيْـهَـاتَ تِـلْـكَ الـحَـالُ ما إِنْ إِخَـالُـهَـا

وَأَنَّـى بِـهَـا بَـعْـدَ الَّـتِي اسْـتَـكَّ مَـسْـمَـعِي غَـدَاةَ أَتَـى فَـوْقَ الـمَـقَـالِ مَـقَـالُـهَـا

---

(1) اغتمالها: سترها وإخفاؤها. وقد تركها المحقق بياضاً واستكملتُهَا من النص المخطوط.

(2) طمس في الأصل.

(3) شطر عسير القراءة ترك المحقق معظمه بياضاً.

(4) شطر عسير القراءة ترك المحقق نصفه بياضاً.

(5) النفنف: الصحراء. والشطر الثاني مصاب بالرطوبة عسير القراءة أهمل المحقق نصفه.

(6) كلمة غير واضحة في الأصل، تركها المحقق بياضاً، وما هنا اجتهاد في قراءتها. والمحال: الكيد والقوة والعقاب من الله، ومنه قوله تعالى: ﴿وهو شديد المحال﴾.

(7) بياض في التحقيق.

عَفَاءٌ لِدُنْيَا تَخْدَعُ المَرْءَ بِالمُنَى كَمَا يَخْدَعُ الهِيمَ[1] اللَّواغِيبَ آلُهَا
وَتَبًّا لَهَا تَبًّا مَدَى الدَّهْرِ عِيشَةً يَعُودُ إلى النَّقْصِ المُلِيمِ كَمَالُهَا
لَعَمْرُكَ ما الأَيَّامُ بَعْدَ ابْنِ عَاصِمٍ بِتِلْكَ الَّتِي رَقَّتْ وَرَاقَ جَمَالُهَا
وَلاَ الحَيُّ ذَاكَ الحَيُّ هَيْهَاتَ إِنَّمَا مَضَتْ بَهْجَةُ الدُّنْيَا وَغَاضَ نَوَالُهَا
لِتَبْكِ عُفَاةُ الحَيِّ غَيْثَ رُبُوعِهَا إِذَا أَثْلُهَا أَضْحَى حُطَاماً وَظَالُهَا
لِتَبْكِ اليَتَامَى مَنْ بَكَيْتُ فَإِنَّهُ مَلاَذُ اليَتَامَى في السِّنِينَ ثِمَالُهَا
لِتَبْكِ السُّيُوفُ البِيضُ مَنْ بِضَرَابِهِ يُحَادِثُهَا يَوْمَ القِرَاعِ صِقَالُهَا
لِتَبْكِ رِمَاحُ الخَطِّ مَنْ بِطِعَانِهِ تُثَقَّفُ فِي عُوجِ الضُّلُوعِ طِوَالُهَا
أَجِدَّكَ يَا ابْنَ الأَكْرَمِينَ رَحَلْتَ عَنْ خِيَامٍ تُجِيرُ الخَائِفِينَ[2] رِجَالُهَا
أَجِدَّكَ خَلَّفْتَ الرُّبُوعَ دَوَارِساً إِذَا سُئِلَتْ لَمْ يُجْدِ يَوْماً سُؤَالُهَا
أَجِدَّكَ لاَ تَلْتَاحُ نَارُكَ فِي الدُّجَى وَكَمْ قَدْ هَدَتْ خُوصَ الرِّكَابِ جِبَالُهَا
أَجِدَّكَ لاَ تَلْقَى الوُفُودَ مُرَحِّباً وَقَدْ رُمِيَتْ دُونَ القِبَابِ رِحَالُهَا
لِمَنْ يَخْضَعُ الأَبْطَالُ بَعْدَكَ فِي الوَغَى[3] وَتُذْعِنُ مَهْمَا آن يَوْماً قِتَالُهَا
لِمَنْ تَمْرَحُ الجُرْدُ العِتَاقُ وَمَنْ لَهَا[4] إِذَا كَانَ مِنْ ذَوْبِ النَّجِيعِ انْتِعَالُهَا
(بِمَنْ تَشْرُفُ[5]) الأَشْعَارُ والخُطَبُ الَّتِي يُقَصِّرُ في النَّادِي بِقُسٍّ مُطَالُهَا
فَآهاً عَلَى العَلْيَاءِ والبَأْسِ والنَّدَى ثَلاَثُ خِلاَلٍ قَدْ أُتِيحَ اخْتِلاَلُهَا
وَلَهْفِي عَلَى المَوْلَى الَّذِي حَسَنَاتُهُ قَلِيلٌ لِمِثْلِي أَنْ يُعَادَ مِثَالُهَا

(1) الهيم: العطاش. واللغب: التعب والإعياء. والآل: السراب.
(2) برمبير: الخالفين.
(3) شطر متضرر عسير القراءة لم يكتب منه المحقق سوى كلمة واحدة.
(4) شطر متضرر كسابقه أهمل المحقق أغلبه.
(5) بياض في التحقيق نتيجة ما لحق بالمخطوطة في هذا الجانب من ضرر.

عَـلَـيَّ لِـذِكْـرَاهُ جَـوًى وَمَـدَامِـعٌ يُـبَـارِي شـآبِـيـبَ الـغَـمَـامِ انْـهِـمَـالُـهَـا
وَزَفْـرَةُ مُـغْـرًى بِـالـشُّـجُـونِ كَـأَنَّـمَـا لَـهُ مُـهْـجَـةٌ بِـالـشَّـجْـوِ يَـنْـعَـمُ بَـالُـهَـا
أَخَـالاَهُ! لاَ وَالـلَّـهِ مَـا الـحُـزْنُ هَـامِـدٌ عَـلَـيْـكَ، وَلاَ بَـلْـوَايَ يُـرْجَـى انْـتِـقَـالُـهَـا
وَلَـي بَـعْـدَكَ الـتَّـأْبِـيـنُ جُـهْـدُ مُـقَـصِّـرٍ دَعَـتْـهُ الـقَـوَافِـي لَـوْ أُبِـيـحَ وِصَـالُـهَـا
وَكَـيْـفَ وأَفْـكَـارِي عَـنِ الـشِّـعْـرِ أَجْـفَـلَـتْ كَـمَـا أَجْـفَـلَـتْ وَسْـطَ الـفَـلاَةِ رِئَـالُـهَـا
وَلَـيْـسَ سِـوَى الإِغْـضَـاءِ حَـيّـاً وَمَـيِّـتـاً تُـنِـيـلُ[1] بِـهِ مِـنْـكَ الـمُـنَـى فَـأَنَـالُـهَـا
عَـلَـيْـكَ سَـلاَمُ الـلَّـهِ مَـا خَـامَـرَ الـهَـوَى نِـفُـوساً بِـسُـكَّـانِ الـعُـذَيْـبِ خَـبَـالُـهَـا

68

«وقال أيضاً(*): [متقارب]

أَيَـا رَوْضُ بِـالـزَّهْـرِ غِـبَّ الـحَـيَـا سَـأَلْـتُـكَ وَالْـقُـضْـبُ أَنَّـى تَـمِـيـلُ
أَعِـذْلِـي الـنَّـسِـيـمَ الَّـذِي شَـاقَـنِـي فَـسُـنَّـتُـنَـا أَنْ يُـعَـادَ الـعَـلِـيـلُ(**)

69

وقال في مدح الحافظ جمال الدين يوسف بن الزكي عبد الرحمن المزي(***): [وافر]

جَـمَـالُ الـدِّيـنِ لـلإِقْـرَاءِ يَـعْـلُـو أَسِـرَّتَـهُ إِذَا اصْـطَـفَّ الـرِّجَـالُ
فَـمُـذْ جُـلِـيَـتْ مَـحَـاسِـنُـهُ بَـدَا لِـي مُـحَـيَّـا فِـي أَسِـرَّتِـهِ الـجَـمَـالُ

(1) برمبير: ننيل.

(*) الكتيبة: 268. وفي البيت الثاني تورية بين «النسيم العليل» و«الشخص العليل».

(**) النفح: 110/7. والمزي: أحد من لقيهم الشاعر بدار الحديث الأشرفية بدمشق من مشاهير أساتيذها.

(***) النفح: 111/7. والمزي: هو جمال الدين المتقدم ذكره.

70

وقال في الحافظ المزي(**): [وافر]

جَمَالُ الدِّينِ أَضْحَى في دِمَشْقٍ ... إمَاماً نَحْوَهُ طَالَ الذَّمِيلُ
فَلَمْ أَعْدِمْ بِمَنْزِلِهِ جَمِيلاً ... فَحَيْثُ هُوَ الجَمَالُ هُوَ الجَمِيلُ

71

وقوله(*): [طويل]

وَقَالَ عَذُولِي حِينَ لاَحَ عِذَارُهُ ... بِوَجْنَتِهِ انْهَرْهُ وَإِنِّي لَقَائِلُ
أَرَانِي الضُّحَى إِذْ سَالَ مِنْ سَفْحِ خَدِّهِ ... أَأَنْهَرُهُ مِنْ بَعْدِ ذَا وَهْوَ سَائِلُ(1)

72

وقال أيضاً(**): [متقارب]

نَسِيمُ الصَّبَا جَاءَهُ سَائِلاً ... بِطَلِّ الحَيَا فَارْتَضَى وَصْلَهُ
وَأَوْدَعَهُ الرَّوْضُ أَنْفَاسَهُ ... فَأَضْحَى عَلِيلاً فَضَاعَتْ لَهُ

وقال غفر اللّه له(***): [متقارب]

حُصُونُ الكِرَامِ صُدُورُ العَوَالِي ... وَخَيْلٌ تَنَاقَلُ مِثْلُ السَّعَالِ
وَبِيضُ سُيُوفٍ غَدَتْ تَخْتَلِي(2) ... بِهَا الهَامَ أَيْدِي الرِّجَالِ الطِّوَالِ
وَلَيْسَ مَنَالُ العُلاَ هَيِّناً ... وَلَكِنَّهُ الدَّهْرَ صَعْبُ المَنَالِ

(*) مسالك الأبصار 215/17 أ.

(1) وفي البيت الثاني تورية بين «سائل» من السيلان و«سائل» من السؤال، وإشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلاَ تَنْهَرْ﴾ (الضحى: 10).

(**) الكتيبة: 268.

(***) المزاين: ق 17.

(2) تختلي: تقطع، وفي الحديث: «إذا اختليت في الحرب هام الأكابر» وذلك مثال على أثر لغة الحديث في أسلوبه، لأنه مشتغل بهذا الفن معدود في رجاله خلال هذا القرن.

سَـــمَـــاحٌ بِــمَــالِــكَ يَــوْمَ الــنَّــدَى وَجُـودٌ بِـنَـفْـسِـكَ يَـوْمَ الـنِّـزَالِ
وَسَـيْـفُـكَ لِـلـطَّـعَـنِ فـي مَـعْـرَكٍ يُـنَـسِّيكَ عَـرْكَ الـرَّحَـى بِـالـثِّـفَـالِ[1]
وَضَــرْبٌ كَـمِـثْـلِ حَـوَاشِـي الـرِّدَاءِ وَأَرْشِـيَـةٍ رُمِـيَـتْ عَـنْ سِـجَـالِ
وَخَـوْضُـكَ فِـي غَـمَـرَاتِ الـنَّـجِـيـعِ بِـجُـرْدٍ يَـعَـابِـيـبَ رُحْـبَ الـمَـجَـالِ
وَمَــنْ لَـمْ يَـكُـنْ هَـكَـذَا فَـلْـيَـكُـنْ مَعَ الغِيدِ فِي الحَيِّ تَحْتَ الحِجَالِ
وَلاَ يَـقْـرَبِ الـحَـيَّ إِنْ أَيْـقَـظُـوا بِـشَـعْـوَاءَ تَـفْـجَـأُ[2] أَهْـلَ الـحَـلاَلِ
وَجَـيْـشٍ يَـجُـرُّ ذُيُـولَ الـفِـجَـاجِ سِـرَاعٌ فَـوَارِسُـهُ لِـلْـقِـتَـالِ
مِـنَ الـطَّـالِـعِـيـنَ بِـحُـمْـرِ الـمَـنَـايَـا طِـوَالِ الـسَّـوَاعِـدِ غُـبْـرِ الـسِّـبَـالِ[3]
تَـكِـلُّ الـسُّـيُـوفُ وَمَـا تَـشْـتَـكِـي عَـزَائِـمُـهُـمْ فِـي الـوَغَـى بِـالـكَـلاَلِ
أَعَـارِبُ تُـعْـرِبُ عَـنْ أَنْـفُـسٍ مُـعَـذَّبَـةٍ فِـي طِـلاَبِ الـمَـعَـالِـي
وَمَـا عَـرَفَ الـمَـجْـدَ مَـنْ لَـمْ يُـقِـلْ بِـأَسْـيَـافِـهِ عَـثَـرَاتِ الـلَّـيَـالِـي
كَـمَـا فَـعَـلَ الـغُـرُّ أَبْـنَـاءُ نَـصْـرٍ شُـمُـوسُ الـهُـدَى وَبُـدُورُ الـكَـمَـالِ
جَـحَـاجِـحَـةٌ قَـادَةٌ ذَادَةٌ حُـرُوبُـهُـمُ لَـقِـحَـتْ عَـنْ حُـبَـالِ
تُـحَـادِثُ أَرْوَاحَ أَعْـدَائِـهِـمْ سُـيُـوفٌ لَـهُـمْ حُـودِثَـتْ بِـالـصِّـقَـالِ
مُـقِـيـمُـونَ سَـوقَ الـطِّـعَـانِ الَّـذِي بِـهِ عَـالَـجَ الـمَـوْتُ خَـلْـعَ الـنِّـعَـالِ
وأَمْـضَـاهُـمُ عَـزْمَـةً فِـي الـوَغَـى هُـمَـامٌ تَـعَـوَّدَ بَـرْحَ الـصِّـيَـالِ[4]
مُـحَـمَّـدٌ الـمُـرْتَـضَـى لِـلَّـتِـي أَفَـاضَـتْ عَـلَـى الـكَـوْنِ نُـورَ الـجَـمَـالِ

---

(1) الثفال: الجلد يبسط تحت الرحى ليقي الطحين من التراب. (اللسان: ثفل).
(2) في الأصل: نفجأ.
(3) السبال: جمع لمقدم اللحية، وعند الجوهري: جمع الشارب. ويقال نشر سبلته، أي جاء متوعداً، وهم صهب السبال: أعداء. (اللسان، والصحاح: سبل). وهي في الأصل: حيال.
(4) الصيال: السطو والاستطالة، والبرح: الشدة.

وَبِـــالــرَّغْـــمِ دَوَّخَ أَرْضَ الــعِـــدَى فَـعَــوَّضَ وَابِـلَـهَـا بِـالـوَبَـالِ

وَمَـدَّ الـخُـطَـى فِـي رِمَـالٍ لَـهَـا بِـجَـيْـشٍ يُـكَـاثِـرُ عَـدَّ الـرِّمَـالِ

وَجَـاسَ خَـلاَلَ الـدِّيَـارِ الَّـتِـي تَـعَـاظَـمُ فِـيـهِـنَّ حَـوْسُ[1] الـخِـلاَلِ

وَفِـي الـحَـرْبِ خَاضَ غِـمَـارَ الـمَـنَـايَـا فَـنَـجَّـاهُ رَبٌّ شَـدِيـدُ الـمِـحَـالِ[2]

وَإِنَّ ابْـنَ يُـوسُـفَ مَـلْـكٌ حَـوَى فَـضَـائِـلَ تُـنْـظَـمُ[3] مِـثْـلَ الـلآلِـي

خَـلِـيـفَـةُ رَبِّ الـعِـبَـادِ الَّـذِي لَـهُ أَسْـعُـدٌ أَبْـلَـغَـتْ فِـي اقْـتِـبَـالِ

مِـنَ الـغُـرِّ يَـأْوِي إِلَـى شَـاهِـقٍ عَـلَى الشُّهْبِ أَظْهَرَ كُلَّ التَّعَالِي

نَـمَـتْـهُ الأَعَـاظِـمُ مِـنْ خَـزْرَجٍ كَـرِيـمِ الـفِـعَـالِ كَـرِيـمِ الـخِـلاَلِ

وَمَـا يَـحْـسُـنُ الـفَـخْـرُ بِـالـقَـوْلِ إِنْ يَـكُ الـقَـوْلُ إِذْ ذَاكَ فَـوْقَ الـفِـعَـالِ

وَقَـدْ أَعْـجَـزَ الـسُّـحْـبَ عَـنْ جُـودِهِ فَـأَدْمُـعُـهَـا لَـمْ تَـزَلْ فِـي انْـهِـمَـالِ

وَمَـا مُـطِـلَ الـسَّـائِـلُـونَ الـلُّـهَـى وَلَـوْ سَـكَـتُـوا جَـادَ قَـبْـلِ الـسُّـؤَالِ

وَمَـا يَـرْتَـضِـي الـحُـرُّ أَخْـذاً لِـرِفْـدٍ إِذَا كَـانَ يُـؤْخَـذُ بَـعْـدَ الـمِـطَـالِ

مُـنِـيـلٌ نَـدَاهُ لِـمَـالٍ وَجَـاهٍ إِذَا عَـزَّ نَـيْـلٌ لِـجَـاهٍ وَمَـالِ

أَمَـوْلاَيَ خُـذْهَـا نَـتِـيـجَـةَ حُـبٍّ بِـمَـدْحِـكَ تَـسْـبِـي عُـقُـولَ الـرِّجَـالِ

وَأَقْـبِـلْ عَـلَـيْـهَـا بِـوَجْـهِ الـقَـبُـولِ وَوَالِ الـتَّـفَـضُّـلَ يَـا خَـيْـرَ وَالِ

وَدَامَ لَـكَ الـفَـتْـحُ وَالـنَّـصْـرُ مَـا أُدِيـمَ لِـمَـكَّـةَ شَـدُّ الـرِّحَـالِ»

---

(1) الحوس: انتشار القتل والغارة والتحرك في ذلك. والإشارة في الشطر الأول إلى قوله تعالى: ﴿وجاسوا خلال الديار﴾ (الإسراء: 5). وقرىء «فجاسوا خلال الديار» ولعل الشاعر أراد الإشارة إلى القراءتين في بيت واحد.

(2) في الأصل: المجال.

(3) في الأصل: تنضم. والخلط بين الضاد والظاء من الأخطاء الشائعة في هذه المخطوطة.

74

«وقال(*): [كامل]

لَـمَّـا نَـزَلْـتُ مِـنَ الـسَّـبِـيـكَـةِ صَـادَنِـي ... ظَـبْـيٌ، وَدِدْتُ لَـدَيْـهِ أَنْ لَـمْ أَنْـزِلِ
فَـاعْـجَـبْ لِظَـبْـيٍ صَـادَ لَـيْـثـاً لَـمْ يَـكُـنْ ... مِـنْ قَـبْـلِـهَـا مُـتَـخَـبِّـطـاً فِـي أَحْـبُـلِ»

75

«وقوله:(*): [كامل]

يَـا مَـالِـكِـي وَصَـلَـتْ هَـدِيَّـتُـكَ الَّـتِـي ... أَهْـدَيْـتَـهَـا فَـشَـكَـرْتُ مِـلْءَ الـمِـقْـوَلِ
وَتَـبِـعْـتُ مِـنْـكَ لَـنَـا مَـذَاهِـبَ مَـالِـكٍ ... حَـقًّـا، فَـمَـذْهَـبُـنَـا قَـبُـولُ الـمُـرْسَـلِ»

76

«ومن ذلك أيضاً(**): [طويل]

أَرَتْـنِـي الـجَـمَـالَ الأَكْـمَـلِـيَّ حَـقِـيـقَـتِـي ... عَلَى قَدْرِهَا، لاَ قَدْرِ مُوجِدِهَا العَالِي
فَـكَـيْـفَ أَرَى هَـذا مَـقَـامِـي وَإِنَّـمَـا ... مَقَامِي مَغِيبِي عَنْ مَقَامِي وَعَنْ حَالِي»

«وقال فيمن يُعرفُ بالصُهّال(***): [طويل]

أَلاَ رُبَّ فُـرْسَـانٍ تَـوَافَـوْا فَـأَدْرَكُـوا ... مَـعَ الـلَّـيْـلِ أَوْتَـاراً لَـهُـمْ دُونَ إِمْـهَـالِ
وأَجْـرُوْا بِـصَـهَّـالٍ كُـمَـيْـتـاً كَـمَـا ابْـتَـغَـوْا ... فَـلاَ تُـنْـكِـرُوا الإِجْـرَاءَ مِـنْـهُـمْ بِـصَـهَّـالِ»

(*) الإحاطة: 350/1.

(*) مسالك الأبصار: 215/17 ب.

(**) الكتيبة: 266.

(***) النفح: 117/7.



الميم

78

«وقال أيضاً(*): [خفيف]

يَا خَلِيلَيَّ بِالعَقِيقِ سَلاَمَا ... صَدَّ عَنِّي الَّذِينَ [أَهْوَى][1] سَلاَمَا
وَاحْذَرَا اللَّحْظَ والحُسَام بِنَجْدٍ ... فَهُمَا مَا يُبْقِيَانِ هُمَامَا
وَاحْفَظَا الرَّوْضَ مِنْ تَلَهُّفِ وَجْدِي ... وَحِطَا مَا أَخَافُ يَغْدُو حُطَامَا
وَانْصُرَانِي عَلَى غَزَالٍ سَطَا بِي ... وَلِجَا مَا حَمَى وَشُدَّا لِجَامَا
وَ[اقْنِصَا[2]] مَا رَمَى بِأَسْهُمِ لَحْظٍ ... وَصِدَاما فِي الحَرْبِ أَبْدَى صِدَامَا
وَأَدِيرَا الكُؤُوسَ فَخْراً بِنَصْرِي ... وَاسْقِيَا مَا يَسُرُّ شُرْبِي قِيَامَا
وَاضْرِبَا بِالسُّيُوفِ وَجْهَ حُسُودِي ... وَسِمَا مَا إِخَالُ فِيهِ سِمَامَا[3]
وَانْشِدَا أُسْرَتِي بِحَقِّ المَعَالِي ... وَعِظَا مَا جَفَوْا أُنَاساً عِظَامَا
وَلَقَدْ كَانَ بِالرَّجَاءِ اعْتِصَامِي ... فَاعْتِصَاماً رَجَوْتُ أَنْأَ اعْتِصَامَا
وَغَدَا فِي الرَّغَامِ نِضْوِي مُلْقَى ... فَرَغَاماً شَكَا إِلَيَّ رَغَامَا[4]

(*) مزائن القصر: ق 18.

(1) الأصل: أنهوا.

(2) الأصل: واقتضا.

(3) سمام الإنسان: فمه ومنخاره وأذنه. (اللسان: سمم).
ويلاحظ أن معانيه تسف أحياناً في سبيل نشدان ما يمكن أن نسميه «بالصنعة المعمارية» التي أراد بها تزين القصر بألفاظ تتسم بتناسق في رسم الحروف يناسب جمالية الزخرفة، فضلاً عن طلب الجناس الكامل الذي تقتضيه الصنعة البديعية، وهي مطلب واضح للشاعر، كما بدا في هذه القصيدة.

(4) الرغام: في أول البيت: التراب، وفي آخره: الذل والمهانة.

وَرُعَــاةُ الـسَّــوَامِ رَقُّــوا لِـحَـالِـي ... فَـثَـغَـامَـا قَـدْ كَـانَ يَـرْعَـى ثَـغَـامَـا[1]
وَعَــهِـدْتُ الـحِـمَـامَ فِـي سَـرْحَـتَـيْـهِ ... فَـحَـمَـى[2] مَـا عَـهِـدْتُ فِـيـهِ حِـمَـامَـا
وَإِذَا مَــا شَــكَــوْتُ دَاءَ لِــهَــجْــرٍ ... فَـالـدَّوَا مَـا يُـعْـطِـي وِصَـالِـي الـدَّوَامَـا
يَـا رَعَـى الـلَّـهُ بِـالـخِـيَـامِ زَمَـانـاً ... قَـدْ مَـرَى مَـا حَـلَـى [وَسَـنٌّ[3]] مَـرَامَـا
وَلِـعَـذْبِ الـرُّضَـابِ كَـانَ طِـلاَبِـي ... فَـسَـقَـى مَـا قَـدْ ظَـلَّ يَـشْـفِـي سَـقَـامَـا
وَعَــلَــى ذَاكَ سَــالَ مَــاءُ دُمُــوعِــي ... فَـطَـغَـى مـا ثَـنَـى لِـلَـوْمِـي طَـغَـامَـا[4]
وَلَـدَى الـحَـيِّ غَـيَّـرُوا قَـلْـبَ حِـبِّـي ... فَـقَـسَـا مَـا قَـدْ كَـانَ يُـبْـدِي قَـسَـامَـا[5]
وَنَــعَــمْ فِــي الـكَـلاَمِ إِنْ بَــثَّ وَعْـداً ... لِــي كَــلاَمَــاً أَعَــادَ ذُلاًّ كِــلاَمَــا
لاَ كَـمَـوْلَـى مُـحَـتِّـفِ حُـكْـمَ لاَهٍ[6] ... فِـي حِـمَـى مَـا يَـدُورُ عَـنِّـي حَـمَـامَـا
مُــنْــجِــزٌ وَعْــدَهُ بِــجُــودٍ كَـغَـيْـثٍ ... قَـدْ وَشَـى مَـا رَعَـى الـبُـرُوق وَشَـامَـا
رَائِــعٌ فِــي حُــسَــامِــهِ لِــلأَعَــادِي ... بِـسَـنَـا مَـا لِـلْـكُـفْـرِ جَـبَّ[7] سَـنَـامَـا
وَمَــدَى خَــوْفِــهِ أَتَــتْ كُــلَّ شِــرْبٍ ... فَـمَـدَى[8] مَـا أَظَـلَّ أَنْـسَـى مُـدَامَـا
وَثَـنَـى الـمَـعْـشَـرَ الـكُـمَـاةَ حَـيَـارَى ... بِـالْـتِـقَـامَـا سَـامَ الـكُـمَـاةَ[9] إِلْـتِـقَـامَـا
وَلَــقَــدْ قَـبَّـلَ الـنَّـدَامَـى يَـدَيْـهِ ... فَـنَـدَامَـا [قَـدْ] قِـيـلَ أَغْـنَـى نَـدَامَـا

---

(1) أراد الشاعر أن السوام رقت لحاله، فثغت، أي: صاحت. والثغام: في آخر البيت: شجر أبيض الثمار والزهر ينبت في الجبال.
(2) في الأصل: فحما.
(3) في الأصل: وسنى.
(4) طغاماً: تجاهلاً.
(5) القسام: الحسن والجمال. و«قسا» في أول الشطر: اشتد وصلب.
(6) محتف: من الحتف وهو الهلاك، والعرب لا تبني منه فعلاً.
(اللسان: حتف). والبيت في مجموعه غامض لا يخلو من تصحيف.
(7) في الأصل: حب. ويقال: جب البعير، أي: انقطع سنامه.
(8) في الأصل: مدا.
(9) الكماة: كتبت بتاء مفتوحة في الشطرين..

وَلَقَدْ أَبهَجَت ضُرُوبُ المَعَالِي بِانْتِقَامٍ سَامَ الحَسُودَ انْتِقَامَا
وَأَتَتْهُ المَطِيُّ تُثْنِي عَلَيْهِ فَلُغَى مَا آتَاهُ هَاجَتْ لُغَامَا[1]
وَيَدَاهُ أَحَسَّتَا مُمْتَطِيهَا بِلُهَى مَا قَدْ فَضَّ جَيْشاً لُهَامَا[2]
وَأَتَتْهُ عَوَاقِلُ العُرْبِ سَعْياً فَوَدَى مَا جَنَى عَلَيْهِمْ وَدَامَا
وَرَمَى الطَّرْفَ تَحْتَ كُلِّ مَلِيكٍ فَنَعَى مَا فِي الفَقْرِ حَاكَى نَعَامَا
وَبِمَاضِي الحُسَامِ فِي كُلِّ حَرْبٍ قَدْ فَرَا مَا رَأَى المَرَامَ فَرَامَا
وَلِسَارِي النُّجُومِ أَحْدَثَ رُعْباً فَوَنَى مَا خَلَى السُّهَادَ وَنَامَا
لَيْسَ يَرْضَى عَدُوُّهُ مِنْهُ فِعْلاً بِالحَرَا[3] مَا يُدْنِي إِلَيْهِ الحَرَامَا
وَبِبَحْرِ الوَعِيدِ أَوْعَى عَدُوًّا فَوَعَى مَا وَعَاهُ خَوْفاً وَعَامَا
وَسَقَى السَّيْفَ مِنْ دِمَاءٍ فَأَمْلَى[4] بِوَحَى مَا، قَدْ أَمَّ وِرْداً وَحَامَا
مُنْهِدُ الجَيْشِ رَاعَ كُلَّ عَدُوٍّ بِوَغَى مَا أَثَارَ نَقْعاً وَغَامَا[5]
يَا ابْنَ نَصْرٍ قَدْ جَلَّ فِيكَ مَدِيحِي فَوَهَى مَا بَنَاهُ قِدْماً وَهَامَا
وَهَنِيئاً بِخَيْرِ عِيدٍ أَرَى النُّعْـ ـمَى وَسَامَى[6] الَّذِينَ رَاقُوا وَسَامَا
دُمْتَ تُصْلِي العَدُوَّ نَارَ حُرُوبٍ وَتَرَى مَا يَسُوءُ مَنْ قَدْ تَرَامَا

---

(1) اللغى، جمع لغة، واللغام: الأرجاف الحاد وزبد الأفواه ولعابها. (اللسان: لغى، لغم).
(2) ممتطيها: ركابها. والضمير يعود على المطر في البيت السابق. واللُّهى: أفضل العطايا. واللُّهام: العظيم.
(3) بالحرا: بالأحرى والأجدر.
(4) فأملى: أطال وتوسع في الأمر. وفي الأصل: أملا، ووحا بألفين ممدودين.
(5) منهد الجيش: منهضه وممضيه للأعداء. الوغى: الحرب.
وغام: أثار الغيوم.
(6) في الأصل: وساما.

«وَمِنْ ذَلِكَ قَصِيدَة الشَّيخِ الفَقِيهِ الكَاتِبِ البَلِيغِ القَاضِي الشَّاعِرِ المُفْلَقِ، أَبِي إِسْحَاق بنِ الحاجِ، وَحَكَمَ الأَصْحَابُ لَيْلَتَئِذٍ بِتَرَاجُعِ طَبْعِهِ وَأَنَا أَقُولُ: هُوَ الحَمِيمُ وَإِنْ صَدَعَ مَدْعَاهُ(*): [متقارب]

رَعَى اللَّهُ نَجْداً، وَحَيَّا الخِيَامَا … وَإِنْ هِيَ هَاجَتْ لِقَلْبِي غَرَامَا
وَرَوَّى بِعَيْنَيْنِ مِنْ دَمْعِ عَيْنِي … وَصَوْبِ السَّحَائِبِ دَارِيْ أَمَامَا
وَقَدَّسَ دُونَ الحِمَى أَرْبُعاً … حَمَتْ مُقْلَتِي أَنْ تَذُوقَ المَنَامَا
وَبِالأَجْرَعِ الفَرْدِ مِنْ حَاجِرٍ … مَنَازِلُ هَامَتْ بِمَنْ فِيهِ هَامَا
وَقَفْتُ عَلَيْهَا أَنَا وَالنَّسِيمُ … سَقِيمَيْنِ، هَذَا وَذَا قَدْ تَرَامَى
كَأَنَّ اللَّوَاحِظَ أَعْدَاؤُنَا … فَكُلُّ الثَّلاَثَةِ تُبْدِي سَقَامَا
وَدُونَ الغَضَا جِيرَةٌ خِلْتُهُمْ … يَشُبُّونَهُ بِفُؤَادِي ضِرَامَا
وَغِيدٍ لَدَى الحَيِّ عَارَضْنَنَا … وَمَا عَرَفَ اللَّثْمُ إِلاَّ اللِّثَامَا
وَرَاقَ الكَلاَمُ فَيَا لَيْتَ لَوْ … جَعَلْنَ مَكَانَ العُقُودِ الكَلاَمَا
أَزَاهِرُ حُسْنٍ بِرَوْضِ الصِّبَا … فَتَقْنَ الهَوَادِجَ عَنْهَا كِمَامَا
وَفَاتِنَةٌ إِنْ تَشَأْ يَوْمَ طَعْنٍ … رَمَتْ كُلَّ رُمْحٍ وَهَزَّتْ قَوَامَا
مِنَ السَّالِبَاتِ عُقُولَ الرِّجَالِ … عَلَى سُرْعَةِ(1) الحُبِّ مَاتُوا كِرَامَا
إِذَا مَا أَرَادَتْ بِنَا نَشْوَةً … سَقَتْنَا شَمَائِلَهَا لاَ المُدَامَا

(*) النفاضة: مخ.خ.ع: 146 وما بعدها، والنص المحقق: 3/301-305 والعبارة التي صدر بها ابن الخطيب القصيدة تبرهن على أنه يوافق الأصحاب رأيهم، بل ربما كان ذلك رأيه ونسبه إلى الأصحاب وقوله: «هو الحميم وإن صدع مدعاه» ليس رداً نقدياً على مقولة أولئك الأصحاب بقدر ما يعزز تأكيدها.

(1) سرعة: كذا في الأصل، ولعلها: صرعة.

وَقَالُوا حَكَى الخَصْرَ مِنْهَا فُؤَادِي صَدَقْتُمْ وَلَكِنْ حَكَاهُ انْعِدَامَا
وَمِمَّا أَثَارَ لِيَ الوَجْدَ بَرْقٌ ظَنَنَّاهُ، بَيْنَ الثَّنَايَا ابْتِسَامَا
وَنَفْحَةُ رِيحٍ أَتَتْ مِنْ زَرُودٍ بِهَبَّتِهَا الرَّكْبُ مَاتُوا هُيَامَا
إِلَى اللَّه أَشْكُو وَإِنَّ العَذَابَ عَذَابُ التَّفَرُّقِ مَاتُوا[1] كِرَامَا
وَكَالْقَلْبِ مِنِّي بِذِي البَانِ طَارَتْ مُطَوَّقَةٌ قَدْ رَعَتْ لِي ذِمَامَا
وَقَدْ هَيَّجَتْنِي وَهَيَّجْتُهَا فَأَبْكِي حَمِيماً وَتَبْكِي حِمَامَا
وَقَدْ تَعِبَ الغُصْنُ مَا بَيْنَنَا فَيَهْفُو وَرَاءَ وَتَهْفُوا أَمَامَا
وَعَرَّسَ بِالجَفْنِ رَكْبُ السُّهَادِ فَمَا سَارَ، لَكِنْ أَطَالَ المُقَامَا
وَمَا الدَّمْعُ عَذْبٌ وَلَكِنَّهُ عَلَى مَوْرِدِ الدَّمْعِ وَالَى ازْدِحَامَا
وَحَقِّ الهَوَى وَالزَّمَانِ الَّذِي هُوَ القَصْدُ لِلصَّبِّ لَوْ كَانَ دَامَا
لَقَدْ بَلَّلَ الدَّمْعُ إِلاَّ غَلِيلِي وَأَنْأَى التَّفَرُّقُ إِلاَّ الهُيَامَا
وَقَدْ عِيلَ صَبْرِي وَيَا رُبَّ صَبْرٍ جَعَلْتُ لَهُ مِسْكَ لَيْلَي خِتَامَا
بِنَفْسِي حَبِيبٌ أَطَالَ انْتِزَاحِي وَأَسْهَرَنِي طُولَ لَيْلِي وَنَامَا
هُوَ الحُبُّ جَدَّ بِنَا[2] هَازِلاً بِيَ الدَّهْر قلْ لِي: هَوَانِي عَلَى مَا؟
وَيَا عَاذِلَ الصَّحْبِ كُنْ رَاحِماً وَإِلاَّ فَابْدِلْ لِيَ المِيمَ[3] لاَمَا
عَجِبْتُ لِبَرْقٍ مِنَ الشَّوْقِ مَا إِنْ يَغِبُّ وَمِيضاً إِذَا البَرْقُ شَامَا
وَسُحْبٍ مِنَ الدَّمْعِ قَدْ أَنْبَتَتْ بِجَنْبِي قَتَاداً وَرَأْسِي ثَغَامَا[4]
لَحَى اللَّهُ مِثْلِي أَيَرْضَى الهَوَى وَمَا صَنَعَ الوَجْدُ عَامَا فَعَامَا

---

(1) كذا، ولعلها: لاقوا.
(2) في النص المحقق: جربنا.
(3) أي كن راحلاً إذا لم تكن راحماً.
(4) القتاد: نبات صلب له شوك كالأبر من الفصيلة القرنية.
والثغام: شجر أبيض ينبت في قمة الجبل. (وسيط: قتد، ثغم).

وَقَدْ حَالَ الحَبِيبِ الَّذِي مَحَبَّتُهُ الدَّهْرَ كَانَتْ لِزَامَا
وَأَدْبَرَ لَيْلُ الشَّبَابِ الَّذِي عَهِدْتُ بِهِ لِلتَّصَابِي اكْتِتَامَا
وَقَدْ بَيَّنَ الصُّبْحُ صُبْحُ المَشِيبِ لِغَيْرِ امْرِئٍ عَنْ هَوَاهُ تَعَامَى
وَكَمْ حَجَّةٍ لِيَ قَدْ أَصْبَحَتْ تَحجُّ خَصِيماً بِهَا ما اسْتَقَامَا
فَاهاً عَلَى الخيفِ آهاً وآهاً وَطِيبِ النَّعِيمِ بِعَرْفِ الثُّغَامَا
وَمَا فِي مِنىً مِنْ مُنىً أَيْقَظَتْ عُيُونَ الزَّمَانِ وَكَانَتْ نِيَامَا
وَكَمْ لِيَ فِي مَكَّةٍ مِنْ عُهُودِ نَشَدْتُ بِهَا زَمْزَماً وَالمَقَامَا
أَلَهْفِي وَقَدْ بَانَ عَنِّي الحَطِيمُ[1] فَلاَ كَانَ جَمْعِي لِدُنْيَا حُطَامَا
كَأَنِّيَ لَمْ أَصْحَبِ الرَّكْبَ وَهْناً مُطِيلاً لِطِيبِ النَّسِيمِ انْتِسَامَا
بِعُوجٍ ضَوَامِرَ مِثْلِ القِسِيِّ تُسَرَّدُ لِلْبِيدِ مِنَّا سِهَامَا
وَفِتْيَانِ صِدْقٍ إِذَا مَا سَرَوْا أَثَارُوا إِدِّكَاراً وَخَلُّوا زِمَامَا
تَرَاهُمْ سُكَارَى كَأَنَّ الصَّبَا أَدَارَتْ عَلَيْهِمْ مُدَامَا مُدَامَا
وَدَائِمَةِ السَّيْرِ أَرْمِي بِهَا أَمَامَ الحُدَاةِ عِرَاقاً وَشَامَا
وَمِنْ أَجْلِ قَصْدِي لِبَيْتٍ حَرَامِ خَلَعْتُ المَنَامَ عَلَيْهَا حَرَامَا
وَكَم[2] هَاجَتِ الشَّوْقَ بِالمُنْحَنَى فَفِي مِثْلِهِ مِنْ ضُلُوعِي أَقَامَا
وَشَامَتْ عَلَى بَارِقٍ بَارِقاً [سَدَى[3]] الخَدَّ مِنِّي وَحَلَّى الحِزَامَا
وَحَيْثُ العَقِيقُ وَقَدْ صُغْتُهُ مِنَ الدَّمْعِ وَالَى عَلَيْهِ انْسِجَامَا
وَلاَحَتْ قُبَا[4] وَالنَّخِيلُ الَّتِي يُطِيلُ النَّسِيمُ لَهُنَّ انْتِشَامَا

---

(1) الحطيم: بناء أمام ميزاب الكعبة أكثر الشعراء من ذكره في المدائح والمولديات والحجازيات.

(2) في النص المحقق: ومن.

(3) كلمة غير واضحة في الأصل، وفي النص المحقق: سل، وغالب الظن أن الشاعر أراد «السدى»: أي الندى والبلل.

(4) قبا: موضع أسس فيه أول مسجد بالمدينة المنورة.

كَـمِـثْـلِ الـعَـرَائِـسِ حَـلَّـيْـتُـهَـا بِـدَمْـعِـي نِـثَـاراً وَشِـعْـرِي نِـظَـامَـا
وَبَـانَ الـبَـقِـيـعُ[1] الَّـذِي كَـانَ وَارَى مِـنَ الـطَّـيِّـبِـيـنَ عِـظَـامَـا عِـظَـامَـا
وَلاَحَـتْ بُـدُورٌ تُـسَـمَّـى وُجُـوهـاً بِـأُفْـقِ سَـمَـاءٍ تُـسَـمَّـى خِـيَـامَـا
وَجِـئْـتُ لأَدْخُـلَ بَـابَ الـسَّـلاَمِ فَـأُسْـمِـعْـتُ قِـيـلاً: سَـلاَمـاً سَـلاَمَـا
وَزُرْتُ الـنَّـبِـيَّ الـكَـرِيـمَ الَّـذِي بِـرَوْضَـتِـهِ قَـدْ جَـمَـدْتُ احْـتِـشَـامَـا
أَجَـلُّ الـنَّـبِـيـئِـيـنَ وَالـرُّسْـلِ طُـرًّا وَخَـيْـرُهُـمُ أُمَّـةً وَائْـتِـتَـامَـا
نَـمـتـهُ بـهـالـيـل مـن هـاشـم[2] وَزَهْـرُهُ أَزْهَـرَ نَـدْبـاً هُـمَـامَـا
لِـمَـوْلِـدِهِ قَـدْ أَضَـاءَ الـدُّجَـى وَإِيـوَانُ كِـسْـرَى أَرَاهُ انْـهِـزَامَـا
وَفِـي أَوَّلِ الأَمْـرِ يَـدْرِي الـلَّـبِـيـبُ بَـقَـاءً لِـدَوْلَـتِـهِ وَانْـصِـرَامَـا
كَـأَنَّ الـشَّـرَارِيـفَ[3] هَـامُ الـعِـدَا بَـرَتْـهَـا الـسُّـيُـوفُ فَـلَـمْ تُـبْـقِ هَـامَـا
وَمَـاءُ الـبُـحَـيْـرَةِ لِـلْـفُـرْسِ غَـاضَ وَأُطْـفِـئَـتِ الـنَّـارُ دَامَـتْ دَوَامَـا
كَـأَنَّ الَّـذِي غَـاضَ مِـنْ مَـائِـهِـمْ بِـنَـابِـعِـهِ هَـيْـكَـلُ الـنَّـارِ عَـامَـا
وَإِلاَّ فَـنَـارُهُـمُ انْـتَـقَـلَـتْ لأَضْـلُـعِـهِـمْ حَـسْـرَةً واغْـتِـمَـامَـا
وَقَـدْ عَـوَّضُـوا الـمَـاءَ بِـالـدَّمْـعِ كَـيْ يُـزِيـلَ الأَوَامَ فَـزَادَ الأَوَامَـا
وَرَامُـوا انْـطِـفَـاءً لِـنَـارِ الـشُّـجُـونِ فَـمَـا زَادَهَـا الـدَّمْـعُ إِلاَّ احْـتِـدَامَـا
لَـطِـيْـفَـةُ سِـرِّ الـجَـمَـالِ الَّـذِي بِـبَـهْـجَـتِـهِ الـكَـوْنُ رَاقَ ابْـتِـسَـامَـا
وَلَـوْلاَهُ مَـا كَـانَ هَـذَا الـوُجُـودُ وَلاَ انْـقَـسَـمَ الـحُـسْـنُ فِـيـهِ انْـقِـسَـامَـا
وَلاَ ارْتَـسَـمَـتْ فِـي طُـرُوسِ الـعُـقُـولِ حُـرُوفُ الـحَـقَـائِـقِ مِـنْـهُ ارْتِـسَـامَـا

(1) البقيع: مكان به مقبرة شهيرة في المدينة المنورة، تضم رفاة بعض أسرة الرسول (ص) والصحابة.

(2) في النص المحقق: فلمته من بهاليل هاشم.

(3) الشراريف: كذا، ولعلها «الشوارف».

لَـهُ الـقَـمَـرُ انْـشَـقَّ فِـي مَـكَّـةٍ   كَـقَـلْـبِ الـعَـدُوِّ الَّـذِي فِـيـهِ لاَمَـا
وَلَـكِـنْ هَـذَا عَـرَاهُ انْـضِـمَـامٌ   وَمَـا انْـضَـمَّ قَـلْـبُ الـعَـدوِّ انْـضِـمَامَـا
وَلَـمَّـا دَعَـا الـلَّـهَ جَـادَتْ سَـحَـابٌ   بِـوَدْقٍ تَـخَـلَّـلَ مِـنْـهَـا رُكَـامَـا
وَأَلْـحَـفَـهَـا فِـي مَـلاَءِ الـنَّـسِـيـمِ   جَـوَارِيَ مُـزْنٍ تَـبَـارَتْ سِـجَـامَـا
وَقَـدْ قَـتَـلَ الـمَـحْـلَ سَـيْـفُ الـبُـرُوقِ   وَوَالَـتْ عَـلَـيْـهِ الـغَـوَادِي اقْـتِـحَـامَـا
كَـنَـبْـعِ أَنَـامِـلِـهِ قَـدَّمَـتْ   إِلَـى الـعَـدَدِ الـجَـمِّ مِـنْـهَـا جِـمَـامَـا
وَفِـي الـشَّـامِ قَـدْ ظَـلَّـلَـتْـهُ الـغَـمَـامُ   فَـيَـا شَـرَّفَ الـلَّـهُ تِـلْـكَ الـشَّـآمَـا
سَـرَتْ بَـيْـنَ شَـمْـسَـيْـنِ كِـلْـتَـاهُـمَـا   بِـنُـورٍ وَهَـذْي يَـسُـرُّ الأَنَـامَـا
وَلَـكِـنَّ ذَاتَ الـنَّـبِـيِّ الـشَّـرِيـفِ   مِـنَ الـشَّـمْـسِ أَجْـلَـى وَأَعْـلَـى مَـقَـامَـا
وَقَـلَّـلَ فِـي الـنَّـاسِ عَـدَّ الـطَّـعَـامِ   وَكَـثَّـرَ بِـالـلَّـمْـسِ مِـنْـهُ الـطَّـعَـامَـا
وَحَـنَّ لَـهُ الْـجِـذْعُ مِـنْ فُـرْقَـةٍ   [..................][1] امـا
وَلَـوْ أَوْرَقَ الـجِـذْعُ مِـنْ فَـرْحَـةٍ   لأَوْرَقَ لَـمَّـا رَآهُ الْـتِـزَامَـا
وَلَـكِـنَّـهُ فِـي جِـنَـانِ الـخُـلُـودِ   سَـيُـورِقُ حَـتَّـى يَـعُـودَ إِلَـى مَـا
وَيَـا لَـكَ مِـنْ عَـاقِـبٍ حَـاشِـرٍ   يُـطِـيـلُ بِـحَـبْـلِ الإِلٰـهِ اعْـتِـصَـامَـا
لأَنْـصَـارِهِ الـفَـخْـرُ جِـدَّ الْـتِـحَـافـاً   بِـزُهْـرِ الـنُّـجُـومِ وَجَـلَّ الْـتِـحَـامَـا
هُـمُ مَـا هُـمُ وَالـقَـنَـا شُـرَّعٌ   بِـحَـيْـثُ الـحِـمَـامُ يَـدُعُّ الـحِـمَـامَـا
هُـمُ مَـا هُـمُ وَالـثَّـرَى ظَـامِـىءٌ   إِذَا الأَرْضُ بِـالـمَـحْـلِ عَـادَتْ قَـتَـامَـا
وَلِـلَّـهِ سَـعْـدٌ وَمَـنْ عَـادَهُ   رَسُـولُ الإِلٰـهِ وَأَبْـدَى إِلاَّ احْـتِـرَامَـا
وَقَـدْ قَـالَ: قُـومُـوا لِـسَـيِّـدِكُـمْ   فَـلاَ شَـخْـصَ فِـي الـقَـوْمِ إِلاَّ وَقَـامَـا

(1) بياض في الأصل.

وَلِـلَّـهِ قَـيْـسُ[1] الـكِـرَامِ ابْـنُـهُ أَمِـيـرٌ سَـمَـا هِـمَّـةً وَاهْـتِـمَـامَـا
هـمـا الـمـنـتـجـان[2] لـخَـيْـرِ الـمُـلُـوكِ ضِـخَـاماً تَـفُـوقُ الـمُـلُـوكَ الـضِّـخَـامَا
بِـأَنْـدَلُـسٍ أَثَّـلُـوا دَوْلَـةً لأَرْكَـانِـهَـا الـسَّـعْـدُ وَالَـى اسْـتِـلاَمَـا
بَـنُـو نَـصْـرِ الـنَّـاصِـرُونَ الأُلَـى مِـنَ الـكَـافِـرِيـنَ أَطَـالُـوا انْـتِـقَـامَـا
وَوَالُـوا بِـبِـيـضِ الـظُّـبَـا وَالـعَـوَالِـي ضِـرَاباً فُـرَادَى وَطَـعْـناً تَـوَامَـا
هُـمُ الـقَـوْمُ أَفْـضَـلُـهُـمْ يُـوسُـفٌ إِمَـامٌ صُـعُـود الـسُّـعُـودِ اسْـتَـدَامَـا
وَمِـنْ بَـعْـدِهِ خَـيْـرُ أَمْـلاكِـهِـمْ مُـحَـمَّـدٌ الـصَّـعْـبُ فِـيـهِـمْ مَـرَامَـا
أَجَـلُّ الـسَّـلاَطِـيـنِ شَـرْقـاً وَغَـرْبـاً وأَصْـدَقُـهُـمْ فِـي الـحُـرُوبِ الْـتِـزَامَـا
إِذَا مَـا شَـكَـتْ خَـيْـلُـهُ غُـلَّـةً أَرَاقَ الـمِـيَـاهَ وَسَـلَّ الـحُـسَـامَـا
نَـوَالٌ كَـمَـا بَـاكَـرَتْ دِيـمَـةٌ فَـوَشَّـتْ أَبَـاطِـحَـهَـا وَالأَكَـامَـا
وَبَـأْسٌ كَـمَـا لَـفَـحَـتْ جَـمْـرَةٌ مِـنَ الـقَـاضِـيَـاتِ تَـزِيـدُ اضْـطِـرَامَـا
وَحِـلْـمٌ لَـوِ الـخَـمْـرُ شِـيـبَـتْ بِـهِ لَـمَـا[3] أَسْـكَـرَتْ بِـالـكُـؤُوسِ الـنَّـدَامَـى
هُـمَـامٌ كَـرِيـمٌ أَنَـالَ الـلُّـهَـى[4] وَجَـهَّـزَ لِـلْـحَـرْبِ جَـيْـشـاً لُـهَـامَـا
وَخَـاصَـمَ بِـالـسَّـيْـفِ فِـي حَـقِّـهِ فَـيَـا فَـوْزَهُ عِـنْـدَ ذَاكَ احْـتِـكَـامَـا
وَلَـمْ تَـرَ عَـيْـنِـي كَـمِـثْـلِ الـسُّـيُـوفِ مُـخَـاصَـمَـةً إِنْ أَرَادَتْ خِـصَـامَـا
وَقَـدْ غَـابَ فِـي الـغَـرْبِ مِـثْـلَ الـنُّـجُـومِ وَلَـكِـنَّـهُ عَـادَ بَـدْراً تَـمَـامَـا
وَصَـيَّـرَ غَـرْنَـاطَـةَ الـمُـلْـكِ نُـوراً وَكَـانَـتْ بِـجُـورٍ وَظُـلْـمٍ ظَـلاَمَـا

(1) قيس هو: ابن سعد بن عبادة، وذكرهما يتكرر كثيراً في مدائح بني نصر لأنهما الأصل الذي يفخر النصريون بالانتماء إليه.
(2) في الأصل: هم المنتجان، وفي النص المحقق: هم المنتجون.
(3) في النص المحقق: «كما».
(4) في النص المحقق: «النهى».

هُوَ البَحْرُ[1] لَكِنْ لَهُ الدُّرُّ مِنْ ... كَلاَمٍ يَفُوقُ العُقُودَ انْتِظَامَا
هُوَ البَدْرُ لَكِنْ لَهُ الأُفْقُ مِنْ ... بِسَاطٍ يُسَامِي وَمَا إِنْ يُسَامَى
بِسَاطٌ شَرِيفٌ تَوَدُّ النُّجُومُ ... حُلُولاً بِهِ مَا ثِلاتٍ قِيَامَا
يُلاَمُ عَلَى الجُودِ لَكِنَّهُ ... مَلاَمٌ يُفِيدُكَ أَنْ لاَ يُلاَمَا
عَجِبْتُ لِكَفٍّ لَهُ وَهُوْ نَارٌ[2] ... لَدَى حَرْبِهِ كَيْفَ أَبْقَتْ ضِرَامَا
إِمَامٌ حَمَى الدِّينَ مِنْ بَعْدِ أَنْ ... رَأَى مِنْ عِدَاهُ الطُّغَاةِ اهْتِضَامَا
وَعَادَ بِهِ مَوْلِدُ المُصْطَفَى ... يُقَامُ وَحُقَّ لَهُ أَنْ يُقَامَا
أَعَدَّ لَهُ مَشْوَراً خِلْتُهُ ... سَمَاءً مَنِ احْتَلَّهَا لَنْ يُضَامَا
تَنُوبُ الشُّمُوعُ مَنَابَ النُّجُومِ ... بِهِ وَالوُجُوهُ تَبَدَّتْ وَسَامَا
كَمَا نَابَ وَجْهُ الإِمَامِ ابنِ نَصْرٍ ... عَنِ القَمَرِ التِّمِّ هَابَ الإِمَامَا
وَقُلْتُ هُوَ الغَابُ قَدْ حَلَّهُ ... مَعَ الشِّبْلُ لَيْثٌ عَنِ الشِّبْلِ حَامَا
وَمَا الشِّبْلُ إِلاَّ أَمِيرٌ نَجِيبٌ ... وَمَا اللَّيْثُ إِلاَّ إِمَامٌ تَسَامَى
وَفَرْعٌ كَرِيمٌ وَأَصْلٌ زَكِيٌّ ... لِشَمْلِهِمَا[3] المُلْكُ أَبْدَى التِئَامَا
وَيَا لَكَ مِنْ مَشْوَرٍ أُفْقُهُ ... بِدُخْنَةِ عَنْبَرِهِ قَدْ أَغَامَا
بِهِ قُبَّةُ النَّصْرِ مَشْهُودَةٌ ... وَتِلْكَ الَّتِي قُرْبُهَا لَنْ يُرَامَا
تَطَلَّعَ مِنْهَا[4] إِمَامٌ شُجَاعٌ ... أَقَامَ الحُرُوبَ لِمَنْ كَانَ قَامَا
وَأَنْهَدَ مِنْهَا لأَهْلِ الخِلاَفِ ... جُيُوشاً كَمَوْجِ البِحَارِ التِطَامَا
فَسُرْعَانَ مَا فَرَّقَتْ شَمْلَهُمْ ... وَسَامَتْهُمُ بِالسُّيُوفِ انْهِزَامَا
وَقَدْ أَخْفَرُوا عَهْدَ خَيْرِ المُلُوكِ ... وَمَنْ يَخْفِرِ العَهْدَ يَلْقَ أَثَامَا

---

(1) في المصدر السابق: «النجم».

(2) محل التعجب أن يقول: «وهو غيث» أو ما في معناه.

(3) النفاضة: لشملها.

(4) منها: ساقطة من النص المحقق.

وَمِــنْ عَــهْــدِ سَــعْــدٍ وَنَــصْــرٍ مَــعــاً لِـمَـنْ أَنْـجَـبَـا الـسَّـعْـدُ والـنَّـصْـرُ دَامَـا
أَمَــوْلاَيَ خُــذْهَــا تَــرُوقُ افْــتِــتَــاحــاً بِـمَـدْحِ الـرَّسُـولِ وَتَـزْهَـى اخْـتِـتَـامَـا
مِــنَ الــعَــاطِــرَاتِ الـشَّــذَى خِـلْـتُـهَـا خَـمِـيـلَـةَ زَهْـرٍ أَظَـلَّـتْ[1] نَـدَامَـا
وَمَــنْ يَـغْـتَـنِـمْ بِـالـمَـدِيـحِ الـعَـطَـايَـا فَـإِنِّـي اغْـتَـنَـمْـتُ الأُجُـورَ اغْـتِـنَـامَـا
بَــقِــيــتَ مَــدَى الــدَّهْــرِ فِــي دَوْلَــةٍ تُـنِـيـلُـكَ فِـي الـرُّومِ مَـا الـسَّـيْـفُ رَامَـا
وَصَــلَّــى الإِلٰــهُ عَــلَــى الــمُــصْـطَـفَـى صَــلاَةً تَــدُومُ وَوَالَــى الــسَّــلاَمَــا

80

«وقال أيضاً[*]: [وافر]

بَـكَـتْ شَـجَـنـاً فَـفَـاضَ الـدَّمْـعُ يَـحـكِـي يَـتَـامَـى الـدُّرِّ إِذْ يَـهْـمِـي[2] تُـؤَامَـا
وَسَـلَّـتْ مِـنْ مَـحَـاجِـرِهَـا سُـيُـوفـاً فَـخِـفْـتُ عَـلَـى الـمَـحَـاجِـرِ وَالـيَـتَـامَـى

81

وقال في الحافظ علم الدين أبي القاسم محمد بن يوسف البرزالي[**]: [بسيط]

نَـوَى الـنَّـوَى عَـلَـمُ الـدِّيـنِ الـرِّضَـى فَـأَنَـا مِـنْ بَـعْـدِ فُـرْقَـتِـهِ بِـالـشَّـامِ ذُو أَلَـمِ
فَـلاَ تَـلُـمْـنِـي عَـلَـى حُـبِّـي دِمَـشْـقَ فَـقَـدْ أَصْـبَـحْـتُ فِـيـهَـا زَمَـانـاً صَـاحِـبَ الـعَـلَـمِ

(1) في الأصل: أطلت.

(*) الكتيبة: 268، والنفح: 115/7.

(2) النفح: يهوي. وفي البيت الثاني تورية، إذ المحاجر هم الأطفال الذين يكونون في حضن مربيهم ومتولي أمرهم بعد وفاة عائلهم الأول. والمحاجر أيضاً: العيون وما دار بها.

(**) النفح: 110/7، والبرزالي: أحد ثلاثة من أعلام دمشق في القرن الثامن لقيهم ابن الحاج أثناء رحلته المشرقية وأخذ عنهم ومدحهم وهم الذهبي والمري وعلم الدين البرولي هذا. انظر ترجمته في:

82

وقال فيه أيضاً(*): [بسيط]

نَوَى النَّوَى عَلَمُ الدِّينِ الرِّضَى فَذَكَتْ ... نَارُ اشْتِيَاقِيَ حَتَّى اسْتَعْظَمُوا أَلَمِي

فَقُلْتُ: إِنِّي مِنْ قَوْمٍ شِعَارُهُمُ ... جُودٌ فَلاَ تُنْكِرُوا نَارِي عَلَى العَلَمِ

83

«وقال(**): [طويل]

أَلاَ مُعْصِمٌ لِلصَّبِّ مِنْ وَشْيِ مِعْصَمِ ... أَطَلْتُ إِلَيْهِ نَظْرَةَ المُتَوَسِّمِ

فَأَبْقَتْ بِهِ عَيْنِي حُلى مِنْ سَوَادِهَا ... وَبَعْضَ سَوَادِ وَسْطَ قَلْبِي المُتَيَّمِ

وَلَيْسَ خِضَاباً مَا عَلاَهُ وَإِنَّمَا ... جَرَى فِيهِ بَعْدَ الدَّمْعِ مَا عَزَّ مِنْ دَمِي

وَلَمْ يُعْدِ مِنِّي اللَّوْنَ لَوْنُ سَوادِهِ ... خَلاَ أَنَّنِي أَشْقَى وَقِيلَ لَهُ: انْعَمِ

(*) النفح: 110/7.

(**) النفح: 116/7-117.

النـون

84

وقال(*): [رجز]

وَعَـــارِضٌ فِـــي خَـــدِّهِ نَـــبَـــاتُـــهُ   بِـحُـسْـنِـهِ بَـيْـنَ الـوَرَى يَـسْـحَـرُنَـا
أَجْـرَى دُمُـوعِـي إِذْ جَـرَى شَـوْقـاً لَـهُ   فَـقُـلْـتُ: «هَـذَا عَـارِضٌ مُـمْـطِـرُنَـا[1]»

85

وقال وهو ظريف(**): [كامل]

قَـدْ قَـارَبَ الـعِـشْـرِيـنَ ظَـبْـيٌ لَـمْ يَـكُـنْ   لِـيَـرَى الـوَرَى عَـنْ حُـبِّـهِ سُـلْـوَانَـا
وَبَـدَا الـرَّبِـيـعُ بِـخَـدِّهِ فَـكَـأَنَّـمَـا   وَافَـى الـرَّبِـيـعُ يُـنَـادِمُ الـنُّـعْـمَـانَـا»

86

وقال(***): [كامل]

الـنَّـوْمُ عَـنْ إِنْـسَـانِ عَـيْـنِـي نَـافِـرٌ   كَـالـوَحْـشِ لَـيْـسَ يُـقَـارِبُ الانْـسَـانَـا
والـدَّمْـعُ مِـنْـهَـا طَـافَ طُـوفَـانـاً فَـلاَ   عَـجَـبٌ إِذَا مَـا غَـرَّقَ الأَجْـفَـانَـا

(*) الإحاطة: 349/1، وجذوة الاقتباس: 96/1، والنفح: 111/7.

(1) في هذا الشطر تورية، وفيها اقتباس من قوله تعالى: ﴿قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا﴾ (الأحقاف: 24).

(**) الإحاطة: 350/1، والنفح: 111/7 (ووصفه بالنظم البديع)، وجذوة الاقتباس: 96/1.

(***) النفح: 114/7.

87

«وقوله(*): [طويل]

وَحَقِّكُمْ مَا زِلْتُ أَسْمَعُ عَنْكُمْ ... أَحَادِيثَ فَضْلٍ كُلُّهُنَّ حِسَانُ
إِلَى أَنْ حَدَانِي الشَّوْقُ نَحْوَ دِيَارِكُمْ ... فَأَرْبَى عَلَى مَا قَدْ سَمِعْتُ عِيَانُ

88

وقال أيضاً(**): [طويل]

أَطَارَ الكَرَى عَنْ مُقْلَتِي طَائِرُ البَانِ ... وَبِالوَجْدِ أَفْنَانِي بِمُورِقِ أَفْنَانِ[1]
وَلاَحَ بِأَعْلَى الأَجْرَعِ الفَرْدِ[2] بَارِقٌ ... بِسُقْمِيَ أَعْيَانِي وَغَيَّرَ أَعْيَانِي
وَهَيَّجَ أَضْغَانِي فَمَا غَيْرُ لاَعِجٍ[3] ... مِنَ الشَّوْقِ أَعْطَانِي بِأَرْحَبِ أَعْطَانِ
وَخَطَّ بِحِبْرِ الدَّمْعِ مَا شَاءَهُ هَوًى ... إِلَى المَجْدِ رَقَّانِي بِخَدِّي رَقَّانِ
وَأَعْدَمَنِي التَّسْهِيدُ صَبْرِيَ وَالكَرَى ... فَلِي حَيْثُ أَحْزَانِي سَيَكْتُبُ أَحْزَانِي
وَمَا رَقَّ لِي إِلاَّ النَّسِيمُ الَّذِي سَرَى ... فَفِي كُلِّ أَحْيَانِي بِرَيَّاهُ أَحْيَانِي
وَمَا كَانَ أَنْسَانِي لَوِ اخْتَرْتُ سُلْوَةً ... وَمَا كَانَ أَجْفَانِي وَأَنْحَلَ أَجْفَانِي

(*) مسالك الأبصار: 215/17.
وفي تزيين قلائد العقيان لابن زاكور (خ) بيتان يشبهان هذين هما:
كَانَتْ مُسَاءَلَةُ الرُّكْبَانِ تُخْبِرُنَا ... عَنْ قَاسِمِ بْنِ عَلِيٍّ أَطْيَبَ الخَبَرِ
حَتَّى الْتَقَيْنَا فَلاَ وَاللَّهِ مَا سَمِعَتْ ... أُذْنِي بِأَحْسَنَ مِمَّا قَرَّبَ البَصَرُ
وفي البيتين إقواءٌ ظاهر، فلو قال:
حتى التقينا فلا والله ما سمعت ... أذني بأحسن مما شمت بالبصر
لسلم منه، ولعله كذلك في الأصل، أو يكون المراد: قَرَّ بالبصرِ.
(**) مزاين القصر: ق 19.
(1) أفنى الشيء: أنهى وجوده، والأفنان: الأغصان المستقيمة.
(2) الأجرع الفرد: المكان الواسع الذي فيه خشونة وانفراد وتوحد.
(3) اللاعج: الهوى المحرق. والأعطان: جمع عطن، يقال للإنسان واسع العطن أي واسع الصبر والحيلة.

وَدُونَ الحِمَى بِالرَّقْمَتِيْنِ[1] مَنَازِلٌ بَدَتْ كُثُباً لِلصَّبِّ مَا بَيْنَ كُثْبَانِ
مَنَازِلُ أَجْرَى الدَّمْعُ مِنْ أَجْلِهَا دَماً فَحِلْيَتُهَا مِنْهُ بَدُرٌّ وَعِقْيَانِ
وَمِثْلِيَ وَجْدٌ أَخْرَقَ البَرْقُ جَيْبَهُ عَلَيْهِ وَهَزَّ البَانُ أَعْطَافَ[2] أَغْصَانِ
وَهَبَّ النَّسِيمُ الحَاجِرِيُّ مُحَمَّلاً أَحَادِيثَ نُعْمٍ حِينَ مَرَّتْ بِنُعْمَانِ[3]
فَجَمَّعْتُ بَيْنَ المَاءِ وَالنَّارِ ذَاكَ مِنْ دُمُوعِي وَهَاذِي مِنْ لَوَاعِجِ أَشْجَانِي
وَرَدَّ الصِّبَا وَهْناً رَسُولٌ مِنَ الصَّبَا بِمَمْشَاهُ أَرْضَانِي فَخَدِّيَ أَرْضَانِ
وَيَا رُبَّ طَيْفٍ طَافَ بِي مُتَهَلِّلاً وَبِالجَزْعِ حَيَّانِي وَدُونِيَ حَيَّانِ
وَأَظْهَرَ مِنْ خَدٍّ مُفَتَّحَ وَرْدَةٍ وَمِنْ أَنْمُلٍ رَخْصٍ مُعَلَّقَ سَوْسَانِ
وَغَنَّى عَلَيْهِ الحَلْيُ وَالقَدُّ مَائِسٌ فَقُلْتُ حَمَامٌ فَوْقَ غُصْنٍ بِبُسْتَانِ
وَمَا رَاعَنِي إِلاَّ الحُدَاةُ هَفَتْ بِهِمْ مَعَ الصُّبْحِ ذِكْرَى لَمْ تَدَعْ غَيْرَ وَلْهَانِ
كَأَنَّ الفَلاَ وَالبِيدَ مُنْذُ حَوَتْهُمُ قُلُوبٌ حَوَتْ أَسْرَارَ حُبٍّ وَعِرْفَانِ
كَأَنَّ الدُّجَى فِي مَجْمَرِ البَرْقِ عَنْبَرٌ يَضُوعُ[4] شَذَاهُ بَيْنَ نُدْمَانِ شُهْبَانِ
كَأَنَّ انْصِدَاعَ الفَجْرِ نَهْرُ حَدَائِقٍ سَقَى زَهْرَهَا أَوْ دَمْعُ أَحْدَاقِ هَيْمَانِ
كَأَنَّ ضِيَاءَ الصُّبْحِ وَالشَّمْسَ بَعْدَهُ هِدَايَةُ خَيْرِ الخَلْقِ مِنْ آلِ عَدْنَانِ
نَبِيٌّ كَرِيمٌ طَابَ حَيًّا وَمَيِّتاً فَزَائِرُهُ جَانٍ ثِمَارَ المُنَى جَانِ

---

(1) الرقمتان: روضتان في البصرة ونجد، وقيل هما بناحية الصمان. (اللسان، والتهذيب).
وجاء في معجم البلدان 58/3 أنهما قريتان بين البصرة والنباج... وهما منزل مالك بن الشريف والمازي، وفيهما يقول:
فلله درى يوم أترك طائعاً بُليّ بأعلى الرقمتين وماليا

(2) في الأصل: أعطف.

(3) قال في معجم البلدان 146/5: «وهي مدينة كبيرة قديمة مشهورة من أعمال حمص بين حلب وحماة» وتسمى معرة النعمان أيضاً.

(4) في الأصل: تضوع.

رَؤُفٌ رَحِيمٌ خُصَّ بِاسْمَيْنِ عُظِّمَا[1] ... لأَنَّهُمَا لِلَّهِ سُبْحَانَهُ اسْمَانِ

رَسُولٌ أَتَى لِلْخَلْقِ أَجْمَع رَحْمَةً ... وَجَاءَ بِنُورٍ لِلأَنَامِ وَفُرْقَانِ

بِهِ بَشَّر الانْجِيلُ عِيسَى بْنَ مَرْيَمٍ ... وَبَشَّرَ[تِ][2] التَّوْرَاةُ مُوسَى بْنَ عِمْرَانِ

وَأَخْبَرَ يُوسُفْ[3] جَدَّهُ بِظُهُورِهِ ... غَدَاةَ أَتَاهُ وَهْوَ فِي رَأسِ غِمْدَانِ

إِلَى أَنْ أَرَاهُ اللَّهُ مَوْلِدَهُ الَّذِي ... أَرَى خَيْرَ مِصْبَاحٍ بِمِشْكَاةِ أَكْوَانِ

وَآمِنَةٌ أَضْحَتْ بِهِ وَهْيَ كَاسْمِهَا ... وَمَا أَمِنَتْ ضُرًّا حَوَامِلُ إِنْسَانِ

فَكَانَ أَخَفَّ النَّاسِ حَمْلاً بِبَطْنِهَا ... وَأَثْقَلَهُمْ وَطْأً لأحْزَاب[4] شَيْطَانِ

وَلَمَّا دَنَا وَقْتُ الوِلاَدَةِ أَبْصَرَتْ ... عَجَائِبَ لَمْ تَطْرُقْ جَنَاباً لأَذْهَانِ

وَضَاءَتْ لِمَنْ بِالشِّعْبِ مِنْ أَرْضِ مَكَّةٍ ... قُصُورٌ بِبُصْرَى مِنْ أَقَالِيمِ حَوْرَانِ[5]

وَإِيوَانُ كِسْرَى ارْتَجَّ كُلَّ ارْتِجَاجَةٍ ... وَكَانَ كَمَا تَرْوِيهِ أَعْظَمَ إِيوَانِ[6]

وَأُطْفِيتِ النِّيرَانُ نِيرَانُ فَارِسٍ ... وَمُذْ أَلْفِ عَامٍ وَاصَلَتْ وَقْدَ نِيرَانِ

وَكَمْ حَازَ فِي عَصْرِ الصِّبَا مِنْ فَضَائِلٍ ... تَأَدَّتْ لَنَا مِنْ بَيْنِ مَثْنَى وَوِحْدَانِ

وَلَمَّا أَتَاهُ الوَحْيُ أَعْطَاهُ رَبُّهُ ... عَطَاءً حِسَاباً لَمْ يُعَارَضْ بِحُسْبَانِ

وَأَيَّدَهُ بِالمُعْجِزَاتِ رَوَاتِقاً ... فَتُوقَ ضَلالٍ قَدْ أَضَلَّ وَكُفْرَانِ

وَإِنَّ كِتَابَ اللَّهِ أَعْظَمُ آيَةٍ ... تَجَلَّتْ فَلَمْ تُنْكِرْ سَنَا الصُّبْحِ عَيْنَانِ

وَشُقَّ لَهُ البَدْرُ المُنِيرُ بِمَكَّةٍ ... فَقَالَ اشْهَدُوا لَمَّا بَدَا وَهْوَ نِصْفَانِ

---

(1) الإشارة إلى قوله تعالى: ﴿بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾.

(2) زيادة في الأصل.

(3) خلل في الوزن لا يستقيم بغير تسكين يوسف.

(4) لأحزاب: ويمكن أن تقرأ «لاضراب» لأن النقطة جاءت متوسطة بين الحرفين، والمعنى صحيح فيهما.

(5) بصرى وحوران.

(6) إيوان كسرى قصره ومستقر حكمه، وقد تحدثت بعض كتب السيرة عن ارتجاجه ليلة المولد النبوي كما تحدثت عن المعجزات بعامة بعض كتب الحديث ومنها البخاري في مواضع مختلفة.

وَفَاضَتْ بِعَذْبِ المَاءِ مِنْهُ أَصَابِعٌ سَقَتْ كُلَّ حَرَّانِ الجَوانِحِ عَطْشَانِ
وَسَبَّحَ فِي يُمْنَاهُ كَفٌّ مِنَ الحَصَى بِمَرْأَى أَبِي بَكْرٍ وَمَحْضَرِ[1] عُثْمَانِ
وَحَنَّ إِلَيْهِ الجِذْعُ وَاشْتَدَّ حُزْنُهُ وَمِنْ قَبْلُ لَمْ تَشْكُ الجُذُوعُ بِفُقْدَانِ
كَأَنَّ الَّذِي غَنَّتْ بِهِ وَهْوَ نَاعِمٌ مِنَ الوُرْقِ أَعْدَتْهُ بِفَادِحِ أَحْزَانِ
رَسُولٌ أَبَانَ الفَضْلَ فَضْلَ صَحَابَةٍ أَطَاعُوهُ فِي سِرٍّ كَرِيمٍ وَإِعْلاَنِ
وأَثْنَى عَلَى الأَنْصَارِ فَوْقَ ثَنَائِنَا عَلَى عَقِبِ الأَنْصَارِ فِي الزَّمَنِ الثَّانِي
مُلُوكِ بَنِي نَصْرٍ وَحَسْبُكَ أَنَّهُمْ لأَكْرَمُ مَنْ أَجْرى الجِيَادَ بِمَيْدَانِ
هُمُ أَنْجَبُوا خَيْرَ المُلُوكِ مُحَمَّداً رَفِيعَ العُلاَ والقَدْرِ وَالصِّيتِ وَالشَّأنِ
تَيَسَّرَتْ الآمالُ لِلْخَلْقِ إِذْ دَنَا وَلاَ غَرْوَ وَالتَّيْسِيرُ يُنْسَبُ لِلدَّانِي[2]
هُمَامٌ كَأَنَّ الأَرْضَ إِنْ سَارَ مسْمعٌ بِهِ مِنْ صَهِيلِ الخَيْلِ أَبْدَعُ أَلْحَانِ
إِذَا افْتَرَّ ثَغْرُ الحَرْبِ كَانَتْ سُيُوفُهُ ثَنَايَا لَهُ وَالبَرْقُ ذَوْبَ الدَّمِ القَانِ
وَإِنْ أَبْرَزَتْ كَفّاً لَهَا فَرِمَاحُهُ أَنَامِلُ ذَاكَ الكَفِّ مُدَّتْ لِشُجْعَانِ
وَتُرْسِلُ شِعْراً مِنْ عَجَاجٍ خُيُولُهُ تُرَجِّلُهُ أَيْدِي نُسُورٍ وَعُقْبَانِ
حَبِيبٌ إِلَى الأَوْطَانِ عَادَ وَإِنَّمَا هُوَ الرُّوحُ كُلُّ الرُّوحِ عَادَتْ لِجُثْمَانِ
وَمَدَّتْ لَهُ غَرْنَاطَةٌ أَيَّ مِعْصَمٍ مِنَ النَّهْرِ بِالوَشْمِ النَّسِيمِيِّ مُزْدَانِ
وَأَبْدَتْ مِنَ الحَمْرَاءِ أَبْدَعَ مَفْرِقٍ عَلَيْهِ مِنَ الأَبْرَاجِ أَبْدَعُ تِيجَانِ
وَمَا أَبْصَرَتْ عَيْنٌ كَمِشْوَرِهَا الَّذِي تُنَاسِبُهُ فِي رِفْعَةٍ هِمَّةُ البَانِي
مُنِيفٌ عَلَى كُلِّ المَصَانِعِ شَادَهُ فَتَى الجُودِ وَالعَلْيَاءِ مِنْ نَسْلِ كَهْلاَنِ[3]

---

(1) في الأصل: ومحظر، وهو تصحيف.

(2) كتاب التيسير لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني والمتوفى سنة أربع وأربعين وأربعمئة هـ، وهو حجة في القراءات، وله رحلة إلى المشرق. (ترجمته في: الصلة: 385، وجذوة المقتبس: 286، وبغية الملتمس: 1185، والنفح: 135/2، وغاية النهاية: 503/2.

(3) المغنى: المنزل الذي غني به أهله.

فَمَا لَبَنِي العَبَاسِ فَخْرٌ بِمَا بَنَوْا وَلاَ لِلْمُلُوكِ الصِّيدِ مِنْ آلِ مَرْوَانِ
وَلِلَّهِ فِي مَغْنَاهُ[1] لَيْلَةَ سَابِعِ فَحَيَّا بِروحٍ لاَ يَزَالُ وَرَيْحَانِ
بِهَا تُضْرَبُ الأَمْثَالُ ثُمَّ بِذِكْرِهَا يُزَمْزِمُ حَادِي الرَّكْبِ مَا بَيْنَ أَظْعَانِ
فَلاَ زَالَ مَوْلاَنَا الإِمَامُ ابْنُ يُوسُفٍ[2] أَمِيراً وَسُلْطَاناً عَلَى كُلِّ سُلْطَانِ
وَأَخْتِمُ نَظْمِي بِالصَّلاَةِ عَلَى الَّذِي أَتَى خَاتِماً لِلرُّسْلِ فِي خَيْرِ أَزْمَانِ
وَدَامَ الرِّضَى عَنْ آلِهِ أَنْجُمِ العُلاَ وَأَصْحَابِهِ وَالتَّابِعِينَ بِإِحْسَانِ

89

«وقال، وقد جاء الشاعر أبو العباس أحمد بن عبد المنان إلى بيت الكتاب وفي عينه خضرة(*) : [متقارب]

أَيَا أَحْمَدُ المُرْتَضَى لِلْعُلاَ وَمَنْ حَازَ فِي صُنْعِهِ كُلَّ زَيْنِ
تَرَاءَيْتَ فِي العِلْمِ رَوْضاً نَضِيراً فَلاَ تُنْكِرَنْ خُضْرَةً حَوْلَ عَيْنِ»

90

«وله فيه(**) : [طويل]

لَكَ الخَيْرُ عَدْمُ السَّبْكِ أَبْدَلَ نَاظِرِي زُمُرُّدَةً مُخْضَرَّةً مِنْ لُجَيْنِهِ
وَلاَ تُنْكِرُوا مَا رَاعَ مِنْ ذَاكَ إِنَّنِي لَصَائِغُ تِبْرِ القَوْلِ نَاقِدُ شَيْنِهِ
وَلاَ عَجَبٌ إِنْ أَعْوَزَ السَّبْكُ صَائِغاً فَأَوْجَبَ عَدْمُ السَّبْكِ خُضْرَةَ عَيْنِهِ»

---

(1) انظر بطون كهلان من القحطانية في: العبر: 285/2.

(2) الإشارة إلى محمد بن يوسف، الغني بالله.

(*) النفح: 117/7. وابن المنان: شاعر مكناسي الدار أندلسي الأصل، توفي بفاس سنة اثنتين وتسعين وسبعمئة، وكان من كتاب المرينيين. (ترجمته في: نثير الجمان: 314، ونثير فرائد الجمان: 349، وجذوة الاقتباس: 60، ودرة الحجال: 24/1).

(**) النفح: 117/7.

91

«وقوله(*): [خفيف]

لِـي جَـفْـنٌ إِذَا ذُكِـرْتَ مَـعِـيـنْ ... لَـيْـسَ يَـأْتِـي إِلاَّ بِـدَمْـعٍ هَـتُـونْ
جَـرَّحَ الـخَـدَّ رَاوِيـاً وَهْـوَ لاَ يُـمْـ ... ـسِـكُ عَـنْـهُ لأَنَّـهُ ابْـنُ مَـعِـيـنْ»

91

«وقال رحمه الله تعالى(**): [طويل]

وَلَـوْلاَ ثَـلاَثٌ جَـاءَ جِـبْـرِيـلُ سَـائِـلاً ... لِـخَيْـرِ الـوَرَى عَـنْـهَـا لآثَـرْتُ فُـقْـدَانِـي
مَـقَـامَـاتُ إِسْـلاَمٍ أَزِيـدُ بِـفِـعْـلِـهِ ... ثَـوَابـاً، وَإِيـمَـانٍ أُدِيـمَ وَإِحْـسَـانِ

93

«ومن قوله يرثي خاله الفقيه الكاتب أبا عبد الله محمد بن محمد بن عاصم بن محمد بن أبي عاصم القيسي، وهي قصيدة بارعة(***): [طويل]

هُوَ الخَطْبُ هَلْ عَجَّتْ بِهِ قَيْسُ عَيْلاَنِ[1] ... [عَجِيجَ][2] الحَجِيجِ اسْتَقْبَلُوا شِعْبَ نُعْمَانِ
وَهَـلْ تَـرَكُـوا حُـمْـرَ الـقِـبَـابِ لِـوَقْـعِـهِ ... سَـوَارِيَ فِـي لَـيْـلَـيْ هُـمُـوم وَأَحْـزَانِ
وَهَـلْ غَـادَرُوا الـجُـرْدَ الـجِـيَـادَ خَـوَابِـطاً ... كَـمَـلْـقَـى سُـيُـوفٍ أَوْ عَـوَامِـلِ مُـرَّانِ[3]

(*) مسالك الأبصار 215/17. وقد التزمت ضبطه، ولو كسرت القافية لكانت أفضل إيقاعاً من تقييدها.

(**) النفح: 120/7. وفيه رفع المحقق «الإيمان والاحسان» على الاستئناف، وعطفتهما على الإسلام لأنه ثالث هذه المقامات فجررتُهما.

(***) نثير فرائد الجمان: 314. وترجمة خاله تقدمت في حاشية القطعة رقم:

(1) قيس عيلان: أبو قبيلة من مضر، ويقال: إن اسمه الناس بن مضر بن نزار، وإن قيساً لقبه. (العبر: 351/2).

(2) في الأصل: نشيج وبسيج، وفي الحاشية «واقرأ عجيج» وهو الصواب موافقة للمعنى وربطاً «بعججت» في الشطر الأول.

(3) المران: الرماح الصلبة اللّدنة، والعامل من الرمح أعلاه، مما يلي السنان بقليل. (اللسان، ووسيط: مرن، وعمل).

مَضَى رَبُّ قَيْسٍ، وَابْنُ رَافِعِ مُجْدِهَا ثُمَالَ مَعَدٍّ حَيْثُ كَانَ وَعَدْنَانِ
مَضَى الفَارِسُ المِغْوَارُ يَزْحَفُ لِلْوَغَى عَلَى كُلِّ مُسْوَدِّ النَّوَاشِرِ حَسَّانِ
مَضَى العَالِمُ البَحْرُ الَّذِي خَضَعَتْ لَهُ رِقَابُ المَعَانِي فَهْيَ وَالجَيْشُ سِيَّانِ
أَرَى الحَيَّ قَدْ أَكْدَى الرَّكَائِبَ بَعْدَهُ بِمُشْكِلِ نَوْحٍ لابِحَدْوٍ وَأَلْحَانِ
وَشَبُّوا لِمَنْ أَمُّوا المَفَاوِزَ فِي الدُّجَى مِنَ الحُزْنِ وَالبَلْوَى مَوَاقِدَ نِيرَانِ
وَسَالَ دَمُ الأَجْفَانِ وَالكَرْمِ حَيْثُ لَمْ تَزَلْ تَزْحَمُ الضِّيفَانُ أَمْوَاجَ ضِيفَانِ
نَشَدْتُكُمْ هَلْ طَابَ لِلْعِيسِ وِرْدُهَا وَهَلْ رَاقَهَا مَرْعى لِحِمْضٍ وَسَعْدَانِ
وَهَلْ أَرْضَعَتْ أُمُّ الحِوَارِ حِوَارَهَا وَأَفْهَقَ مِنْ رَسْلٍ عَلَى الشَّوْلِ فَقْهَانِ[1]
وَهَلْ رَجَعَتْ أَيْدِي الكُمَاةِ سُيُوفَهَا وَقَرَّ الأَصَمُّ الصِّرْفُ فِي كَفِّ شَيْحَانِ
أَلاَ إِنَّ قَيْساً بَعْدَ يَوْمِ ابْنِ عَاصِمٍ لأَنْضَاءُ أَحْزَانٍ، وَأَذْوَاءُ فُقْدَانِ
وَتَبًّا لِدَهْيَاءَ اسْتَطَارَ شَرَارُهَا كَمَا لَعِبَتْ هُوجُ الرِّيَاحِ بِكُثْبَانِ
فَقَدْنَ الأَغَرَّ النَّدْبَ لاَحَتْ قِبَابُهُ فَلَسْتَ تَرَى مِنْ حَوْلِهَا عَيْنَ جَذْلاَنِ
وَلَمْ أَرَ يَا لِلْقَوْمِ غَيْرَ مُصَابِهِ سَوَاءٌ بِهِ قَحْطَانُ أَوْ آلُ عَدْنَانِ
بَكَتْ مُضَرُ الحَمْرَاءُ مِنْهُ ابْنَهَا الَّذِي مَضَى كَالْحَيَا الهَتَّانِ عَنْ شِعْبِ بَوَّانِ[2]
وَكَرَّ إِلَى إِخْوَانِهِ مُوقِظَ الأَسَى فَمَا هَمَدَتْ فِي الحُزْنِ آثَارُ هَمْدَانِ
وَعَامِلَةٌ لَمْ يُلْفَ مِنْ عَمَلٍ لَهَا سِوَى رَفْضِ سُلْوَانٍ وَتَجْدِيدِ أَشْجَانِ
وَأَثْقَلَ بَثُّ الخَزْرَجِيِّينَ كَاهِلاً لِكُلِّ صَرِيحِ المَجْدِ فِي سِرِّ كَهْلاَنِ
وَفِي كَلْبٍ اصْطَفَّتْ عَلَيْهِ نَوَائِحٌ كَمَا زَجَرَ العَيَّافُ مَنْعِبَ غِرْبَانِ[3]

(1) فقهان: كذا، ولعلها فهقان. وأفهق: امتلأ.

(2) مضر الحمراء: قال الجوهري في الصحاح: قيل لمضر الحمراء ولربيعة الفرس لأنهما اقتسما الميراث، أعطي مضر الذهب وهو يؤنث وأعطي ربيعة الخيل». وقيل إن شعارهم الرايات الحمر. (اللسان: مضر) وشعب بوّان: جنة مشهورة في فارس.

(3) عاملة وما بعدها من كهلان، وكلب، والخزرج: قبائل عربية.

فَمَنْ لِلْخُيُولِ الأَعْوَجِيَّةِ ضُمَّراً		يُرَوِّي صَدَاهَا مِنْ عَبِيطِ الرَّدَى القَانِي
وَمَنْ لِلسُّيُوفِ المَشْرَقِيَّاتِ يَخْتَلِي		بِهَا الهَامُ يَوْمَ الزَّحْفِ فِي كُلِّ مَيْدَانِ
وَمَنْ لِرِمَاحِ الخَطِّ فِي حَوْمَةِ الوَغَى		يُقَصِّمُهَا مَا بَيْنَ مَثْنَى وَوِحْدَانِ
وَمَنْ لأَيَامَى الحَيِّ تَشْكُو ظَما حَشاً		صَدِيٍّ لِعَرْفٍ لاَ يَغِبُّ وَإِحْسَانِ
وَمَنْ لِلضُّيُوفِ الخَابِطِينَ لَهُ الفَلاَ		عَلَى كُلِّ مِيفَاضٍ كَهَمِّكَ مِظْعَانِ
وَمَنْ لِلْعُلُومِ النَّازِعَاتِ إِلَى العُلاَ		مُتِيحٌ لِوِرْدٍ، أَوْ مُقِرٌّ بِإِعْطَانِ[1]
وَمَنْ لِسِجَالِ العِلْمِ أَوْ لِغُرُوبِهَا		مُجِيلٌ، إِذَا حَانَتْ مَرَتَّةُ أَشْطَانِ[2]
وَمَنْ فِي النَّوَادِي الغُرِّ لِلْخُطَبِ الَّتِي		يُقَصِّرُ عَنْ إِدْرَاكِهَا قِسُّ سَحْبَانِ[3]
وَمَنْ يُكْسِبِ الأَحْلاَمَ صَنْعَةَ رِيدَةٍ		وَشُغْلَ سَحُولٍ إِنْ وَشَى ذَاتَ عُنْوَانِ[4]
شَهِدْتُ لَقَدْ أَبْقَى عَلَى المُلْكِ رَوْنَقاً		وَلاَ رَوْنَقُ الصَّهْبَاءِ فِي عَيْنِ نَشْوَانِ
وَخَلَّفَ أَكْبَادَ المُلُوكِ لِفَقْدِهِ		تُنَاشُ لِخَفَّاقٍ مِنَ البَثِّ حَرَّانِ
أَخَالاَهُ! خَانَ الصَّبْرُ بَعْدَكَ وَانْتَحَتْ		لَوَاعِجُ وَجْدٍ بِالأَسَى غَيْرَ حَرَّانِ
وَلَمْ يَبْقَ عِنْدِي مُذْ رُزِئْتُكَ جَانِبٌ		كَأَنِّي أَخُو عُتْبَانَ مِنْ بَعْدِ عُتْبَانِ
وَكَمْ قَسَّمَ الأَرْزَاءَ فِي سَاحَةِ البِلَى		بَنُو الحُزْنِ، عَجُّوا بَيْنَ شِيبٍ وَشُبَّانِ
وَكَانَ لَنَا شَرُّ القَسِيمِ كَأَنَّنَا		بِعَيْنِ أَبَاغٍ قَاسِمُو آلَ شَيْبَانِ[5]
رُزِئْنَا بِزَاكِي الخِيمِ، مُبْيَضِّ طَرْفِهِ		بِأَكْرَمِ مِطْعَامٍ وَأَشْرَفِ مِطْعَانِ

---

(1) الإعطان: تبارك الإبل ومرابض الغنم.

(2) الأشطان: الحبال الطويلة.

(3) قس وسحبان: يضرب بهما المثل في الفصاحة.

(4) ريدة وسحول: قريتان ورد ذكرهما في شعر طرفة بن العبد.

(5) عين أباغ: موضع بين الكوفة والرقة شهد انتصار الحارث الغساني على ملك الحيرة. وفي البيت إشارة إلى قول شاعرة من بني شيبان أو ابنة المنذر اللخمي:

بِعَيْنِ أَبَاغَ قَاسَمْنَا المَنَايَا		فَكَانَ قَسِيمُهَا خَيْرَ القَسِيمِ

جَـعَـلْـتُ أَلُـومُ الـقَـلْـبَ عِـنْـدَ نَـعِـيِّـهِ وَقَدْ طَارَ فِي مَهْوَى الأَسَى جِدّ وَلْهَانِ
وَأَرْمِـي فُـؤَادِي بـالـشُّـجُـونِ رَبَـثْ كَـمَـا رَمَى الشَّنْفَرَى بِالحَرْبِ مِئْزَرَ لِحْيَانِ[1]
وَأَسْـتَـبْـطِـيءُ الـبَـلْـوَى وَقَـدْ جَـدَّ جِـدُّهَـا كَمَا اسْتَبْطَأَ الغَارَاتِ عُمْرُو بْنُ نُعْمَانِ
وَبـالـجَـزْعِ مِـنْ غَـرْنَـاطَـةٍ قَـبْـرُ مَـاجِـدٍ بِـهِ نُـسِـيَـتْ آثَـارُ قَـبْـرٍ بِـحُـلْـوَانِ[2]
سَـقَـاهُ عَـلَـى الإمْـرَاعِ كُـلُّ مُـجَـلْـجِـلٍ مِـنَ الـغَـيْـثِ هَـطَّـالِ الـعَـشِـيَّـاتِ هَـتَّـانِ
إذَا حَـرَّكَـتْـهُ فِـي الـبُـرُوقِ سِـيَـاطُـهَـا رَمَـتْ بِـعِـشَـارِ الـمُـزْنِ فِـي كُـلِّ بُـسْـتَـانِ
مُـكِـبًّـا بِـأَكْـنَـافِ الـرِّيَـاحِ دَوَالِـحـاً كَـمَا ازْدَحَمَ الرَّكْبُ المُخِبُّ بِعَسْفَانِ
وَلاَ زَالَ يَـنْـدَى فَـوْقَـهُ كُـلُّ سَـجْـسَـجٍ مِـنَ الـظِّـلِّ مَـحْـفُـوفٍ بِـروحٍ وَرَيْـحَـانِ
وَلَـوْلاَ الـعَـوَادِي الـمُـزْرِيَـاتِ لَـزُرْتُـهُ وَعَـادَتْ إِلَـى تِـلْـكَ الأَبَـاطِـحِ أَظْـعَـانِـي
وَصَـاحَـبْـتُ فِـي خَـوْضِ الـبِـحَـارِ عِـصَـابَـةً هُـمُ مَـا هُـمُ فِـي الـمَـجْـدِ أَيْـسَـارَ لُـقْـمَـانِ
وَلَـكِـنَّـنِـي أَغْـشَـاهُ بِـالـرُّوحِ زَائِـراً وَإِنْ لَمْ يَزُرْهُ مُذْ خَبَا الحَدُّ[3] جُثْمَانِي
وَإِنِّـي بِـهِ عَـمَّـا قَـرِيـبٍ لَـلاَحِـقٌ وَظَـنِّـيَ أَنَّ الـدَّارَ جَـنَّـةُ رِضْـوَانِ

94

قال الشاطبي: «أنشدني الفقيه الفاضل أبو محمد بن حَذْلَمْ، وقال أنشدني الفقيه الأجل الرَّاوية الرُّحلة الكاتب الأديب البارع أبو إسحاق بن الحاج لنفسه(*): [طويل]

(1) الشنفرى: شاعر جاهلي. ومئزر ولحيان: مما كان يغزوه الشنفري وزملاؤه الصعاليك.

(2) حلوان: اسم بلد ورد في شعر قيس الرقيات ومطيع بن إياس. ومن ذلك قول مطيع: أسعداني يا نخلتي حلوان.

(3) الحدُّ: كذا ولعلها: اللَّحد. وأبكيا من ريب هذا الزمان.

(*) الإفادات والإنشادات: 147. وابن حذلم هو: الفقيه القاضي الغرناطي أبو محمد عبد الله بن عبد الله بن حذلم، (الكتيبة: 43 وفيه تصحف اسمه إلى خديم، ومستودع العلامة: 74). ووصفه الشاطبي في موضع آخر بالفقيه الأديب البارع. (الإفادات والإنشادات: 154-155).

أَحِـنُّ حَـنِـيـنَ الـعِـيـسِ إنْ هِـيَ نَـحْـوَكُـمْ (. . . . .).
وَمَـهْـمَـا جَـرَتْ أَجْـفَـانُ مَـاءِ إِلَـيْـكُـمُ جَرَى إِثْرَهَا شَوْقاً لَكُمْ مَاءُ أَجْفَانِي»

95

«وقال أيضاً[*]: [كامل]

إنَّ الخُمولَ[1] تَلُوحُ بَيْنَ عِرَاصِ ... بِتَعَلُّلِ العُشَّاقِ ذَاتِ نَوَاصِ
وَفَوَارِسٍ ذَابَتْ هَوًى فَمِنَ الهَوَى ... تَبْغِي المَنَاصَ وَلاَتَ حِينَ مَنَاصِ
وَعَشَائِرٍ رَحَلُوا ضُحًى وَقُلُوبُهُمْ ... بَيْنَ الخِيَامِ ثَوَيْنَ وَالأَخْصَاصِ[2]
كُحْلُ العُيُونِ رَمَتْ بِبِيضِ سُيُوفِهِمْ ... وَالحَرْبُ آخِذَةٌ لَهُمْ بِنَوَاصِ
وَعَنَتْ عَلَى حُكْمِ الهَوَى خِرْصَانُهُمْ ... لِصَوَاحِبِ الأَسْلاَكِ وَالأَخْرَاصِ
وَلَقَدْ تَخِذْتُ كِرَامَهُمْ لِي أُسْوَةً ... فِي الحُبِّ مَبْذُولٌ لَهُمْ إِخْلاَصِي
وَلَدَيْهِمُ دَمْعِي أَطَاعَ صَبَابَتِي ... لَكِنَّهُ لِلْخَطْبِ يُطْرِقُ عَاصِي
وَبِصِدْقِ حُبِّي لابْنِ نَصْرٍ فِي المَلا[3] ... أَزْهَى عَلَى الدَّانِي بِهِ وَالقَاصِي
مَلِكُ المُلُوكِ وَمُحْرِزُ الشَّرَفِ الَّذِي ... نَاصَى النُّجُومَ فَكَانَ خَيْرَ مُنَاصِ

(*) المزاين: ق 20/22.

(1) الخمول: لعله أراد الخمائل وهي الشجر المجتمع الملتف. والعراص: الساحات التي بين الدور ليس فيها بناء. والنواصي: مقدم الرأس. فتلك الخمائل أو الخمول هي أول ما يلوح للقادم من بعيد. وربما كانت الكلمة الأولى مصحفة عن (الحمول) وهي الهوادج يودعها الناس في تلك الساحات التي تشهد لحظات حزنهم على فراق الراحلين، ومن ذلك في شعر مالك بن الريب:

تحمل أصحابي عشاء وغادروا ... أخا ثقة في عرصة الدار ثاويا

غير أن عبارة (تلوح) تجعل هذا المعنى بعيداً.

(2) الأخصاص: جمع خص، وهو البيت من شجر أو قصب.

(3) في الأصل: «أبي علا» وهو تصحيف.

وَالـوَارِثُ الـمَـجْـدَ الَّـذِي شَـهِـدَتْ بِـهِ فِي عَـبْـدِ شَـمْـسٍ سَـادَةُ الأعْـيَـاصِ[1]
مَـجْـدٌ كَـقُـرْصِ الـشَّـمْـسِ بَـادٍ فَـضْـلُـهُ أَبَـداً عَـلَـى مَـا عَـنَّ مِـنْ أَقْـرَاصِ
مُـتَـدَفِّـقٌ عِـلْـمـاً يُـغَـصُّ بِـرِيـقِـهِ مَنْ جَاءَ يَخْصِمُ أَعْظَمَ الإِغْـصَاصِ
مِـنْ خَـائِـضٍ بَـحْـرَ الـمَـعَـارِفِ سَـابِـحٍ فِـيـهِ عَـلَـى دُرٍّ بِـهِ غَـوَّاصِ
وَإِذَا الـعُـلُـومُ عَـلَـى سِـوَاهُ اسْـتُـعْـوِصَـتْ طَـاعَـتْ لَـهُ وَأَبَـتْ عَـلَـى اسْـتِـعْـوَاصِ
بَـاكٍ لِـذِكْـرِ الـلَّـهِ جَـلَّ مُـوَاصِـلٌ زَاكٍ بِـتَـقْـوَى الـلَّـهِ عَـزَّ مُـوَاصِ
فِـي الـزُّهْـدِ وَالـعِـلْـمِ الإِلَـهِـي اقْـتَـدَى بِالشَّيْخِ (بَرْهِيمَ[2]) الرِّضَى الخَوَّاصِ
وَالـنَّـفْـسُ أَشْـخَـصَـهَـا لِـتُـدْرِكَ سِـرَّهُ أَكْـرِمْ بِـهِ وَبِـذَلِـكَ الإِشْـخَـاصِ
وَلِـمُـلْـكِـهِ الـعُـلَـمَـاءُ صَـارُوا شِـيـعَـةً كَـالـمَـاكِـنِـي الـعَـالِـمِ الـرَّقَّـاصِ[3]
وَمُـحِـبُّـهُ فِـي الـكُـتْـبِ مَـذْكُـورٌ كَـمَـا ذُكِـرَ الـمُـفَـضَّـلُ مِـنْ بَـنِـي الـجَـصَّـاصِ
وَبِـمَـدْحِـهِ أَرْضَـيْـتُ أَنْـدَلُـسـاً كَـمَـا أَرْضَـى تُـلِـمْـسَـانَ بَـنُـو الـرَّصَّـاصِ
خَـيْـرُ الـمُـلُـوكِ تَـفَـاوَتُـوا لَـكِـنَّـهُـمْ شَـهِـدُوا لَـهُ بِـالـفَـضْـلِ دُونَ تَـعَـاصِـي
أَغْـلَـى مَـعَـالِـيـهِ وَأَرْخَـصَ مَـالَـهُ وَالـفَـضْـلُ فِـي الإِغْـلَاءِ وَالإِرْخَـاصِ
وَبِـحَـمْـدِهِ قَـدْ شَـرَّفَ الـحِـبْـرَ الَّـذِي يَـغْـشَـاهُ لاَ بِـالـزَّاجِ وَالإِعْـفَـاصِ[4]
غَـرْنَـاطَـةٌ فَـخَـرَتْ بِـبَـحْـرِ عُـلُـومِـهِ وَحَـمَـاةُ[5] لَـمْ تَـفْـخَـرْ بِـغَـيْـرِ الـعَـاصِ

(1) عبد شمس: بطن بن قريش. وشمس صنم من أصنامهم القديمة.
والأعياص: الأصول.

(2) يعني إبراهيم بن أحمد الخواص المتوفى بالري سنة 291: من أصفياء الجنيد. (انظره في: الأعلام ومصادر ترجمته).

(3) الماكني الرقاص: لم أقف على ترجمته.

(4) الزاج: كبريتات. . . منه الأبيض والأخضر والأزرق. والإعفاص: من العفص وهو شجر البلوط، وربما اتخذوا منه حبراً. (وسيط: عفص).

(5) حماة: من مدن الشام المشهورة. والعاصي: نهرها.

آوِ إِلَـى حَـسَـبٍ لَـهُ فَـضْـلٌ عَـلَـى ... ذَهَـبٍ بِـأَيْـدِي الـنَّـاقِـدِيـنَ خَـلاَصِ
مِنْ آلِ خَزْرَجَ فِي الـذَّوَائِـبِ عِـيـصُـهُ[1] ... بَـدْرُ الـمَـفَـاخِـرِ أَكْـرَمُ الأَعْـيَـاصِ
مِـنْ عِـلْـيَـةِ الأَنْـصَـارِ مِـنْ صُـيَّـابَـةٍ[2] ... صُـبُـرٍ عَـلـى نَـصْـرِ الـنَّـبِـي حِـرَاصِ
مِـنْ آلِ سَـعْـدِ الـخَـزْرَجِ بْـنِ عُـبَـادَةٍ ... بْنِ دُلَيْمٍ[3] «المُوتَى[4]» لأَخْذِ قِصَاصِ
مِمَّـنْ نَـمَـى قَـيْـسُ بْـنُ سَـعْـدٍ ذُو الـنَّـدَى ... وَعَـلاَ مُـصَـاصٌ مُـنْـجِـبٌ لِـمُـصَـاصِ[5]
مِـنْ آلِ نَـصْـرٍ مِـنْ مُـلُـوكٍ قَـادَةٍ ... يَـحْـمُـونَ خَـيْـرَ مَـنَـازِلٍ وَعِـرَاصِ
الـقَـاتِـلِـيـنَ الـمَـحْـلَ بِـالـجُـودِ الَّـذِي ... أَزْرَى بِـصَـوْبِ الـوَابِـلِ الـعَـرَّاصِ[6]
وَهُـمُ الأُلَـىٰ أَفْـعَـالُـهُـمْ قَـدْ أَعْـرَبَـتْ ... عَـنْ خَـيْـرِ أَشْـيَـاخٍ لَـهُـمْ وَأَصَـاصِ[7]
لَـبِـسُـوا قَـمِـيـصَ الـبَـأْسِ أَحْـمَـرَ وَارْتَـدُوا ... بِـرِدَائِـهِ، وَالـخَـيْـلُ ذَاتُ قِـمَـاصِ[8]
وَالـرَّافِـعُـونَ الـنَّـارَ فَـوْقَ شَـوَاهِـقٍ ... نَـحْـرُ الـقِـلاَصِ بِـهَـا مُـنَـى الـقَـلاَّصِ[9]
وَالـمُـخْـمِـصُـونَ رَوَاحِـلَ الـمُـدَّاحِ فِـي ... عَـرْضِ الـفَـيَـافِـي أَحْـمَـدَ الإِخْـمَـاصِ[10]
نَـكَـصَ الـعِـدَى وَاسْـتَـنْـكَـصُـوا وَهُـمْ هُـمُ ... مَـا مِـنْـهُـمُ مَـنْ عِـيـبَ بِـاسْـتِـنْـكَـاصِ
وَتَـشَـاغَـلُـوا بِـالـخَـوْضِ فِـي بَـحْـرِ الـرَّدَى ... كَـتَـشَـاغُـلِ الـبَـحْـرِيِّ بِـالـكَـبَّـاصِ[11]

---

(1) العيص: الأصل.

(2) الصيابة: الخيار من كل شيء.

(3) دليم: هو الجد الأول لسعد بن عبادة (انظره في: تهذيب ابن عساكر 84/6، والإصابة (ضمن ترجمة سعد، رقم: 3167)، وصفوة الصفوة: 202/1 وطبقات ابن سعد: 142/3).

(4) رسم كلمة غير واضحة في الأصل.

(5) مصاص قومه: أخلصهم نسباً.

(6) العراص: السحاب ذو البرق والرعد.

(7) الأصاص: الأصول.

(8) قمصت الدابة: عَدَت في مرح ونشاط.

(9) القلاص: النوق، والقلاَّص: حالبها.

(10) الخمص: ضمور البطن من الجوع.

(11) الكبَّاص: لعله أراد الكباس، وهو آلة تستخدم للضغط في أمور شتى.

وَعَلَى مَعَانِي الفَضْلِ نَصُّوا وَالعُلاَ	فَالفَضْلُ كُلُّ الفَضْلِ لِلنَّصَّاصِ
وَحَدِيثُهُمْ قَصُّوا عَلَى كُلِّ امْرِئٍ	أَصْغَى، فَكَانُوا أَفْصَحَ القُصَّاصِ
وَهُمُ الأُلَى رَصُّوا مَبَانِي مَجْدِهِمْ	فَنَمَا وَدَامَ الفَضْلُ لِلرَّصَّاصِ
وَبِغِبْطَةٍ خَصُّوا الَّذِينَ قُلُوبُهُمْ	مُلِئَتْ بِمَحْضِ الحُبِّ لِلْخُصَّاصِ
وَالكُفْرُ قَدْ حَصُّوا قَوَادِمَهُ الَّتِي	طَالَتْ فَكَانَ الفَخْرُ لِلْحَصَّاصِ(1)
وَبِكُلِّ فَحْصِيٍّ هُمُ قَدْ أَفْصَحُوا	فَشُعُوبُ فَاحِصَةٌ عَنِ الإِفْحَاصِ(2)
وَالجَامِعُونَ مِنَ العُلاَ وَالمَجْدِ مَا	قَدْ كَانَ مُفْتَرِقاً مِنَ الأَشْقَاصِ(3)
وَسَلِيلُهُمْ هَذَا وَحَسْبُكَ مُنْزِلٌ	أَعْدَاءَهُمْ مِنْ مَانِعَاتِ صِيَاصِ(4)
وَمَصِيرُهُمْ صَرْعَى عَلَى عُفْرِ الثَّرَى	بِطِعَانِ لاَ نُكْسٍ وَلاَ نُكَّاصِ
وَلَقَدْ جَلاَ مِنْهُ عَرِينُ الحَرْبِ عَنْ	أَسَدٍ لآسَادِ الشَّرَى قَنَّاصِ
قَدْ حَاصَ عَنْهُ كُلُّ قِرْنٍ فِي الوَغَى	فَالمَوْتُ مِنْ قَصْدٍ لَهُ بِمَحَاصِ
أَسْمَى خَصِيصٍ لِلتَّكَرُّمِ وَالعُلاَ	كُلٌّ حَبَاهُ بِأَكْرَمِ الإِخْصَاصِ
وَالرُّومُ أَخْرَجَهُمْ مِنَ الدُّورِ الَّتِي	سَمَّوْا فَسَائِحَهَا العُلاَ بِبَصَاصِ(5)
وَحَلاَ لَنَا مِنْهُمْ بِكُلِّ مُبَوَّءٍ	بَيْتٌ يُسَمَّى عِنْدَهُمْ بِبَلاَصِ(6)
وَعدَتْ تَقُصُّ شُعُورَهُمْ بِيضُ الظُّبَا	حَتَّى رَمَتْ لَيْلَ الرَّدَى بِقَصَاصِ
يَشْكُو بِدَاءِ الطَّعْنِ مَنْ لاَقَى كَمَا	يَشْكُوا أَخُو ذَرٍّ بِدَاءِ قُعَاصِ(7)

(1) حص الشعر: حلقه، والشيء: أذهبه.
(2) الفحص: البحث، والفحاص: العداوة، ومنهما اشتق كلمات البيت وشعوب: المنية.
(3) الأشقاص: القطع.
(4) في الأصل: أعداؤهم. والصياصي: الحصون.
(5) بصاص: لعلها (Bastion) وهو البرج في الحصن. (القاموس الأسباني العربي ـ لكورينتي) وهو يناسب معنى الفسائح العلا أي: الأماكن العليا الواسعة.
(6) البلاص: القصر (Palacio) المصدر السابق.
(7) القُعَاص: داء في الصدر.

بِأَبِي عُبَيْدَةَ فِي الحُرُوبِ قَدْ اقْتَدَى   وَابْنِ الأَصِيلِ عَلَى أَبِي وَقَّاصِ[1]
وَحَكَى مُعَاوِيَةَ نَدًى وَدَهَاؤُهُ   كَدَهَاءِ عَمْرٍو ذَلِكَ ابْنِ العَاصِ[2]
وَأَمَاتَ بِالإِقْعَادِ لِلأَرْضِ العِدَى   وَأَفَادَهُمْ بِالحَرْبِ بِالإِقْعَاصِ[3]
وَأَدَاخَ أَرْضَهُمُ بِكُلِّ كَتِيبَةٍ   بِالضَّرْبِ وَالطَّعْنِ الدِّرَاكِ تُوَاصِي
وَبِزَحْفِهَا الأَنْهَارُ مَا مِنْ مَصَّةٍ   فِيهَا تُبَرِّدُ غُلَّةَ المَصَّاصِ
لَمْ يُبْقِ تِيناً لاَ وَلاَ عِنَباً بِهَا   كَلاً وَلاَ شَيْئاً مِنَ الإِجَّاصِ
وَأَصَارَهَا قَاعاً، لَعَمْرِي، صَفْصَفاً   لِمُرِيدِ سُقْيَاهَا السَّحَابُ عَوَاصِ
وَخَلَتْ مِنَ الرَّاعِي وَمِنْ ثَاغٍ بِهَا   فَالأُسْدُ لَمْ تَنْهَضْ إِلَى اسْتِفْرَاصِ
وَمِيَاهُهَا جَفَّتْ وَغَوْراً أَصْبَحَتْ   فَالمَوْتُ فِيهَا عَادِمٌ لِمَغَاصِ
والظِّلُّ ظِلُّ العَيْشِ أَقْلَصَ (عَنْ بَنِي   يعضو وَلَكِنْ أَسْرَعَ) الإِقْلاَصِ[4]
وَأَتَى النَّصَارَى الغُلْفُ فِي جَيْشٍ غَدَا   يَسْطُو بِأَهْلِ مَآثِمٍ [وَمَعَاصِي][5]
جَيْشٌ خَصَاصُ السُّحْبِ سُدَّ بِنَقْعِهِ   فَالسُّحْبُ مَاثِلَةٌ بِغَيْرِ خَصَاصِ[6]
وَلَقَدْ قَضَى فِي بَيْعِ آجَالِ العِدَى   لِلْمُشْتَرِينَ بِرُخْصَةِ اسْتِرْخَاصِ

(1) أبو عبيدة عامر بن عبد الله الجراح، تولى إمارة جيوش المسلمين في الشام. (العبر: 397/2، 492).

أما أبو وقاص فهو: سعد بن أبي وقاص القرشي فاتح العراق ومدائن كسرى. (الاصابة: 3187، تاريخ الخميس: 499/1، التهذيب: 483/3، وأعلام الزركلي).

(2) معاوية: هو ابن أبي سفيان: أول خلفاء بني أمية وأحد كتاب الوحي. وعمرو بن العاص: الصحابي المعروف بدهائه وأحد القادة الفاتحين في الشام ومصر وأفريقية، تولى إمارة مصر وله مواقف مشهورة قبل إسلامه وبعده.

(3) الإقعاص: الطعن بالرمح.

(4) أقلص الظل: انقبض، وما بين القوسين رسم كلمات لم يتبين وجهها.

(5) في الأصل: مقاص.

(6) خصاص السحاب: جمع خصاصه، وهي ما يكون فيه من خلل وخرق.

أَخَذَ الرِّدَا بِعِقَاصِهِمْ وَأَرَى الرَّدَى   لَمْ يَرْضَ أَخْذَهُمُ بِغَيْرِ عِقَاصِ[1]
وَلَرُبَّ قَوْمٍ مِنْهُمُ خَافُوا العِدَى   فَأَتَوْهُ بَعْدَ تَنَاصُبٍ وَتَنَاصِي[2]
حَقَنُوا دِمَاءَهُمُ بِأَمْرٍ عَاجِلٍ   حَقْنَ البُحَيْرَةِ مَاءَهَا بِعِفَاصِ
وَلَهُ الكَمَالُ قَدِ اسْتُخِصَّ وَإِنَّمَا   سَرَّ الغَمَامُ الرَّوْضَ بِاسْتِخْصَاصِ
وَكَمِ اسْتَقَصَّ لِكُلِّ مَظْلُومٍ أَتَى   مِنْ ظَالِمِيهِ أَعْظَمَ اسْتِقْصَاصِ
يَعْنُو لَهُ فِي غَرْبِهِ مَنْ كَانَ مِنْ   صِنْهَاجَةٍ[3] وَيَذِلُّ كُلُّ مَجَاصِ
وَيَخَافُهُ فِي شَرْقِهِ الكَعْبِيُّ والـ   قَرْفِيُّ وَالتَّوْبِيُّ وَالدِّلْهَاصِ
وَتَخَافُهُ أَيْضاً رِيَاحٌ كُلُّهَا   رَهْطُ الَّذِي يُكْنَى أَبَا عَصَّاصِ[4]
وَلَهُ بِذَاكَ القُطْرِ حَيْثُ [ظَمَا][5] الرَّدَى   خَضَعَ الفَوَارِسُ جِيرَةُ الغَمَّاصِ
لِلْجود والنعمى تَدَانٍ إِنْ دَنَا   إِيهِ وَلِلْبُخْلِ المُلِيمِ تَقَاصِ
وَلِجَ المَسَامِعَ مَدْحُهُ الأَهْدَى كَمَا   وَلِجَ الكِتَابُ كِنَانَةً[6] الرَّقَّاصِ
مَا أَمَّلَ القَوْمُ العُتَاةُ[7] خَلاَصَهُمْ   إِلاَّ وَعَاجَلَهُمْ بِغَيْرِ خَلاَصِ
وَلَّى وأَدْبَرَ عَنْ حِمَاهُ عَدُوُّهُ   وَالحَرْبُ تَدْعُوهُ إِلَى [اسْتِقْصَاصِ][8]

---

(1) العقاص: خيط تشد به أطراف الذوائب والخصلات من الشعر.

(2) التناصب: التقاسم، وناصبه العداء: أظهره، وتناصى القوم: أخذ بعضهم بنواصي بعض في الخصومة.

(3) يعنو: يخضع. وصنهاجة: أكبر القبائل الأمازيغية، فصّل ابن خلدون الأمر في نسبهاوملوكها. (العبر: 179/6 وما بعدها).

(4) رياح: قال ابن خلدون في العبر: 38/6: «كان هذا القبيل من أعز قبائل هلال وأكثرهم جمعاً». وانظر: «أثر القبائل العربية في الحياة المغربية» (صفحات متفرقة).

(5) ظما، بلا همز: ذبول الشفة من العطش. (اللسان: ظما).
وظما الردى، يعني تعطشه لإراقة الدماء. ووردت الكلمة في الأصل: (ضما) ولا معنى لها.

(6) الكنانة: جعبة صغيرة من أدم.

(7) في الأصل: العنات، وهو من أخطاء النص. والمراد: العناة: الأسرى.

(8) في الأصل؛ استنقاص. ولا معنى لطلب النقص في السياق.

فَــكَــأَنَّــهُ الــشَّــيْــطَــانُ، مَــدَّ مُــؤَذِّنٌ … صَـوْتـاً فَـأَدْبَـرَ مُـسْـمِـعـاً لِـحَـصَـاصِ[1]
وَإِذَا تَــزِيــدُ عُــدَاتُــهُ فِــي عَــدِّهَــا … لَـمْ تُـعْـتَـبَـرْ كَـالـحُـكْـمِ فِـي الأَوْقَـاصِ[2]
لَــكِــنَّــهُــمْ أَسْــرَى بِــلاَدِهِــمْ إِلَــى … أَنْ يَـخْـرُجُـوا كَـالـطَّـيْـرِ فِـي الأَقْـفَـاصِ
وَبِــرُغْــيِــهِ قَــدْ قَــيَّــدَ الأَسْــرَى فَــلَــمْ … تَــحْــتَــجْ لِـمَـنْ سَـمَّـوْهُ بِـالـقَـلاَّصِ
يَـا صَـاحِ لُـذْ بِـجَـنَـابِـهِ تُـعْـطَـى الـمُـنَـى … وَالـعَـاذِلاَتُ عَـلَـى الـتَّـغَـرُّبِ عَـاصِ
وَإِذَا مَـثَـلْـتَ فَـبَـابُـهُ قِـبَـلُ الـعُـلاَ … وَجَـمِـيـعُ أَمْـلاَكِ الـبَـسِـيـطَـةِ خَـاصِ[3]
وَأُطِـيـعَ أَيَّ إِطَـاعَـةٍ كَـالـشَّـمْـعِ لِـلْـ … ـمُـجْـرِي لَـهُ وَالـجِـصُّ لِـلْـجَـصَّـاصِ
وَأَطَـاعَـهُ[4] الـشِّـعْـرُ الَّـذِي أَرْبَـى عَـلَـى … مُـعْـتَـادِهِ فِـي الـطُّـولِ لِـلْـقَـصَّـاصِ
(حَـامِـي) الـحَـقِـيـقَـةِ لِـلْـكُـمَـاةِ مُـغَـافِـصٌ … بِـضِـرَابِـهِ والـطَّـعْـنِ أَيَّ غِـفَـاصِ[5]
مَـاضٍ كَـسَـيْـفٍ، أَخْـلَـصَـتْـهُ قُـيُـونُـهُ[6] … لِـلْـحَـامِـدِيـنَ مَـعِـيَّـةَ الإِخْـلاَصِ
حَـسَـدَتْـهُ أَنْـجُـمُ أُفْـقِـهِ فَـكَـأَنَّـمَـا … بَـطْـنُ الـبَـطِـيـنِ أُصِـيـبَ بِـالإِمْـغَـاصِ
عَـنْ كُـلِّ عِـلْـمٍ لَـمْ يَـزَلْ مُـسْـتَـفْـحِـصـاً … وَالـجِـدُّ جِـدٌّ أَحْـسَـنَ اسْـتِـفْـحَـاصِ
وَلَـدَيْـهِ فِـي الـمَـعْـقُـولِ خَـيْـرُ إِمَـامَـةٍ … كَـالـشَّـيْـخِ نَـجْـمِ الـدِّيـنِ ذَاكَ الـخَـاصِ
وَشَـأَى[7] الـحَـرِيـرِيَّ الَّـذِي بِـبَـيَـانِـهِ … أَغْــرَى وَجَــاءَ بِــدُرَّةِ الــغَــوَّاصِ
وَهْـوَ الـجَـوَادُ عَـلَـى الـغِـنَـى مُـسْـتَـحْـرِصٌ … لِـلْـقَـاصِـدِيـهِ أَيَّـمَـا اسْـتِـحْـرَاصِ

(1) في البيت إشارة إلى قول الرسول (ص): «إن الشيطان إذا سمع الأذان ولى وله حصاص».

(2) الأوقاص: هو ما بين النصابين في الزكاة، كأن تبلغ الإبل خمساً ففيها شاة، ولا عبرة بما زاد عن الخمسة إلى العشرة في الحكم فهو وقص لا يزيد المزكي فيه عن الشاة.

(3) خاص: قليل العطاء، وتقول العرب: فلان يخوص العطية أي يقللها (اللسان: خيص).

(4) في الأصل: وأطيعت.

(5) حامي: في الأصل كلمة على صورة (حابني). والغفاص: المفاجأة. والكمأة: الشجعان.

(6) القيون: جمع قين وهو الحداد.

(7) شأي: سبق.

وَلَــهُ اسْــتَــرَصَّ الــدِّيــنُ مَــبْــنَــاهُ الَّــذِي مَــا زَالَ يَــعْــلُــو بَــعْــدُ بِــاسْــتِــرْصَــاصِ
وَلَــقَــدْ رَوَى الــرُّهْــبَــانُ عَــنْــهُ لِــلْــوَرَى قِــصَــصــاً كَــمَــا يَــرْوُونَ عَــنْ مِــقْــلاَصِ[1]
مَــنْ ظَــلَّ يَــخْــدِمُ غَــيْــرَهُ مِــنْ بَــعْــدِهِ حَــاكَــى مُــعَــاوِضَ فِــضَّــةٍ بِــرَصَــاصِ
مَــا إِنْ تَــقَــلَّــصَ ظِــلُّ نُــعْــمَــى كُــلِّ مَــنْ وَافَــى إِلَــيْــهِ مُــنْــصِــفــاً لِــقِــلاَصِــي[2]
ذَاكَ ابْــنُ يُــوسُــفَ ذُو الــفَــخَــارِ مُــحَــمَّــدٌ ذُو الشَّخْصِ يَفْضُلُ سَائِرَ الأَشْخَاصِ
مَــا زَالَ يُــجْــزِلُ فِــي الــنَّــوَالِ وَأَنْــعُــمــاً لاَ عَــنْ سُــؤَالٍ مُــوجِــبِ اسْــتِــخْــلاَصِ
فَــكَــأَنَّــنِــي وَفَّــيْــتُ حَــقَّ تَــوَكُّــلٍ فَــرُزِقْــتُ رِزْقــاً جَــلَّ عَــنْ إِعْــوَاصِ[3]
كَــالــطَّــيْــرِ إِذْ تَــغْــدُو خِــمَــاصــاً ثُــمَّ مِــنْ بَــعْــدِ الــغُــدُوِّ تَــرُوحُ غَــيْــرَ خِــمَــاصِ[4]
وَلِــمَــدْحِــهِ الــتَّــيْــسِــيــرُ دَامَ فَــلَــمْ يَــكُــنْ مَــعْــنَــاهُ لِــلأَفْــهَــامِ بِــالْــمُــعْــتَــاصِ
وَبِــهِ سَــمَــا مُــهْــدِيــهِ فِــي غَــرْنَــاطَــةٍ فَــكَــأَنَّــهُ فِــي سَــبْــتَــةٍ ابْــنُ خَــلاَصِ
مَــا زَالَ يَــبْــلُــغُ مِــنْ مُــنَــاهُ أَقَــاصِــيــاً تَــقْــضِــي حُــقُــوقَ الــمَــجْــدِ بَــعْــدَ أَقَــاصِ

(1) يروون: في الأصل: يروين.
وقد كتب الظاء ضاد في كلمة «ظل» في هذا البيت وتاليه.
(2) القلاص: جمع قلوص وهي الفَتِيَّةُ من الإبل.
(3) الإعواص: الصعوبة.
(4) أخذه من الحديث النبوي الشريف: «.. كالطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً». قال ابن منظور: «أي تغدو بكرة وهي جياع، وتروح عشاء وهي ممتلئة الأجواف». (اللسان: مادة خمص).

الضاد

96

«وقال أيضاً[*]: [طويل]

بَدَا عَارِضُ المَحْبُوبِ فَاحْمَرَّ خَجْلَةً وَأَهْدَى لَهُ وَرْداً بِهِ الحُسْنُ نَاهِضُ
وَقُلْتُ لَهُ: لاَ تُنْكِرِ الوَرْدَ نَاضِراً فَقَدْ سَالَ فِي خَدَّيْكَ مِنْ قَبْلُ عَارِضُ

97

«وقال أيضاً[**]: [طويل]

حَظِيتَ بِعِزِّ المُلْكِ وَالشَّرَفِ المَحْضِ وَمَكَّنَ تَمْكِيناً لَكَ اللَّهُ فِي الأَرْضِ[1]
وَفَضَّلَكَ الرَّحْمَنُ بِالعِلْمِ وَالتُّقَى فَقُمْتَ بِمَا يُرْضِيهِ فِي النَّفْلِ والفَرْضِ
وَأَصْبَحْتَ فِي الأَمْلاَكِ أَمْجَدَ أَوْحَداً[2] تَحُضُّ عَلَى دِينِ النَّدَى أَيَّمَا حَضٍّ
نَمَاكَ إِلَى العَلْيَاءِ كُلُّ خَلِيفَةٍ بِأَمْرِ إِلَهِ العَرْشِ فِي خَلْقِهِ يَقْضِي[3]
فَيَا[4] لَكَ مِنْ ذُرِّيَّةٍ ظَلَّ بَعْضُهَا كَمَا شَاءَهُ المَجْدُ المُؤَثَّلُ مِنْ بَعْضِ
عَدُوُّكَ أَضْحَى بِالرِّمَاحِ مُجَدَّلاً وَذَاقَ مِنَ الإِذْلاَلِ مَضًّا عَلَى مَضٍّ
وَقَدْ كَانَ يَشْقَى بِالنَّدَامَةِ قَبْلَهَا فَمَهْمَا خَلاَ أَدْمَى الأَنَامِلَ بِالعَضِّ

(*) الكتيبة: 269، ومسالك الأبصار: 514/17، والنفح: 114/7. وفي البيت الثاني تورية بين معنى العارض: السحاب. وجانب الوجه.

(**) مزاين القصر: 23. وأورد ابن الخطيب هذه القصيدة في النفاضة: 131/3، ومنها بيتان في: مختارات ابن عزيم: 28.

(1) النفاضة: (ومكنك الرّب المهيمن في الأرض).

(2) النفاضة: «واحد»، وجاء في التعليق رقم: (96): «واحداً سهو من الناسخ».

(3) النفاضة: «تصدم أو تقضي».

(4) النفاضة: ويا لك.

سَعَى فِي افْتِرَاقِ الشَّمْلِ ظُلْماً فَرَأْسُهُ ... مَعَ الجِسْمِ فِي أَيِّ افْتِرَاقٍ وَفِي نَقْضِ[1]
هَنِيئاً[2] فَهَذَا العَصْرُ نَحْوَكَ قَدْ أَتَى ... بِسَعْدٍ لأَبْكَارِ البَشَائِرِ مُفْتَضٌّ[3]
وَمَلْكٌ كَرِيمٌ طَاهِرٌ وَمُطَهَّرٌ ... لَهُ الصَّوْنُ كُلُّ الصَّوْنِ حَسْبُكَ لِلعِرْضِ[4]
قَدِمْتَ عَلَيْنَا بِالجُيُوشِ وَإِنَّمَا ... قَدِمْتَ بِأُسْدٍ سُرَّعِ الوَثْبِ وَالرَّمْضِ[5]
عَلَى كُلِّ طِرْفٍ سَابِغِ الذَّيْلِ سَابِقٍ ... يَكَادُ يُذِيبُ اللُّجْمَ بِاللَّوْكِ وَالرَّضِّ
جِيَادٌ تَمَلُّ العَيْنُ مِنْ طُولِ شَأْوِهَا ... وَلَكِنَّهَا مَا إِنْ تَمَلُّ مِنَ الرَّكْضِ
شَهِدْتُ لَقَدْ أَطْلَعْتَ غُرَّ كَتَائِبٍ ... إِذَا عَرَضَتْ أَذْكَرْنَنَا[6] مَوْقِفَ العَرْضِ
تُرِي النَّقْعَ سُحْباً أُثْقِلَتْ بِدَمِ العِدَى ... فَبَرْقُ الظُّبَا مَا بَيْنَهَا صَادِقُ الوَمْضِ
إِذَا خَفَقَتْ أَعْلاَمُهَا فَرِمَاحُهَا ... كَأُنْمُلِ آسٍ فِي الحُنُوِّ عَلَى نَبْضِ[7]
حَمَيْتَ حِمَى الإِسْلاَمِ فَاللَّهُ رَبُّنَا ... يُضَاعِفُ مَا قَدَّمْتَ مِنْ حَسَنِ[8] القَرْضِ
إِذَا مَا دَنَا مِنْ أُفْقِ مُلْكِكَ[9] مَارِدٌ ... رَمَاهُ بِنَجْمٍ مِنْ سِنَانِكَ مُنْقَضٍّ
لَكَ اللَّهُ مِنْ مَوْلًى لِسَيْفِكَ مُنْتَضٍ ... وَلِلطَّرْفِ فِي يَوْمِ الوَغَى أَبَداً مُنْضٍ
يَنَامُ الرَّعَايَا تَحْتَ ظِلِّ أَمَانِهِ ... وَأَجْفَانُهُ لَمْ تَكْتَحِلْ سِنَةَ الغَمْضِ

(1) البيت غير وارد في النفاضة.
(2) النفاضة:
يَمِيناً لِهَذَا العَصرِ نَحوَكَ قَدْ أَتَى ... بِنَصرٍ لإِبْكَارِ البَشَائِرِ مُفْتَضٌّ
(3) في الأصل: مقتض.
(4) النفاضة: «نقي ثياب المجد مستصون العرض».
(5) الرمض: الوثب، ارتمضت به الفرس، أي: وثبت به. (اللسان: رمض) وفي النفاضة: «الربض».
(6) في الأصل: أذكرتنا، والتصويب عن النفاضة.
(7) النفاضة: النبض.
(8) النفاضة: أحسن.
(9) في الأصل: ملك، وهو تصحيف، وفي النفاضة: ملكك.

هُـمَـامٌ إِذَا مَـا هَـمَّ أَمْـضَـى عَـزِيـمَـةً ... هِيَ السَّيْفُ بَلْ بِالسَّيْفِ تُزْرِي إِذَا تَمْضِي
تُـثِـيـرُ أَجَـمَّ[1] الـنَّـقْـعِ كُـحْـلاً جِـيَـادُهُ ... إِذَا الشُّهْبُ فِي الآفَاقِ كَالأَعْيُنِ الْمُرْضِ
نَـهُـوضٌ إِلَـى الأَعْـدَاءِ لاَ نَـعْـلُ بَـأْسِـهِ ... تَزِلُّ وَلاَ مَمْشَاهُ لِلْحَرْبِ ذُو دَحْضِ[2]
يُـمِـيـطُ[3] عَـجاجَ الـخَـيْـلِ أَسْوَدَ حَـالِـكـاً ... فَيَكْشِفُ عَنْ وَجْهٍ مِنَ النَّصْرِ مُبْيَضِّ
مُـحَـمَّـدٌ الـمَـحْـبُـوُّ مِـنْ يُـوسُـف الـرِّضَـى ... فَأَيُّ رِضَى بِالسَّعْدِ أَحْكَامُهُ تَقْضِي[4]
أَخُـو الـرُّشْـد سُـنِّـيٌّ[5] وَلَـكِـنْ [حُـسَـامُـهُ][6] ... يَدِينُ مَعَ الآجَالِ فِي الحَرْبِ بِالرَّفْضِ
وَطَـبَّـقَ آفَـاقَ الـبَـسِـيـطَـةِ مَـدْحُـهُ ... فَسَارَ مَسِيرَ الشَّمْسِ فِي الطُّولِ وَالعَرْضِ
كَـرِيـمٌ عَـلَـى الـتَّـعْـذَالِ لِـلْـمَـالِ مُـسْـخِـطٌ ... وَلَـكِـنَّـهُ سُـخْـطٌ لِـكُـلِّ الـوَرَى مُـرْضِ
إِذَا مَـا شَـكَـا قَـبْـضـاً أَخُـو الـفَـقْـرِ عِـنْـدَهُ ... ثَـنَـاهُ وَلاَ قَـبْـضُ (لِـلأَمْـوَالِ ذَا)[7] قَـبْـضِ
وَأَفْـعَـالُـهُ تَـخْـتَـصُّ بِـالـخَـفْـضِ وَالـغِـنَـى ... فَأَعْجَبُ لِلأَفْعَالِ تَخْتَصُّ بِالخَفْضِ[8]
دَرِيءٌ بِـكَـسْـبِ الـمَـدْحِ يُـغْـنِـي نَـظِـيـمَـهُ ... بِـمَـالٍ شَـتِـيـتٍ بِـالـنَّـدَى أَيَّ مُـنْـقَـضِّ[9]
إِذَا مَـا حَـدَا الـرُّكْـبَـانُ فِـي الـسَّـيْـرِ بِـاسْـمِـهِ ... طَـوَتْ عِيسُهُـمْ مَا لِلفَلاَةِ مِنَ العَـرْضِ

---

(1) النفاضة: أحم.
(2) النفاضة: بالدحض. وفي الأصل: «ذا الدحض» كأنه أعمل «لا» عمل ليس، وجعل «ذا» خبراً لها، ولكن من شروط عملها أن يكون اسمها وخبرها نكرتين، وأن يتقدم اسمها على خبرها.
(3) يميط: ينحي ويبعد. وفي الأصل: يميظ، والنفاضة: يميض، ولا وجه لكليهما.
(4) النفاضة:
محمد المحبوب بن يوسف الرضى ... بأي رضى بالسعد أحكامه تقضي
ورواية مختارات ابن عزيز: 28 توافق رواية المزاين.
(5) النفاضة: للعليا.
(6) الأصل: حمامه، والتصويب من مختارات ابن عزيم، والنفاضة.
(7) كذا في الأصل. وفي النفاضة: «وللمال ذا قبض» وفي كليهما نظر وضعف.
(8) كذا في الروايتين، ووجه الصواب فيهما بيّن، ولكن الرواية يمكن أن تكون على صورة أخرى إذا اعتبرنا «فأعْجِبْ» فعجب، فيصبح الشطر: «فَاعْجِبْ لإِفْعَالِ وَتَخْتَصُّ بالرَّفْضِ».
(9) النفاضة: أي منفض.

وَلاَ عَـيْـبَ فِـي عَـلْـيَـائِـهِ غَـيْـرَ أَنَّـهَـا أَرَتْ مَـا لَـهُ طُـولَ الـعَـدَاوَةِ وَالـبُـغْـضِ[1]
أَمَـوْلاَيَ جَـاءَ الـعِـيـدُ وَهْـوَ مُـذَكِّـرٌ لأَحْـوَالِـهِ، يَـا خَـيْـرَ مَـنْ عِـيـدُهُ يُـرْضِـي[2]
بَـقِـيـتَ عَـزِيـزَ الـمُـلْـكِ مَـا هَـبَّـتِ الـصَّـبَـا وَمَالَتْ قُدُودُ القُضْبِ فِي رَوْضِهَا الغَضِّ

98

وقال مجاوباً الرئيسَ الكَاتِبَ أَبَا عبدِ اللَّه العزفي(*): [طويل]

أَلاَ احْـتَـسِـبُـوا مَـا قَـدْ أَعَـرْتُـمْ لِـفِـتْـيَـةٍ تَـكَـرُّمُـكُـمْ بِـالـصَّـفْـحِ عَـنْ فِـعْـلِـهِـمْ قَـاضِـي
وَلاَ تَـطْـمَـعُـوا فِـي الـرَّدِّ فَـالـنَّـاسُ كُـلُّـهُـمْ رَأَوْا أَنَّ مَـوْلاَنَـا لَـهُ الـقَـلَـمُ الـمَـاضِـي

99

«وقوله(**): [طويل]

وَبِـي عَـرَبِـيُّ الـنُّـطْـقِ مَـا زَالَ هَـاجِـرِي عَلَى فَرْطِ حُبِّي وَالخُلوصِ الَّذِي يُرْضِي
طَـلَـبْـتُ لَـدَى أَفْـعَـالِـهِ خَـفْـضَ عِـيـشَـتِـي فَقَالَ أَفِي الأَفْعَالِ وَيْحُكَ مَنْ خَفْضِ

---

(1) النفاضة: «ترى مالها طول العداوة والبغض».
(2) البيت غير موجود في الأصل، وثابت في النفاضة: 132/3.
(*) النفح: 117/7 وفيه أن البيتين كانا إجابة على بيت لأبي عبد الله العزفي قال فيه:
يَـا عُـصْـبَـةُ كُـلُّ فَـتَـى مِـنْـهُـمْ عَـلَـمْ فَـرَغْـتُـمُ مِـنْ كَـتْـبِـكُـمْ رُدُّوا الـقَـلَـمْ
(**) مسالك الأبصار: 215/17.

100

وقال أيضاً(*): [خفيف]

الـبَـرْقِ بَـدَا بِـأَكْـنَـافِ سَـلْـعِ بِـتُّ أَسْقِـي الـحِمَـى بِـمُـنْـهَـلِّ دَمْـعِ
مُـغْـذِبـاً بِـالسَّـقَـامِ فِـيـهِ نَـسِـيـمـاً شَـغَـلَ الـوُرْقَ عَـنْ مُـوَاصَـلِ سَـجْـعِ[1]
قَـادِحـاً زَنْـدَ لَـوْعَـةٍ وَغَـرَامِ خَـلَّـفَـا مَـوْقِـداً لأَكْـرَمِ رَبْـعِ
وَبِـنَـفْـسِـي بِـذِي الأَرَاكِ خِـيَـامٌ فِـي رِضَـاهَـا بَـذَلْـتُ غَـايَـةَ وُسْـعِـي[2]
وَرَجَـعْـتُ الـحَـدِيـثَ عَـنْ سَـاكِـنِـيـهَـا جِـيـرَةِ الـمُـسْـعِـدِيِّ لَـيْـلَـةَ جَـمْـعِ
فَـكَـأَنَّ الـنَّـفِـيـسَ مِـنْ دُرِّ دَمْـعِـي ظَـلَّ يُـهْـدَى مِـنْ عِـنْـدِ عَـيْـنِـي لِـسَـمْـعِـي[3]
لَـيْـتَ شِـعْـرِي أَعَـائِـدٌ لِـي زَمَـانٌ جَـاءَ مِـنْ حُـسْـنِـهِ وَوَجْـدِي بِـبِـدْعِ
وَهَـلِ الأَثْـلُ كَـاشِـفٌ عَـنْ ظِـبَـاءِ بِـانْـكِـسَـارِ الـجُـفُـونِ يُـجْـبِـرْنَ صَـدْعِـي
يَـا خَـلِـيـلَـيَّ غَـنِّـيَـانِـي بِـسُـعْـدَى وَدِيَـارٍ بِـبُـعْـدِهَـا ضَـاقَ[4] ذَرْعِـي
وَانْـشُـدَا فِـي خِـيَـامِـهَـا لِـيَ قَـلْـبـاً فُـجِـعَ الـجِـسْـمُ بَـعْـدَهُ أَيَّ فَـجْـعِ
وَاذْكُـرَا لِـلـنِّـيَـاقِ وَادِيَ نَـجْـدٍ تَـشْـغَـلاَهَـا بِـالـرَّبْـعِ عَـنْ ظَـمْـيِ رَبْـعِ[5]

(*) المزاين: 23.

(1) الأصل: شجع وهو تصحيف، فليس للوُرق ـ فيما أعلم ـ سوى السجع والشجن.

(2) الأصل: وسع.

(3) الأصل: النفس ـ لسمع وهو تصحيف.

(4) الأصل: ذاق.

(5) الظمء: ما بين الشربين، والربع: الدار، والربع: من أضماء الإبل، وهو أن ترد الماء يوماً وتمتنع يومين ثم ترد اليوم الرابع. (وسيط: ربع).

وَإِذَا هَـبَّـتِ الـصَّـبَـا فَـاسْـأَلاَهَـا عَـنْ غَـرِيـبٍ[1] بِـالـجَـزْعِ أَكْـرَم جَـزْعِ
وَدَعَـانِـي إِثْـرَ الـحَـمُـولِ[2] لِـمَـا بِـي واسْلَمَا مِنْ عَـذِيـرِ[3] طَـبْـعِ كَـطَـبْـعِي
وَإِذَا مَـا أَرَدْتُـمَـا لِـيَ نَـفْـعـاً فَـابْـنُ نَـصْـرٍ بِـجُـودِهِ دَامَ نَـفْـعِـي
مَـلِـكٌ [فِـي][4] الـمُـلُـوكِ حَـازَ مَـزَايَـا وَاعْـتِـلاَءَ لِـطِـيـبِ أَصْـلٍ وَفَـرْعِ
صَـادِقُ الـعَـزْمِ رَادِعٌ لِـعِـدَاهُ بِـرِمَـاحٍ يَـهُـزُّهَـا أَيَّ رَدْعِ
مُـخْـفِـرٌ بِـالـسُّـيُـوفِ فَـوْقَ الأَعَـادِي ذِمَـمـاً شَـدَّ عَـقْـدُهَـا كُـلَّ دِرْعِ
جَـادِعٌ أَنْـفَ كُـلِّ [قِـرْنٍ][5] مُـعَـادِ بِـالـطِّـعَـانِ الـدِّرَاكِ أَعْـظَـمَ جَـدْعِ
قَـامِـعُ الـرُّومِ بِـالـطِّـعَـانِ الـمُـوَلَّـى[6] تَـحْـتَ نَـقْـعِ الـحُـمُـولِ أَدْوَمَ قَـمْـعِ
مِـنْ بَـنِـي الـخَـزْرَجِ[7] الَّـذِيـنَ عُـلاَهُـمْ قَـدْ أَتَـى لِـلْـوَرَى بِـوَتْـرٍ وَشَـفْـعِ
أَهْـلُ هَـذَا مِـنَ الـصَّـحَـابَـةِ كُـلٌّ مُـثِّـلُـوا لِـلْـوَرَى كَـمِـشْـطَـيْ[8] زَرْعِ
نَـاصِـرُو[9] الـمُـصْـطَـفَـى أَعَـزِّ رَسُـولٍ خَـصَّـهُ الـلَّـهُ مِـنْ مَـثَـانٍ بِـسَـبْـعِ[10]

---

(1) الأصل: «عرب» ولا يستقيم بذلك الوزن.
(2) الأصل: الحمولي.
(3) الأصل: عذر، ولا يستقيم به الوزن، والعذير: النصير.
(4) يقصد الغني بالله.
(5) زيادة يقتضيها الوزن.
(6) لا وجود لها في الأصل، ويقتضيها الوزن والمعنى.
(7) نسبة بني نصر إلى الخزرج وقد تقدم ذكرها.
(8) مشط الزرع: خشبة عريضة يغطي بها الحب بعد نثرة في الأرض. قال في اللسان: «هي سبجة فيها أفنان، وفي وسطها هراوة يقبض عليها، وتسوى بها القصاب، ويغطي بها الحب...» (اللسان، والوسيط: مشط).
(9) في الأصل: ناصر.
(10) السبع المثاني: إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم﴾ (الحج: 87). وقد فسرت السبع المثاني بآيات الفاتحة لتثنيتها وتكرارها في الصلاة. والله أعلم بمراده.

أَسْعَدُ[1] وَالأَمِيرُ قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ أَبْهَجَتْ أَنْجَمَ السُّعُودِ[2] بِلَمْعِ
وَبِعَلْيَا مُحَمَّدٍ مِنْ بَنِيهِمْ طَلَعَتْ نَخْلَةُ الفَخَارِ بِطَلْعِ
خَيْرُ مَنْ سَارَ لِلْجِهَادِ وَحَلَّى بِرَمِيضِ السُّيُوفِ طَلْعَةَ نَقْعِ
مُورِدٌ مِنْ مَشَارِعِ الجُودِ عَذْبٌ[3] نَاصِرُ الدِّينِ مُظْهِرٌ حُكْمَ شَرْعِ
صَادِعٌ مَجْدَهُ بِعِزٍّ مَقَالٍ (فَارِعُ الحَمْدِ)[4] ثَابِتٌ أَيَّ فَرْعِ
دَامَ فِي المُلْكِ مَا بَدَتْ ذَاتُ صَدْعٍ[5] [وَهَمَتْ مِنْ عَلْيَائِهَا][6] ذَاتُ رَجْعِ

101

وكتب إلى ابن رضوان موريا(*): [طويل]

هَنِيئاً لَكَ البُشْرَى بِهِنَّ فَدُمْ كَمَا تُرِيدُ بِنُعْمَى لِلسَّعَادَةِ جَامِعَهْ
وَإِنْ كُنْتَ مِنْ أَهْلِ الصَّلاَحِ فَلاَ تَكُنْ بِمَائِلِ قَلْبٍ مِنْكَ عَنْ حُبِّ رَابِعَهْ

102

وقال موريا بالقائد نافع على ما اختاره البخاري وجماعة أن أصح الأسانيد: مالك عن نافع(**): [كامل]

---

(1) رسم كلمة غير واضحة في الأصل.

(2) السعود: سعود النجوم: مجموعة من الكواكب منها سعد السعود.

(3) في الأصل: عذباً.

(4) الأصل: «فرع محمد»، ولا يستقيم وزنه ولا معناه.

(5) ذات الصدع: يعني الأرض، والصدع: الشق في الشيء الصلب.

(6) الأصل: وهما من فوقها، ولا يستقيم به الوزن، والرجع: المطر بعد المطر، وذات الرجع: السماء، إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذاتُ الرَّجعِ﴾ [الطارق: 11، 12].

(*) النفح: 118/7. وابن رضوان هو الأديب الكاتب أبو القاسم عبد الله بن رضوان. (ترجمته في الكتيبة: 254، والتعريف بابن خلدون، 41 ونيل الابتهاج: 221). وكان ابن الحاج قد كتب بيتيه رداً على خطاب من ابن رضوان تمثل فيه بقول القائل:

«مَلَكَ الثَّلاَثُ الآنِسَاتُ عِنَانِي»

(**) النفح: 115/7.

يَـا مَـالِـكـاً رِقِّـي بِـحُـسْـنِ صَـنَـائِـعِ   عَــنْ نَــافِــعٍ أَسْــنِــدْ حَـدِيـثَ أَحِـبَّـتِـي
عِــنْــدِي رِوَايَــةُ مَــالِــكٍ عَــنْ نَــافِــعِ   فَـــأَجَــلُّ إِسْـــنَـــادٍ وَخَـــيْـــرُ رِوَايَـــةٍ

الغين

103

«وقال أيضاً(*): [طويل]

لِمَنْ حِلَلٌ تِلْقَاءَ عَيْنِ أَبَاغِ[1] ... صَوَاهِلُهَا تَصْبُو لَهُنَّ رَوَاغِ
وَأَغْزِلَةٌ يَوْمَ التَّرَحُّلِ حُكِّمَتْ ... لَوَاحِظُهَا فِي صِحَّتِي وَفَرَاغِي
وَعِيسٌ كَأَمْثَالِ القِسِيِّ رَمَيْنَنِي ... بِأَسْهُمِ بَيْنٍ لاَتَ حِينَ مَرَاغِ[2]
مَتَى حَمَلَتْ حُمْرُ القِبَابِ صَوَاغِياً ... فَكُلُّ قُلُوبِ العَاشِقِينَ صَوَاغِ[3]
وَكُلُّ امْرِىءٍ إِنْ يَلْقَهَا مُتَكَلِّماً ... وَحَادِي السُّرَى يَحْدُو فَذَلِكَ لاَغِ
كَأَنِّي بِذَاكَ الحَذْوِ أُسْقَى مُدَامَةً ... لَهَا كُلَّمَا سَاغَتْ أَجَلُّ مَسَاغِ
وَمَيَّاسَةِ الأَعْطَافِ طَلَّتْ بِذِي النَّقَا ... تُحَاكِي بِقَدٍّ قَضْبَهُ وَتُنَاغِي[4]
مُحَجَّبَةٍ بِالبِيضِ دُونِيَ وَالقَنَا ... وَأَثْوَابِ نَقْعٍ [لاَ بِلِبْسٍ][5] سِبَاغِ
يَكَادُ لَنَا المِسْوَاكُ يَعْبُقُ مِسْكُهُ ... إِذَا هِيَ غَادَتْ رَطْبَهُ بِمَضَاغِ
مِنَ الخَافِرَاتِ البِيضِ خِلْتُ دَلاَلَهَا ... كَمُشْبِهِهِ يُوهِي القُوَى بِلِدَاغِ
أَقُولُ لَهَا وَالرَّأْسُ أَشْيَبُ مُنْتَضٍ ... نُصُولاً وَلَكِنْ مِنْ نُصُولِ صِبَاغِ[6]

(*) المزائن: 24 ب ـ 25 ب.

(1) عين أباغ: موضع في طرف العراق، ناحية الشام، وقيل هي بين بغداد والرقة، وعنها أخبار تاريخية. (انظر معجم ما استعجم للبكري: 95/1 والروض المعطار: 10).

(2) المراغ: التردد في الأمر.

(3) الصواغي: المائلات، حساً أو معنى.

(4) النقا: الكثيب من الرمل. والقضب: كل شجرة طالت وبسطت أغصانها، والشجر الرطب.

(5) الأصل: لا لبسنا، وهو تصحيف، والسباغ: الثياب الوافية.

(6) النصول، ج نصل: حديدة السهم والرمح.. وانتضى الثوب: أخلقه وأبلاه.

دَعِي، وَالهَوَى، مَضْنَاكِ يَا أُمَّ مَالِكٍ   فَلِي فِي الهَوَى لَوْ تَعْلَمِينَ مَبَاغِ
وَلَكِنَّنِي أَشْكُو بِنِيرَانِ زَفْرَتِي   وَطُوفَانِ مَاءٍ مِنْ دُمُوعِيَ صَاغِ[1]
أَلاَ لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَرَى أَيْمُنَ الحِمَى   وَمَا فِيهِ مِنْ رَاغٍ أَقَامَ وَثَاغِ[2]
وَيَا هَلْ تَرَى يَا سَعْدُ نَصْراً يَسُرُّنَا   عَلَى يَوْمِ بَيْنٍ زَاغَ كُلَّ مَزَاغِ[3]
كَمَا سَرَّنَا نَصْرُ ابْنُ نَصْرٍ مُعَاجِلاً   عَلَى كُلِّ طَاغٍ فِي المُلُوكِ وَبَاغِ[4]
هُمَامٌ إِذَا اصْطَفَّ العَدُوُّ فَدُونَهُ   تَلاَحٍ بِأَطْرَافِ القَنَا وَتَلاَغِ[5]
شَدِيدُ قُوًى لَمْ يَضْغَ يَوْماً وَإِنَّهُ   لَهُ كُلَّ مَلْكٍ فِي المَعَاقِلِ ضَاغِ[6]
أَخُو عَزَمَاتٍ لِلْمَنُونِ أَمَامَهُ   مَدَى الدَّهْرِ فِي نَهْبِ النُّفُوسِ تَنَاغِ[7]
وَلَيْثُ الوَغَى الشَّهْمُ الَّذِي لِعِدَاتِهِ   بِأَسْيَافِهِ فِي التُّرْبِ أَيّ مَرَاغِ[8]
جَرِيٌّ إِذَا زَحْفٌ أَتَى فَرِمَاحُهُ   لَهَا فِي دِمَاءِ القِرْنِ أَيَّ وَلاَغِ
ثَبُوتٌ إِذَا الحَرْبُ الضَّرُوسُ تَنَاوَلَتْ   مِنَ المَعْشَرِ القَتْلَى أَلَذَّ مَضَاغِ
جَزِيلُ اللُّهَى بِالعِزِّ مِنْ كَلِمَاتِهِ   إِلَى كُلِّ مَنْ حَطَّ الرَّكَائِبَ نَاغِ[9]
تَنَزَّهَ عَنْ بَغْيٍ وَأَمْدَاحُهُ العُلاَ   عَلَى مَالِهِ يَوْمَ النَّوَالِ بَوَاغِ[10]

---

(1) صاغ الماء في الأرض 9: رسب فيها. (اللسان: صوغ). والكلمة في الأصل: صاغ.
(2) الرغاء: صوت الإبل، والثغاء: صوت الغنم.
(3) ابن نصر: يعني الغني بالله محمد بن يوسف بن الأحمر، وفي مدحه كل قصائد «المزائن».
(4) التلاح: التنازع. والقنا: اسم جنس جمعي للقناة. والتلاغي: الكلام.
(5) ضغا: في الشطر الأول استرخى، وفي الشطر الثاني استغاث من الضرب والأذى.
(6) التناغي: الارتفاع والمباراة.
(7) في الأصل: لأسيافه.
(8) مرغه في التراب: قلبه فيه.
(9) ناغ: النغية: ما يعجبك من الكلام والصوت.
(10) بواغ: جمع باغية، والبغي: مجاوزة الحد.

وَبَـازَغَ مِـنْـهُ الـبَـدْرُ بَـدْراً عَـلَـيْـهِ قَـدْ أَنَـافَ فَـلاَ بُـعْـداً لِـيَـوْمِ بُـزَاغِ[1]
[أَ]خَافَ بَنُو سَدْوِيكْشٍ الشَّرْقَ بِاسْمِهِ وَهَـابَ بِـهِ مَـلْـقَـاهُ كُـلَّ وَزَاغِـي[2]
يَـبِـيـتُ عِـدَاهُ خَـافِـقَـاتٍ رُؤُوسُـهُـمْ بِـضَـرْبٍ عَـنْ الـزُّوَّاغِ غَـيْـرِ مُـزَاغِ[3]
وَإِنْ قَـدَحَـتْ نَـارُ الـسُّـيُـوفِ بِـمَـأْزِقٍ شَـكَـا غَـلَـيَـانـاً فِـيـهِ كُـلُّ دِمَـاغ
وَمُـنْـضِـي الـمَـطَـايَا صَـادِعاً كُـلَّ مَـهْـمَـهٍ بِـهِ لِـلْـفُـحُـولِ الـهَـائِـجَـاتِ مَـرَاغ
إِذَا أَصْـمَـغَـتْ فِـي كَـفِّـهِ شَـجَـرُ الـقَـنَـا أَتَـى مِـنْ نَـجِـيعٍ جَـامِـدٍ بِـصَـمَـاغِ[4]
مُـعِـيـدُ طِـعَـانٍ كَـالـرِّشَـاءِ إِذَا ارْتَـمَـى بِـدَلْـوٍ لَـهُ تَـزْهَـى بِـأَيِّ فَـرَاغِ
مُطِيلُ قِرَابٍ مِثْلِ مَا فَتَحَتْ ضُحَى بِـمَـرْعَـى الـحِـمَـى أَفْـوَاهَـهُـنَّ ثُـوَاغِ
إِذَا لَـمْ يَـكُـنْ صَـغْـوُ الـرَّعَـايَـا لِـمُـلْـكِـهِ فَـكُـلٌّ إِلَـى مَـهْـوَى الـشَّـقَـاوَةِ صَـاغ
كَـمِـثْـلِ الأَدِيـمِ الـحَـالِـمِ اخْـتَـلَّ أَمْـرُهُ فَـلاَ يُـرْتَـجَـى إِصْـلاَحُـهُ بِـدِبَـاغِ[5]
حَمُولٌ عَلَى الأَبْطَالِ فِي حَوْمَةِ الوَغَى وَمَـوْجُ الـمَـنَـايَـا لِـلـسَّـمَـاءِ مُـنَـاغِـي
لَـهُ الـغَـارَةُ الـشَّـعْـوَاءُ تَـطْـمِـسُ بَـعْـدَهَـا فَـرَاغٍ عَـلَـى حُـكْـمِ الـظُّـبَـى وَمُـثَـاغِ[6]
مُـرَاغٍ كَـمَـالَ الـذَّاتِ عَـنْ عَـيْـنِ حَـاسِـدٍ وَمَـا حَـاسِـدٌ عَـنْ كَـبْـتِـهِ بِـمُـرَاغِ
سَـرِيـعُ الـنَّـدَى لِـلْـمُـعْـتَـفِـيـنَ وَإِنَّـمَـا مِـطَـالُ الـغِـنَـى لِـلْـمُـعْـتَـفِـيـنَ تَـبَـاغِ

---

(1) البزوغ: ابتداء الطلوع.

(2) أخاف: في الأصل (وخاف).

وبنو سدويكس: يرجح ابن خلدون أن هذا الحي ينتمي إلى كتامة من القبائل الأمازيغية، وهم يسكنون ما بين قسنطينة وبجاية، ولهم بطون كثيرة. (العبر: 167/6). وزواغي: نسبة إلى زواغة، وهي قبيلة لها ثلاثة بطون (العبر: 153/6).

(3) الزواغ: الجائرون، وغير مزاغ: غير مائل.

(4) أصمغت الشجرة: بض صمغها، وفي الأصل: أضمغت.

(5) الأديم الحالم: الجلد الذي أصابته الحلمة، وهي دودة تقع عليه فتأكله حتى لا يصلحه الدباغ.

(6) الراغي: المائل، والمثغى: المصوّت، والثغاء: صوت الغنم والظباء عند الولادة.

أَحَادِيثُ نُعْمَاهُ صِحَاحٌ وَإِنَّهَا[1]   لَتَأْتِي بِنَوْعَيْ مُرْسَلٍ وَبَلاَغِ

مُحَمَّدٌ الأَرْضَى ابْنُ يُوسُف الَّذِي   لَهُ خَيْرُ سَمْعٍ لِلْمَدِيحِ مُصَاغِ

هُوَ البَدْرُ بَلْ أَسْمَى وَسُحْقاً لأَنْجُمٍ   إِذَا لاَحَ اتْبَاعٌ لَهُ وَصَوَاغِ[2]

وَبُشْرَى الوَرَى طُرًّا بِمَقْدَمِهِ الَّذِي   بَغَى مِنْهُ أَمْرَ الرُّشْدِ أَكْرَمُ بَاغِي

وَأَنْطَقَ بِالأَشْعَارِ فِي الحَفْلِ أَلْسُناً   تَنَزَّهْنَ حَتَّى عَنْ مَعِيبٍ[3] لِثَاغِ[4]

مِنَ المُحْدَثَاتِ الغُرِّ مَا مِثْلُهَا اعْتَلَى   بِهِ لِلْفُحُولِ الأَقْدَمِينَ تَرَاغِ

خَلِيلَيَّ قُولاَ لِلْغَمَامِ افْتَضِحْ فَقَدْ   شَآكَ[5] بِجُودٍ لِلْوُفُودِ مُسَاغِ

وَقُولا لِلَيْثِ الغَابِ مَهْمَا قَدَرْتَ أَنْ   تُنَاغِيَهُ يَوْمَ الحُرُوبِ فَنَاغِي

وَخُصَّا أَمِيرَ المُسْلِمِينَ بِمِدْحَةٍ   لَهَا كَلِمٌ لَيْسَتْ تُرَى بِلَوَاغِ

وَعُوجَا عَلَيْهِ بِالهَنَاءِ كَأَنَّهُ   أَزَاهِرُ يَذْكُو عَرْفُهَا وَفَوَاغِ[6]

وَعَنْهُ أَعِيدَالِي الحَدِيثَ وَأَنْذِرَا   بِحَيْنِ عُتَاةٍ أَمَّهُمْ وَطَوَاغِ

وَآخِرُ دَعْوَى العَبْدِ أَنْ دَامَ بَالِغاً[7]   إِلَى كُلِّ مَا يَهْوَى أَتَمَّ بَلاَغِ

(1) في الأصل: وإنما.
(2) الصواغي: الأشباه.
(3) الأصل: مغيب.
(4) لثاغ: اللثغ: تحول اللسان من حرف إلى حرف.
(5) شاك: سبقك.
(6) فواغ: جمع فوغة وهي أول ما يفوح من الطيب.
(7) في الأصل: بالغنى.

الفـاء

104

«ومن شعره في أنواع المقطوعات(*): [كامل]

طَابَ العُذَيْبُ بِطِيبِ ذِكْرِكَ وَانْثَنَى ... فَكَأَنَّمَا مَاءُ العُذَيْبِ سُلاَفُهُ
وَاهْتَزَّ مِنْ طَرَبٍ لِلُقْيَاكَ الحِمَى ... فَكَأَنَّمَا بَانَاتُهُ أَعْطَافُهُ

105

«وقال رحمه الله تعالى(**): [طويل]

نَظَرْتُ إِلَى رَوْضِ الجَمَالِ [بِوَجْهِها](1) ... وَسَقَّيْتُهُ دَمْعاً بِهِ العَيْنُ تَكْلفُ
فَصَحَّ حَدِيثُ الحُسْنِ عَنْ وَرْدِ خَدِّهَا ... وَإِنْ كَانَ أَضْحَى وَهْوَ رَاوٍ مُضَعَّفُ

106

«وقال أيضاً: (***): [طويل]

أَتَوْنِي فَعَابُوا مَنْ أُحِبُّ جَمَالَهُ ... وَذَاكَ عَلَى سَمعِ المُحِبِّ خَفِيفُ
فَمَا فِيهِ عَيْبٌ غَيْرَ أَنَّ جُفُونَهُ ... مِرَاضٌ، وَأَنَّ الخَصْرَ مِنْهُ ضَعِيفُ

107

«وقال يخاطب شيخه سيف الدين(****): [طويل]

(*) الكتيبة: 266، والإحاطة: 347/1، وجذوة الاقتباس: 92/1.

(**) النفح: 114/7.

(1) في النفح: بوجهه، والبيت الثاني يستدعي التأنيث هنا.

(***) الكتيبة: (269، والمسالك: 215/17 (حاشية)، والجذوة: 96/1، والإحاطة: 350/1، والنفح: 112/7.

(****) النفح: 114/7.

لِمَوْلاَيَ سَيْفِ الدِّينِ فِي الفِقْهِ بَيْنَنَا مَقَامُ اجْتِهَادٍ لَيْسَ يَلْحَقُهُ الحَيْفُ
فَتَقْلِيدُهُ فَرْضٌ عَلَى أَهْلِ عَصْرِنَا وَلاَ عَجَبٌ عِنْدِي إِذَا قُلِّدَ السَّيْفُ

108

وقال أيضاً(*): [كامل]

أَشْفَقْتُ مِنْ مَرَضٍ أَتَاحَ تَخَلُّفِي يَوْمَ الرَّحِيلِ عَنِ الرِّكَابِ الأَشْرَفِ
وَطَفِقْتُ أُظْهِرُ عِبْرَةً مِنْ عَبْرَةٍ وَأَشِبُّ[1] نَارَيْ لَوْعَةٍ وَتَأَسُّفِ
وَالقَلْبُ فِي إِثْرِ الحمُولِ إِذَا اشْتَفَى فَبِأَدْمُعِي وَمَثَارِ وَجْدِي يَشْتَفِي
وَعَلَيَّ لَثْمٌ لِلْمَوَاطِىءِ فِي الثَّرَى بَعْدَ الَّذِينَ قَضَوْا بِذِلَّةِ مَوْقِفِي
وَالذَّنْبُ لِي يَوْمَ اسْتَقَلَّتْ عِيسُهُمْ وَالخَيْلُ تَسْبَحُ فِي العَجَاجِ الأَكْثَفِ
سِرْبٌ تُقِلُّ مُتُونُهُنَّ فَوَارِساً نَارُ الوَغَى بِسُيُوفِهِمْ لاَ تَنْطَفِي
لَكِنْ نَفَى هَمِّي حُضُورِي قَبْلَ ذَا غَزْواً بِقُرْطُبَةٍ جَلاَ ذِكْراً يَفِي
وَوَقَائِعاً بِكُمَاتِهَا قَدْ خَلَّدَتْ شَرَفاً لِرُمْحِي [وَالكُمَيْتِ][2] المُشْرِفِ[3]
وَرَأَيْتُ قَصْرَ بَنِي أُمَيَّةَ بَاكِياً بِدُمُوعِ نَهْرٍ حَوْلَهُ مُتَلَهِّفِ[4]
وَبَدَتْ لِعَيْنِي، لاَ عَفَتْ آثَارُهُمْ فَعَرَفْتُهَا وَكَأَنَّنِي لَمْ أَعْرِفِ
لاَ يُبْعِدِ اللَّهُ الأَمِيرَ مُحَمَّداً فَبِهِ أَزَالَ اللَّهُ كُلَّ تَخَوُّفِ
وَأَعَزَّ دِينَ الحَقِّ مِنْهُ خَلِيفَةٌ هُوَ مَنْ عَلِمْتَ ابْنُ الخَلِيفَةِ يُوسُفِ
مَلِكُ المُلُوكِ المُخْتَلِي هَامَ العِدَى وَالخَيْلُ تَعْثُرُ فِي القَنَا المُتَقَصِّفِ
نَسَقَ الفُتُوحَ خَوَارِقاً عَادَاتُهَا بِأَجَلِّ صُنْعٍ بَاهِرٍ وَمُكَيَّفِ

(*) المزائن: 25 ب ـ 27 ب.

(1) في الأصل: وأشف.
(2) في الأصل: الكماة، والمراد في البيت الفخر بفعل رمحه وحصانه وهو الكميت.
(3) المشرف: من الإشراف وهو سرعة عدو الخيل. (اللسان: شرف).
(4) انظر تفاصيل هذه الغزوة في رسالة ابن الخطيب إلى صاحب تونس في العبر: 521/7.

وَأَرَى عَجَائِبَ قَطُّ لَمْ يَسْمَعْ بِهَا ... فِي كُلِّ تَارِيخٍ وَكُلِّ مُصَنَّفِ
وَكَأَنَّمَا النَّصْرُ العَزِيزُ وَرَأْيُهُ ... خِلْفَانِ، ذَا عَنْ ذَاكَ لَمْ يَتَخَلَّفِ
وَكَأَنَّمَا الفَتْحُ المُبِينُ وَسَيْفُهُ ... خِلاَّنِ، كُلٌّ مِنْهُمَا الخِلُّ الوَفِي
فَإِذَا الجُيُوشُ لأَرْضِ قُرْطُبَةٍ كَمَا ... هَاجَ البِحَارَ هُبُوبُ رِيحٍ مَعْصِفِ
وَأَعَدَّهَا مِلْءَ الأَبَاطِحِ وَالرُّبَا ... جَرَّارَةً أَذْيَالَ نَقْعٍ مُرْدِفِ
وَالحَرْبُ[1] أَحْسَنُ مَا يَكُونُ إِذَا أَتَتْ ... فِي بُرْدِ نَقْعٍ بِالدِّمَاءِ مُفَوَّفِ
فَاحْتَلَّ مِنْ أَرْجَائِهَا مُتَبَوَّأً ... بِحُلولِهِ عَيْنُ الرَّدَى لَمْ تَطْرِفِ
وَسَدَدْتَ يَا مَلِكَ الزَّمَانِ فَضَاءَهَا ... بِفَوَارِسٍ كَالأُسْدِ مَهْمَا تُشْرِفِ
وَأَعَدْتَ[2] بِالطَّعْنِ الدِّرَاكِ حُمَاتَهَا ... جُزُرَ العَوَافِي مَا لَهَا مِنْ مَصْرِفِ
وَأَجَلَّ قَنْطَرَةٍ[3] أَبَحْتَ عُبُورَهَا ... لِعَصَائِبٍ مِثْلِ الذُّبَا إِنْ تَزْحَفِ
فَبَدَتْ شُمُوساً فِي البُرُوجِ وُجُوهُهُمْ ... وَهِيَ الشُّمُوسُ إِذَا بَدَتْ لَمْ تُكْسَفِ
وَمَلَكْتَ مَعْقِلَهَا فَكُنْتَ كَمَالِكٍ ... لِعِنَانِ طِرْفٍ[4] بِالعِنَانِ مُصَرَّفِ
وَسَبَحْتَ فِي الوَادِي بِمِثْلِ سُيُولِهِ ... خَيْلاً مَتى يُرِمِ الرَّدَى تُسْتَهْدَفِ
وَسَطَوْتَ بِالأَعْدَاءِ سَطْوَةَ قَاهِرٍ ... فِي قَتْلِهِمْ وَالجُود طَوْعاً مُسْرِفِ
وَمَلَكْتَ مِنْ أَسْوَارِهِمْ (برجاله)[5] ... بِالذَّاكِرِينَ اللَّهَ أَيَّ تَشَرُّفِ

(1) أراد بالحرب القتال فذكرها وإليها يعود اسم يكون، وإلا فهي مؤنثة. (راجع الوسيط: حرب).

(2) في الأصل: وأعددت، وهو تصحيف.

(3) القنطرة: هي قنطرة قرطبة، بناها السمح بن مالك الخولاني في عهد عمر بن عبد العزيز، وجُدِّد بناؤها في عصر الإمارة الأموية بالأندلس حتى عدّها المؤرخون من عجائب الدنيا. (انظر: النفح: 408/1، 559 وفيه نقول عن الرازي وابن حيان وغيرهما).

(4) الطرف: الكريم العتيق الطويل من الخيل.

(5) رسم كلمة غير واضحة المعنى في بيت غير محكم الصياغة، ولعل المراد أنه ملك أسوارهم بالرجال الذاكرين اللّه، أو أن تكون كلمة «برجاله» اسماً لموضع، فهي مفعول به، وفي هذه الحالة يمكن أن تكون تحويراً لكلمة (برشانة ـ Purchena) ويوجد موضعان بهذا الاسم: أحدهما

وَتَرَكْتَ يَوْمَ النَّقْبِ فِيهَا مِثْلَمَا ... يَشْكُونَ مِنْ صَدْعِ القُلُوبِ الرُّجَّفِ
وَعَدَتْ تَدُورُ بِهَا الجُيُوشُ وَإِنَّمَا ... حُسْنُ الوِشَاحِ إِذَا يَدُورُ بِمِعْطَفِ
[وَتَسَاقَطَتْ][1] هَامُ العُدَاةِ كَأَنَّهَا ... نَوْرٌ بِغَيْرِ يَدِ الرَّدَى لَمْ يُقْطَفِ
وَلَقَدْ دَعَاكَ الفَتْحُ دَعْوَةَ طَائِعٍ ... لِلْقَتْلِ أَوْ لإِسَارِهِمْ مُتَشَوِّفِ
لَكِنْ حَقَنْتَ دِمَاءَ قَوْمِكَ مُرْجِئاً ... لِلْفَتْحِ إِرْجَاءً بِمَا تَرْجُو يَفِي
وَأَتَيْتَ فِي أَعْدَاءِ قَوْمِكَ بِالَّتِي ... تَمْحُوهُمُ بِالسَّيْفِ مَحْوَ الأَحْرُفِ
وَتَرَكْتَهُمْ وَالتَّرْكُ أَخْذٌ عَاجِلٌ ... لَهُمُ إِذَا مَا شِئْتَ دُونَ تَكَلُّفِ
فَأَذِقْهُمُ جُوعاً وَعَفْواً وَانْتَظِرْ ... تَهْوِينَ أَمْرِهِمْ وَعُقْبَى المُتْرِفِ
وَالكُلُّ مُعْتَقَلٌ هُنَاكَ مُثَقَّفٌ ... مُتَوَقِّعٌ لِلْحَادِثِ المُتَخَوَّفِ
فَانْهَضْ بِمُعْتَقَلٍ لِمُعْتَقَلٍ وَلاَ ... تَغْفَلْ طِعَانَ مُثَقَّفٍ بِمُثَقَّفِ[2]
وَإِذَا بَدَا مِنهُمْ لِحَبْلِكَ صَارِمٌ ... فَاشْدُدْ عَلَيْهِ بِصَارِمٍ لَكَ مُرْهَفِ
وَالسَّيْفُ أَمْضَى مَا يَكُونُ مُحَرَّفاً ... فَتَوَلَّ كُلَّ مُحَرِّفٍ بِمُحَرَّفِ
وَلَقَدْ نَسِيتُ وَمَا نَسِيتُ مَوَاقِعاً ... حَكَمَ الظُّهُورُ بِنُجْحِهَا المُتَعَرَّفِ
وَشَهِدْتُ طَاغِيَةَ النَّصَارَى خَادِماً ... فِيهِنَّ بَيْنَ يَدَيْكَ خِدْمَةَ مُنْصِفِ
مُتَطَأْطِئاً لَكَ حَاسِراً عَنْ رَأْسِهِ ... يَرْجُو وَيَأْمَلُ مِنْكَ نَيْلَ تَعَطُّفِ

المدينة المشهورة وهي ضمن الدولة الغرناطية (انظر: نهاية الأندلس: 55)، والآخر بولاية «جيان» التي اقتحمتها جيوش الغني بالله في هذه الحملة التي يشير إليها الشاعر (انظر: الروض المعطار: 52، ومعيار الاختيار: 106).

وتوحي عبارة «أي تشرف» أن هذا الشطر لا علاقة له بسابقه، ولعل ثمة سقطاً سبب في ضعف البيت، الذي يفترض أن يكون على النحو التالي:

[فتشرفت تلك البقاع ومن بها] ... بالذاكرين الله أي تشرف

(1) في الأصل: وتناقطت.

(2) المعتقل الأولى: الأسير، والثانية: السجن. والمثقف الأولى: المدرك في الحرب، والثانية: الرمح.

وَالـرُّومُ رَامَـتْ أَنْ تَـجُـودَ بِـرَأْفَـةٍ فَـالـوَيْـلُ كُـلُّ الـوَيْـلِ إِنْ لَـمْ تَـرْأَفِ
وَلَـقَـدْ وَهِـي مَـا حَـوْلَ قُـرْطُـبَـةٍ فَـلَـمْ تَـتْرُكْ جُيُوشُكَ مِثْلَ قَاعٍ صَفْصَفِ
وَأَطَـلْـتَ إِحْـرَاقَ الـزُّرُوعِ وَقَـدْ شَـكَـا زُرَّاعُـهَـا أَزَمَـاتِ دَهْـرٍ مُـجْـحِـفِ
فَـكَـأَنَّـهَـا أَجْـسَـادُهُـمْ وَهِـيَ الَّـتِـي فِـي غَـيْـرِ نَـارِ جَـهَـنَّـمٍ لَـمْ تُـقْـذَفِ
وَتَـرَكْـتَ أَرْضَ الـرُّومِ وَهِـيَ كَـأَنَّـهَـا قِـطَـعٌ مِـنَ اللَّـيْـلِ الـبَـهِـيمِ الـمُـغْـدِفِ[1]
وَقَـدِمْـتَ أَسْـعَـدَ مَـقْـدَمٍ يُـرْضِـي كَـمَـا قَـدِمَ الـشِّـفَـاءُ عَـلَـى الـعَـلِـيـلِ الـمُـدْنِـفِ
لَـكِـنْ كَـرَرْتَ إِلَـى الـنَّـصَـارَى رَاجِـعـاً وَالـحَـزْمُ مِـمَّـا تَـخْـتَـفِـيـهِ وَتَـصْـطَـفِـي
وَالـمَـجْـدُ لَـيْـسَ يَـنَـالُـهُ إِلاَّ امْـرُؤٌ عَـنْ تَـرْكِـهِ الـلَّـذَّاتِ لَـمْ يَـتَـوَقَّـفِ
وَعَـلَـى الـعُـلاَ أَنْ لاَ يُـبِـيـحَ طِـلاَبَـهُ إِلاَّ لأَرْوَعَ عَـزْمُـهُ لَـمْ يَـضْـعُـفِ
وَغَـزَوْتَ قُـرْطُـبَـةً فَـأَنْـسَـيْـتَ الَّـذِي قَـدَّمْـتَ مِـنْ غَـزْوٍ لَـهَـا مُـتَـخَـطِّـفِ
وَتَـرَكْـتَ جَـمْـعَ كُـمَـاتِـهَـا وَكَـأَنَّـهُـمْ أَعْـجَـازُ نَـخْـلٍ عُـوجِـلَـتْ بِـتَـقَـصُّـفِ
وَغَـدَوْا وَمَـا لِـبَـنِـي أَبِـيـهِـمْ نَـاصِـرٌ غَـيْـرُ الـصَّـبَـابَـةِ وَالـدُّمُـوعِ الـذُّرَّفِ
وَطَـفِـقْـتَ جَـيَّـانـاً فَـأَخْـفَـيْـتَ الَّـذِي قَـدْ كَـانَ مِـنْ آثَـارِهَـا لَـمْ يَـخْـتَـفِ
وَمَـلأْتَ مُـتَّـسَـعَ الـفَـضَـاءِ غَـنَـائِـمـاً أَخَـذَتْ بِـهِـنَّ الأَرْضُ أَعْـظَـمَ زُخْـرُفِ
فَـاهْـنَـأْ بِـبُـشْـرَى إِثْـرَ بُـشْـرَى أُنْـجِـزَتْ وَالـوَعْـدُ وَعْـدُ الـلَّـهِ لَـيْـسَ بِـمُـخْـلَـفِ
وَالـلَّـهُ يَـعْـلَـمُ أَنَّـكَ الـمَـلِـكُ الَّـذِي لَـوْلاَهُ مَـا كَـانَ الـضَّـلاَلُ بِـمُـنْـتَـفِ
مَـلِـكٌ تَـخَـلَّـدَ فِـي الـطُّـرُوسِ مَـدِيـحُـهُ وَالـوَشْـيُ أَطْـرَفُ مَـا يَـكُـونُ بِـمُـطْـرَفِ[2]
وَإِذَا تُـجَـازُ الـمَـغْـلُـوَاتُ فَـإِنَّـهُ أَبَـداً لَـهُ الـمِـرْبَـاعُ مِـنْـهَـا وَالـصَّـفِـي[3]

---

(1) المغدف: من أغدف الليل: إذا أرخى سدوله.

(2) المطرف: ثوب من خز مربع ذو أعلام.

(3) المرباع: ربع الغنيمة يأخذه الرئيس في الجاهلية. والصفي: ما يصطفيه الرئيس من الغنيمة قبل قسمتها. (وسيط: صفي).

جَمَعَ العُلاَ مِنْ مَالِهِ وَثَنَائِهِ ... فَالحَفْلُ بَيْنَ مُفْرِّقٍ وَمُؤَلِّفِ
وَالنَّفْسُ وَالمَالُ النَّفِيسُ كِلاَهُمَا ... يَشْكُو لَنَا مِنْهُ بِأَعْظَمِ مُتْلِفِ
مَلِكٌ يَمَانٍ[1] بِاليَمَانِي مُصْلَتاً ... كَشَفَ الخُطُوبَ وَنَفْعُهُ لَمْ يُكْشَفِ
أَعْدَتْ قُلُوبَ عُدَاتِهِ رَايَاتُهُ ... بِخُفُوقِهَا أَعْدَاءَهَا غَيْرَ الخَفِي
وَبِسَيْفِهِ فِي الحَرْبِ أَصْبَحَ مُخْفِراً ... ذِمَمَ الدُّرُوعِ عَلَى الكَمِيِّ المُرْجِفِ
وَكَأَنَّهَا (وَالرُّمْحُ)[2] يُوْحِي هَتْكَهَا ... نَهْرٌ بِهِ سَبْحٌ لِغُصْنٍ أَهْيَفِ
هُوَ فِي النَّدَى بَحْرٌ وَلَكِنْ لَفْظُهُ ... دُرٌّ لأُذْنِ المَرْءِ خَيْرُ مُشَنِّفِ
وَلَدَتْ تَمَاماً لاَ خِدَاجاً سَعْدُهُ ... أُمُّ السُّعُودِ وِلاَدَةً لَمْ[3] تُخْلَفِ
وإِمَامُ وَزْنِ زَمَانِهِ المَلْكُ الَّذِي ... لَمْ يَلْفَ خَطْباً طَارِقاً إلاَّ كُفِي
وَلَقَدْ رَمَتْ مِنْهُ البِلاَدُ بِأَغْبَرٍ[4] ... لِرِكَابِهِ وَالخَيْلِ فِيهَا مُوجِفِ
وَاسْتَوْسَقَتْ مِنْهُ لأَرْوَعَ بَاسِلٍ ... بِالذُّلِّ لِلنَّفْسِ النَّفِيسَةِ مُسْعِفِ
قَدْ أَرْعَفَ الأَقْلاَمَ مِسْكُ ثَنَائِهِ ... وَالمِسْكُ إِنْ يَفْغَمْ أُنُوفاً تَرْعَفِ
لاَ زَالَ فِي المُلْكِ الرَّفِيعِ شِعَارُهُ ... مَا عَزَّ مِنْ سَيْفٍ لَهُ أَوْ مُصْحَفِ

109

«وقال(*): [طويل]

---

(1) ورد في الحاشية: «الملك من أهل اليمن»، واليماني بعده: السيف المنسوب إلى اليمن.

(2) كلمة غير واضحة في الأصل، يمكن أن تقرأ: الرمح والرجم والرجح، ويوحي: يعجل.

(3) في الأصل: لا. والخداج: هو الولادة قبل تمام مدة الحمل.

(4) في الأصل: بأعبر ـ بالعين المهملة ـ والسياق يدل على أن المراد إثارة غبار المعارك والجد في طلبها، ولذا فالأنسب له (أغبر).

(*) النفح: 114/7.
وفي البيت الثاني تورية علق عليها المقري بقوله: «وترشحت التورية بكون المحدِّثين يقولون: الحديث المسلسل لا يخلو من الضعف ولو في التزام التسلسل مع كون متن الحديث صحيحاً».

رَعَى اللَّهُ مِعْطَارَ النَّسِيمِ فَإِنَّهُ رَأَى مِنْ غُصُونِ البَانِ مَا شَاءَ مِنْ عَطْفِ
وَأَبْدَى حَدِيثَ الغَيْثِ وَهْوَ مُسَلْسَلٌ لِذَاكَ لَعَمْرِي لَيْسَ يَخْلُو مِنَ الضَّعْفِ

وعلى هذا الوزن والقافية أورد ابن الأحمر بيتين نسبهما إلى ابن الحاج النميري (نثير الجمان: 318) هما:

لِيَ الفَضْلُ إنْ شَاهَدْتَنِي واخْتَبَرْتَنِي عَلَى كُلِّ مَصْقُولِ الغِلاَلَيْنِ مُرْهَفِ
وَحَسْبِي فَضْلاً أَنْ تَرَانِي قَائِماً بِسُنَّةِ إِبْرَاهِيمَ فِي كَفِّ يُوسُفِ

وقد نسبها ابن الخطيب لنفسه في: الإحاطة: 513/4، ونسبها إليه ابنه علي (النفح: 476/6)، كما نسبهما إليه المقري في: الأزهار: 308/1)، وقد ترجحت لدي بذلك نسبة البيتين إلى ابن الخطيب، فرواتهما ثقات غير متهمين، وابن الخطيب وابنه أعلم بهما من إسماعيل بن الأحمر، وأسلوبهما ألصق بلسان الدين منه بابن الحاج.

القاف

110

وله أيضاً(*): [طويل]

أَيَا مَلِكَ الأَمْلاَكِ غَرْباً وَمَشْرِقَا ... وَذَا الدُّرَّةِ الغَرَّاءِ دَامَ لَهَا البَقَا
وَأَعْظَمَ سُلْطَانٍ حَوَى المَجْدَ وَالعُلاَ ... وَكَانَ لَهُ فِي دُرَّةٍ[1] العِزِّ مُرْتَقَى
وَأَكْرَمَ مَلْكٍ شَرَّفَ اللَّهُ قَدْرَهُ ... وَزَيَّنَهُ بِالعِلْمِ وَالحِلْمِ وَالتُّقَى
وَمَنْ حَازَ مُلْكَ العُدْوَتَيْنِ بِعَزْمَةٍ ... لأَنْبَائِهَا أَضْحَى الطِّعَانُ مُصَدِّقَا
وَيَا خَيْرَ مَنْ قَادَ الجِيَادَ إِلَى الوَغَى ... وَأَرْعَدَ فِي جَوِّ الأَعَادِي وَأَبْرَقَا
وَقَامَ مَقَامَ الجَيْشِ فِي الحَرْبِ وَحْدَهُ ... وَبِالسَّيْفِ بَيْنَ الرُّشْدِ وَالغَيِّ فَرَّقَا
وَيَا نُخْبَةَ القَوْمِ الَّذِينَ سُعُودُهُمْ ... أَخَذْنَ عَلَى الأَيَّامِ عَهْداً وَمَوْثِقَا
وَخَيْرَ المُلُوكِ الصِّيدِ مِنْ آلِ خَزْرَجٍ ... غِيَاثِ الوَرَى وَالحَيْنُ[2] بِالأَرْضِ أَحْدَقَا
وَمَنْ شَهِدَ الهَادِي الرَّسُولُ بِجُودِهِمْ ... شَهَادَةَ صِدْقٍ حُكْمُهَا الشَّرْعُ حَقَّقَا
وَجَاءَ لَنَا القُرْآنُ يُتْلَى بِمَدْحِهِمْ[3] ... فَأَعْجَزَ عَنْهُ أَلْسُنَ الخَلْقِ أَنْطَقَا
وَيَا رَجُلَ الدُّنْيَا وَوَاحِدَهَا الَّذِي ... بِأَذْيَالِهِ كُلُّ الكَمَالِ تَعَلَّقَا

(*) المزائن: 27 ب.

والقصيدة، ككل قصائد المزائن، في مدح الغني بالله، ويبدو أنها قيلت في الفترة التي تدخل فيها هذا السلطان في شؤون المغرب كما يتضح من البيت الرابع، وذلك منذ العام السادس والسبعين وسبعمئة.

(1) كذا في الأصل، ولعلها «ذروة».

(2) كلمة غير واضحة في الأصل، ولكنها قريبة إلى كلمة «الحين» وهو: الهلاك والمحنة.

(3) إشارة إلى مدح القرآن للأنصار (الحشر: 9).

وَيَـا خَـيْـرَ مَـرْجُـوٍّ وَخَـيْـرَ مُـؤَمَّـلٍ[1] بِـأَكْـرَمِ أَخْـلاَقِ الـكِـرَامِ تَـخَـلَّـقَـا
هَـنِـيـئـاً لَـكَ الـعِـيـدُ الـسَّـعِـيـدُ وَإِنَّـهُ لَـعِـيـدٌ مُـعِـيـدٌ بِـالـمَـسَرَّةِ مُـلْـتَـقَـى
وَأَسْـعَـدُ أَمْـلاَكٍ حَـلاَ الـعِـيـدَ يَـوْمَـهَـا وَيَـا لَـكَ مِـنْ يَـوْمٍ بِـهِ الـكَـوْنُ أَشْـرَقَـا
وَبُـشْـرَاكَ بِـالـفَـتْـحِ الـمُـبِـيـنِ وَدَوْلَـةٍ لَـهَـا أَيُّ فَـخْـرٍ ذِكْـرُهُ الأَرْضَ طَـبَّـقَـا
وَأَقْـبَـلُ دُنْـيَـا قَـدْ أَتَـتَـكْ سُـعُـودُهَـا كَمَا شَعْشَعَ السَّاقِي الرَّحِيقَ المُعَتَّقَا
وَأَنْـتَ لأَهْـلِ الأَرْضِ خَـيْـرُ خَـلِـيـفَـةٍ تَـخَـيَّـرَ أَعْـلاَقَ الـمَـفَـاخِـرِ وَانْـتَـقَـى
وَأَنْـتَ الَّـذِي أَعْـزَزْتَ دِيـنَ مُـحَـمَّـدٍ وَجَـمَّـعْـتَ مِـنْ أَحْـزَابِـه مـا تَـفَـرَّقَـا
وَدَوَّخْـتَ أَرْضَ الـرُّومِ بِـالـسَّـيْـفِ فَـاتِـحـاً مِـنَ الـنَّـصْـرِ بَـابـاً كَـانَ قَـبْـلَـكَ مُـغْـلَـقَـا
وَجَـاهَـدْتَـهُـمْ خَـيْـرَ الـجِـهَـادِ مُـمَـتَّـعـاً بِـأَيِّ نَـعِـيـمٍ كَـانَ لِـلْـمُـعْـتَـدِي شَـقَـا
وَصَيَّرْتَ قَلْبَ المُخْفِقِ السَّعْيَ خَافِقاً وَغَادَرْتَ سَعْيَ الخَافِقِ القَلْبَ مُخْفِقَا
وَأَنْتَ ابْنُ نَصْرٍ[2] نَاصِرِ الدِّينِ وَالَّذِي نَمَاهُ أَبُو الحَجَّاجِ فِي المَجْدِ مُغْرِقَا
وَشَـيَّـدَ[3] إِسْـمَـاعِـيـلُ بَـيْـتَ عَـلاَئِـهِ فَـمَـا زَالَ مِـنْ رِضْـوَى أَشَـدَّ وَأَوْثَـقَـا
أَمَـوْلاَيَ خُـذْهَـا بِـنْـتَ فِـكْـرٍ أَبَـى بِـهِ لِـيَ الـشِّـعْـرُ إِلاَّ أَنْ يَـكُـونَ [مُـفَـلَّـقَـا][4]
عَـلَـى أَنَّـنِـي أَدْرِي بِـأَنِّـي مُـقَـصِّـرٌ وَلَوْ فُقْتُ أَهْلَ الأَرْضِ فِي الشِّعْرِ مَنْطِقَا
وَعَـادَ لِـيَ الـبَـرْقُ الـلَّـمُـوحُ يَـرَاعُـهُ وَآفَـاقُـهُ طِـرْسـاً لِـكَـتْـبِـي وَمُـهْـرَقَـا[5]
فَـكُـنْ قَـابِـلاً عُـذْرِي وَجُـدْ مُـنْـعِـماً وَكُـنْ عَـلَـيَّ بِـمَـبْـذُولِ الـرِّضَـى مُـتَـصَـدِّقَـا

---

(1) في الأصل: «مأمل»، وكذا جميع نظائرها في المزاين.

(2) إشارة إلى الممدوح الغني بالله، وأبيه أبي الحجاج يوسف بن الأحمر.

(3) في الأصل: وسيد. وإسماعيل هو: أبو الوليد إسماعيل بن فرج الذي تولى حكم غرناطة ما بين 713 و725هـ. (انظر: اللمحة البدرية: 78 وما بعدها، والإحاطة: 377/1 وما بعدها).

(4) في الأصل: ملفقاً، ولكن السياق العام للبيت والاستدراك بعده يؤكدان أن الكلمة «مفلقاً» أي: عجيباً.

(5) الطرس والمهرق: الصحيفة البيضاء المعدة للكتب.

أَطَـالَ[1] لَـكَ الـلَّـهُ الـخِـلاَفَـةَ مَـا سَـرَى نَـسِـيـمٌ وَمَـا غَـنَّـى الـحَـمَـامُ وَشَـوَّقَـا

(1) في الأصل: وأطال.

السيـن

111

وقال مأموراً من قبل الأمير فارس بالزيادة على أبيات سابقة(*): [طويل]

وَلَـكِـنْ بِـهِ عَـبْـدٌ لِـخَـيْـرِ خَـلِـيـفَـةٍ   جَـوَادٌ يُـنِـيـلُ الـرِّفْـدَ أَوْ يَـبْـذُلُ الأُنْـسَـا
فَـمَـهْـمَـا شَـكَـتْ بِـالـيُـبْـسِ «بِـسْـكَـرَةٌ» حَـبَـا   بِـبَـعْـضِ عَـطَـايَـا فَـارِسٍ فَـزَكَـتْ غَـرْسَـا
كَـأَنَّ ابْـنَ مُـزْنٍ يَـخْـلِـفُ الـمُـزْنَ عِـنْـدَمَـا   يَـجُـودُ إِمَـامٌ لَـمْ يَـدَعْ هَـدْيَـهُ لَـبْـسَـا
وَمَـهْـمَـا عَـلاَ وَاسْـوَدَّ يَـوْمـاً قَـتَـامُـهَـا   فَـأَشْـبَـهَ مَـنْ أَضْـحَـى بِـهَـا حَـالُ مَـنْ أَمْـسَـى
جَـلاَ عَـدْلُ مَـوْلاَنَـا الـخَـلِـيـفَـةِ فـارسٍ   شُـمُـوسـاً هَـدَتْ أَنْـوَارُهَـا الـجِـنَّ والإِنْـسَـا
وَمَـا تَـشْـرُفُ الأَوْطَـانُ إِلاَّ بِـمَـنْ حَـوَتْ   وَمَـا قَـدْرُ جِـسْـمِ الـمَـرْءِ إِنْ يَـفْـصِـلِ الـنَّـفْـسَـا
وكُـلُّ بِـلاَدِ الـلَّـهِ طُـرّ بِـفَـارِسٍ   سَـتَـسْـعَـدُ يَـوْمـاً مِـثْـلَ مَـا سَـعَـدَتْ أَمْـسَـا
وَإِنَّ بِـلاَدَ الـزَّابِ بَـعْـدَ حُـلُـولِـهِ   بِـهَـا لَـحَـقِـيـقٌ أَنْ تُـحَـبَّ وَلاَ تُـنْـسَـا
وَلاَ خُـسْـرَ عِـنْـدِي بَـعْـدَهَـا لاِبْـنِ هَـانِـىءٍ   بِـمَـدْحٍ لَـهَـا مَـا صَـافَـحَ الـقَـلَـمُ الـطِّـرْسَـا
وَإِنْ كَـانَ فِـيـهَـا جَـعْـفَـرٌ جَـعْـفَـراً فَـقَـدْ   جَـرَتْ أَنْـمُـلُ الـمَـوْلَـى بِـهَـا أَبْـحُـراً خَـمْـسَـا

112

وقال لما استفتح مولانا ـ نصره الله ـ مدينة فاس المرة الأولى(**): [كامل]

(*) فيض العباب: 241. وفيه أن أبا عنان أمره بتلك الزيادة، وأن يذكر فيها أبا يعقوب ابن مزني الذي أهدى السلطان بستاناً بديعاً كان في ملكه (انظر الفيض: 239).

(**) المزاين: 28 ب. وقد تدخل محمد الغني بالله في شأن مدينة فاس للمرة الأولى في عهد أبي زيان الثاني (774-776)هـ حيث ساعد أبا العباس أحمد بن أبي سالم على دخولها سنة 776هـ مكافأة بنكبة ابن الخطيب. ثم تدخل مرة أخرى سنة 786هـ بخلعه لصالح موسى بن أبي عنان ثم أعاده

بُشْرَى الإِمَامِ [بِفَتْحِ][1] حَضْرَةِ فَاسِ وَتَبَدُّلِ الإِيحَاشِ بِالإِينَاسِ
وَوُصُولِ مَنْ قَدْ كَانَ سُلْطَاناً بِهَا لِبَسَاطِكَ المُزْهَى بِخَيْرِ أُنَاسِ
وَقُدُومِ أَمْلاَكٍ لِبَابِكَ قَدْ أَتَتْ مَعَهُ تُرَجِّي مِنْكَ خَيْرَ مُوَاسِ
وَلَكَ الهَنَاءُ بِبَيْعَةٍ لَكَ طَهَّرَتْ مَرَّاكُشَ[2] الغَرَّاءَ مِنْ أَرْجَاسِ
وَمَنَالِ مُلْكِ العُدْوَتَيْنِ وَإِنَّهُ مُلْكٌ تَسَنَّى بِالنَّدَا وَالبَاسِ
وَفَوَارِسٍ مِنْ أَرْضِ أَنْدَلُسٍ أَتَتْ كَالأُسْدِ حَامِيَةٍ عَنِ الأَخْيَاسِ[3]
وَرُمَاةِ حَرْبٍ أَنْفَذُوا بِسِهَامِهِمْ مِنْ نَسْجِ دَاوُدَ أَجَلَّ لِبَاسِ
وَأَتَوْا لِحَبَّاتِ القُلُوبِ بِذُرَّبٍ بَلَغَتْ مَبَالِغَ صَفْوِ خَمْرِ الكَاسِ
فَاعْجَبْ لِجَيْشٍ إِثْرَ جَيْشٍ قَادِمٍ بِبَوَارِقٍ لَكِنْ مِنَ الأَفْرَاسِ
أَبْدَى بِهِ مَلِكُ المُلُوكِ مُحَمَّدٌ عِزًّا رَمَى الأَعْدَاءَ بِالاتْعَاسِ
وَعَلَى بِلاَدِ الغُرْبِ أَمْضَى حُكْمَهُ فَالعَدْلُ فِيهَا قَائِمُ القِسْطَاسِ
هَذِي عَجَائِبُ لَمْ تَخُطَّ[4] بِمِثْلِهَا أَقْلاَمُ أَهْلِ الأَرْضِ فِي الأَطْرَاسِ
هَذِي صَنَائِعُ بَلَّغَتْ كُلَّ المُنَى فَلَهُنَّ كُلُّ النَّاسِ لَيْسَ بِنَاسِ
أَثَرُ التَّوَكُّلِ ذَاكَ وَالصِّدْقِ الَّذِي وَافَى النُّفُوسَ مُعَطَّرَ الأَنْفَاسِ
وَلَسَوْفَ يَمْلِكُ مِصْرَ وَالشَّامَ الَّذِي قَدْ لاَنَ فِيهِ كُلُّ قَلْبٍ قَاسِ
وَتُقِيمُ [مَنْآدَ][5] العِرَاقِ بِدَوْلَةٍ تُغْنِيكَ أَسْعُدُهَا عَنِ الحُرَّاسِ
أَخَلِيفَةَ اللَّهِ الَّذِي أَيَّامُهُ أَرْبَتْ عَلَى الأَعْيَادِ وَالأَعْرَاسِ

سنة 788هـ في فترة شهدت نفوذ ابن الأحمر في المغرب. فالقصيدة تعود إلى سنة 776هـ.

(1) زيادة يقتضيها الوزن مستوحاة من عنوان القصيدة وسياق البيت.

(2) الخبر عن دخول مراكش في هذا العام 776هـ مذكور في: العبر: 7/403-404.

(3) الأخياس: جمع خيس وهو موضع الأسد.

(4) في الأصل: يخط.

(5) منآد: معوج (اللسان: أود)، وفي الأصل: «مناذو» وهو تصحيف.

وَأَجَلَّ سُلْطَانٍ لَهُ الفَضْلُ الَّذِي ... ثَبَتَتْ مَبَانِيهِ عَلَى أَسَاسِ
وَأَعَزَّ مَنْ رَكِبَ الخُيُولَ وَقَادَهَا ... مُغْتَاضَةً بِالنَّقْعِ عَنْ إِحْلَاسِ[1]
قُبَّ البُطُونِ لَوَاحِقاً أَقْرَابُهَا[2] ... أَبداً تُغَادِي حَرْبَهَا وَتُمَاسِي[3]
أَقْسَمْتُ أَنَّكَ فِي الخَلَائِفِ لَلَّذِي ... أَنْسَى بَنِي مَرْوَانَ وَالعَبَّاسِ
وَحَوَى مَكَارِمَ أَعْجَزَتْ أَوْصَافُهَا ... نَظْمَ الفُحُولِ العِلْيَةِ الأَكْيَاسِ
وَمَآثِراً مَأْثُورَةً أَحْكَامُهَا ... عَضَدَ المُحَقِّقُ نَصَّهَا بِقِيَاسِ
مِنْ آلِ نَصْرٍ مِنْ مَعَالِي خَزْرَجٍ ... آوِ إِلَى جَبَلٍ لَعَمْرِي رَاسِي
ابْنُ الخَلِيفَةِ يُوسُفَ المَلِكِ الَّذِي ... لانَتْ بِهِ الأَيَّامُ بَعْدَ شِمَاسِ
مَوْلَايَ إِنِّي عَبْدُكَ المُثْنِي عَلَى ... نُعْمَاكَ مَا بَقِيَتْ قُوَى إِحْسَاسِي
وَأَنَا الَّذِي مَا زِلْتُ دَهْرِي شَاكِراً ... لَكَ مِثْلَ قَوْمِي المُخْلِصِينَ وَنَاسِي
وَإِذَا دَعَوتَ لِخِدْمَةٍ فَأَنَا الَّذِي ... آتِي عَلَى وَجْهِي إِلَيْكَ وَرَاسِي
عَبْدٌ، وَحَقِّكَ، نَاطِقٌ بِمَحَامِدٍ ... مَرْضِيَّةِ الأَنْوَاعِ وَالأَجْنَاسِ
وَيَوَدُّ لَوْ أَهْدَى إِلَيْكَ فُؤَادَهُ ... فِي طَيِّ مَا يُهْدِيهِ مِنْ قِرْطَاسِ
وَأَقَرَّ إِذْ كَتَبَ المَدِيحَ سَوَادَهُ ... فِي كَتْبِهِ عِوَضاً مِنَ الأَنْفَاسِ
وَلَدَيَّ حُبٌّ فِيكَ لِي فَخْرٌ بِهِ ... آيَاتُهُ تُتْلَى عَلَى الجُلَّاسِ
وَتَشَيُّعٌ أَجْنِي بِهِ ثَمَرَاتِ[4] مَا ... أَوْدَعْتُ رَوْضَ مُنَايَ مِنْ إِغْرَاسِ
وَبِخِدْمَةٍ لَكَ لِي أَجَلُّ تَشَرُّفٍ ... أَثْوَابُهُ جَلَّتْ عَنِ الأَدْنَاسِ

---

(1) في الأصل: «مغتاضة بالنقع عن إجلاس».

(2) قبّ البطون: ضوامرها. والأقراب: جمع قرب وهو الخاصرة. قال في التهذيب: «فرس لاحق الأقراب، يجمعونه، وإنما له قربان لسعته.

(3) تغادي: تباكر. وفي الأصل: «تعادي» ـ بالعين المهملة ـ وهو تصحيف.

(4) في الأصل: ثمارت.

وَصِـلِ الَّـذِي عَـوَّدْتَـنِـي مِـنْ حُـرْمَـةٍ [تَنْظُرْ][1] بِذَلِكَ مَا الحَسُودُ يُقَاسِي
وَاجْعَـلْ مَكَانِي فِي الأُلَى بِكَ عَرَّفُوا صِدْقَ الرَّجَاءِ وَنَسْجَ حُكْمِ البَاسِ
لاَ زِلْتَ فِي السَّعْدِ المُجَدَّدِ مَا نَثَا[2] عَرْفُ الصَّبَا أَعْطَافَ قُضْبِ اليَاسِ

113

«وقال(*) : [متقارب]

أَيَا عَجَباً كَيْفَ تَهْوَى المُلُوكُ مَحَلِّي وَمَوْطِنَ أَهْلِي وَنَاسِي
وَتَحْسُدُنِي وَهْيَ مَخْدُومَةٌ وَمَا أَنَا إِلاَّ خَدِيمٌ بِفَاسِ

114

«وقوله(**) : [كامل]

وَمُمَنَّعٍ رُفِعَتْ بِعُلْوِ هِضَابِهِ نَارٌ تُضِيءُ بِجُنْحِ لَيْلٍ دَامِسِ
إِنْ أَمَّ مِنْهُ القَابِسُونَ مُوَطَّأً .... لِلْقَابِسِ

115

«وقوله(***) : [منسرح]

يَا بَدْرُ بَادِرْ إِلَيَّ بِالكَاسِ فَرُبَّ خَيْرٍ أَتَى عَلَى بَاسِ
وَلاَ [تُقَبِّلْ][3] يَدِي فَإِنَّ فَمِي أَوْلَى بِهَا مِنْ يَدِي وَمِنْ رَاسِي

---

(1) كلمة غير واضحة في الأصل، ورُسمت على صورة (تصان) ولا معنى لها ولا وزن.

(2) نثا: بث ونشر.

(*) الإحاطة: 350/1، وجذوة الاقتباس: 96/1، والنفح: 112/7.

(**) مسالك الأبصار: 215/11 ب.

(***) المصدر السابق: 215/11 ب.

(3) ما بين المعقوفين زيادة يقتضيها المعنى والوزن.

الشيـن

116

وقال أيضاً(*): [بسيط]

يَـا خَـيْـرَ مَـلْـكٍ سَـمَـا بِـأَرْضِ أَنْـدَلُـسٍ ... وَلِـلْـجِـهَـادِ بِـهَـا نَـحْـوَ الـعُـدَاةِ مَـشَـى
وأَفْـضَـلَ الـخُـلَـفَـاءِ الـرَّاشِـدِيـنَ بِـهَـا ... وَالشَّـاغِـلَ الـرُّومَ عَـنْ أَسَائِهِمْ[1] دَهَـشَـا
وَأَكْـرَمَ الـعَـادِلِـيـنَ الـنَّـاصِـرِيـنَ لَـهَـا ... نَصْراً قُلُوبُ العِدَى بِالرُّعْبِ مِنْهُ حَشَا
بُـشْـرَاكَ بِـالـفَـتْـحِ وَالـنَّـصْـرِ الـعَـزِيـزِ وَمَـا ... أَحْرَزْتَ مِنْ شَرَفٍ فِي العَالَـمِينَ فَشَا
وَدَوْلَـةٍ وَسَـمَـتْ غُـفْـلَ الـعِـدَى وَسَـمَـتْ[2] ... فَالسَّعْدُ مُذْ نَشَأَتْ مِلْءَ العُيُونِ نَشَا
غَـرَّاءَ بِـالـنُّـورِ فِـي الآفَـاقِ صَـادِعَـةٍ ... كَالشَّمْسِ يَجْلُو سَنَاهَا اللَّيْلَ وَالغَبَشَا
وَقِـيـلَ مَـمْـلَـكَـةٌ قَـدْ أَصْـعَـدَتْ فَـإِلَـى ... مَا شَبَّ مِنْ نَارِهَا وَفْدُ الفَخَارِ عَشَا[3]
سَـقَـى رُبُـوعَ بَـنِـي نَـصْـرٍ وَأَرْضَـهُـمُ ... غَيْثٌ مَتَى جَادَهَا لَمْ تَشْتَكِ العَطَشَا
وَكَـرَّمَ الـلَّـهُ مِـنْـهُـمْ أُسْـرَةً بِـهِـمُ ... قَامَ الجِهَادُ الَّذِي بِالكُفْرِ قَدْ بَطَشَا
وَمَـا ابْـنُ يُـوسُـفَ إِلاَّ رَحْـمَـةٌ نَـفَـحَـتْ ... عَنْ أَيِّ رُوحٍ بِهِ دِينُ الهُدَى انْتَعَشَا
مُـحَـمَّـدٌ فَـاضِـلُ الـدُّنْـيَـا وَعَـالِـمُـهَـا ... وَالمَالِكُ الرُّومَ وَالأَتْرَاكَ وَالحَبَشَا
مِـن صَـفْـوَةِ الـعَـرَبِ الـغُـرِّ الَّـذِيـنَ لَـهُـمْ ... حَدِيثُ فَضْلٍ بِأَلْوَاحِ العُلاَ انْتَقَشَا
مِـن سِـرِّ خَـزْرَجَ فِـي عَـلْـيَـاءِ شَـاهِـقَـةٍ ... زُهْرُ النُّجُومِ لَهَا قَدْ [وُطِّئَتْ][4] فُرُشَا

(*) مزاين القصر: 29 أ.

(1) أسائِهم: أحزانهم.

(2) وسمت: من الوسم وهو الكي الذي يؤثر علامة في الدابة الغفل فتصير معروفة بها.. وسمت: ارتفعت.

(3) أصعدت: ارتفعت، وعشا إلى النار: رآها ليلاً، وقصدها مستضيئاً بها، وفي الأصل: «غشا» وهو تصحيف.

(4) في الأصل: وطأت.

مِنْ آلِ قَيْسِ بْنِ سَعْدٍ فِي ذُرَى[1] شَرَفٍ   مُـحَـكَّـمٍ حُـبُّـهُ فِـي مُـهْـجَـةٍ وَحَـشَـا
ذُو الـعَـدْلِ أَذْهَـبَ عَـنَّـا الـضُّـرَّ أَجْـمَـعَـهُ   فَـلَـوْ سَـرَى عَـدْلُـهُ لِـلـصِّـلِّ[2] مَـا نَـهَـشَـا

(1) في الأصل: ذوي.

(2) الصل: من أخبث الحيات.

117

«وَلِلَّه دَرُّهُ حَيْثُ يقول(*): [بسيط]

بَـاتَـتْ تُـحَـدِّثُ عَـنْ نَـجْـدٍ وَمَـا فِـيـهَـا ... فَخِلْتُ دُرًّا سُقُوطُ اللَّفْظِ[1] مِنْ فِيهَا
وَطَـارَحَـتْـنِـي شُـجُـونـاً كَـانَ يَـنْـشُـرُهَـا ... وَجْدِي القَدِيمُ وَكَانَ الكَتْمُ يَطْوِيهَا
إِيـهِ عَـلَـى الـجِـيـرَةِ الـغَـادِيـنَ، دَارُهُـمُ ... نَجْدٌ، وَعَنْ مُنْجِدِي مِنْ غُرِّ أَهْلِيهَا
وَأَعْـصُـرٌ ذَهَـبَـتْ عَـنِّـي وَقَـدْ خَـتَـمَـتْ ... رَحِيقَ أُنْسِي بِمِسْكٍ مِنْ لَيَالِيهَا
وَقَـدْ نَـسِـيـتُ وَلاَ أَنْـسَـى وَإِنْ هِـيَ قَـدْ ... أَضْحَى غُرُورُ الأَمَانِي مِنْ أَمَانِيهَا
بُـدُورُ تِـمٍّ عَـلَـى قُـضْـبٍ عَـلَـى كُـثُـبٍ ... تَبْدُو [بِـ]أُفْقَيْنِ[2] مِنْ قَلْبِي وَوَادِيهَا
أَمَّـا الـرُّبُـوعُ فَـصَـبْـرِي يَـومَ كَـاظِـمَـةٍ[3] ... مِمَّنْ عَدَتْهُ عَنِ البُغْيَا عَوَادِيهَا
كَـأَنَّ خَـيْـمَـاتِـهَـا الأَلْـفَـاظُ نَـاصِـعَـةً ... وَالغِيدَ فِيهَا بَدِيعٌ مِنْ مَعَانِيهَا
مِـنْ كُـلِّ طَـالِـعَـةٍ فِـي الـبِـيـدِ تُـبْـعِـدُهَـا ... أَيْدِي النَّوَى وَأَمَانُ الصَّبِّ يُدْنِيهَا
شَـمْـسٌ إِذَا غَـرُبَـتْ أَبْـدَتْ لَـنَـا شَـفَـقـاً ... مِنْ أَدْمُعٍ بِدَمِي انْهَلَّتْ غَوَادِيهَا
وَمَـا نَـسَـأْتُ[4] بِـدَوْحِ الـبَـانِ نَـاعِـمَـةً ... تَثْنِي عَلَى الرِّيحِ إِنْ هَبَّتْ فَتَثْنِيهَا
كَـأَنَّـمَـا الـقُـضْـبُ تَـسْـهُـو عَـنْ تَـحِـيَّـتِـهَا ... غِبَّ الحَيَا فَسُجُودُ السَّهْوِ يُجزِيهَا

(*) مزاين القصر: 29 ب.
(1) في الأصل: اللفض وهو تصحيف واضح.
(2) في الأصل: أفقين، ولا يستقيم بذلك الوزن ولا المعنى.
(3) يمكن قراءة هذه الكلمة: كاهمة وكاظمة.
(4) نسأت: أخرت.

وَبِـالأَبَـاطِـحِ مِـعْـطَـارُ الأَصَـائِـلِ إِنْ عُـلَّـتْ صَبَاهَـا فَآسِي الآسِ يَشْفِيهَـا
لِـعَـنْـبَـرِ الـغَـيْـمِ فِـيـهَـا كُـلُّ مُـشْـعِـلَـةٍ بِمَجْمَرِ البَرْقِ أَيْدِي الرِّيحِ تُذْكِيهَـا
مُـقَـبِّـلٌ لِـخُـدُودِ الـوَرْدِ شَـادِنُـهَـا وَرَاشِـفٌ لِـثُـغُـورِ الـزَّهْـرِ شَـادِيـهَـا
حَكَتْ يَدُ الغَيْثِ مِنْ نَوْرٍ لَـهَا حُلَـلاً تَـخْـتَـالُ فِـيـهَـا لِـمِـثْـقَـالٍ يُـوَافِـيـهَـا
مَـا رَاعَ جَيْشُ الـصَّبَـا لَـيْـلاً غَـمَـامَـتَـهَـا إِلاَّ وَبَـانَـتْ سُيُوفُ البَرْقِ تَـحْـمِيهَـا
هِـيَ الَّـتِـي زُرْتُـهَـا وَهْـنـاً[1] وَأَرْبُـعُـهَـا بِـعَـاطِـرَاتِ غَـوَانِـيـهَـا تُـحَـلِّـيـهَـا
وَبَـاتَ يَـهْـفُـو ارْتِـيَـاحـاً غُـصْـنُ بَـانَـتِـهَـا لَـمَّـا رَأَى الـوُرْقَ تَـبْـكِـينِـي وَأَبْـكِـيـهَـا
وَالـرَّوْضُ يَـكْـتُـمُ أَسْـرَاراً كَـمَـائِـمُـهُ لِلـزَّهْـرِ لَـكِـنْ لِـسَانُ الرِّيحِ يُفْشِيهَـا
مُـضَـمَّـخُ البُـرْدِ مِنْ طِيبِ الـنَّـوَاسِـمِ إِنْ أَضْـحَـتْ تُـدَانِـيـهِ أَوْ أَضْـحَى يُـدَانِـيـهَـا
كَـأَنَّ عَـاطِـرَهَـا ذِكْـرُ الـرَّسُـولِ وَقَـدْ أَغْـرَى الـرَّكَـائِـبَ بِـالأَشْـوَاقِ حَـادِيـهَـا
مُـحَـمَّـدٌ خَـاتِـمُ الأَرْسَـالِ أَوَّلُـهَـا فِي الفَضْلِ شَمْسُ هَوَاهَا بَدْرُ نَادِيهَا
خَـيْـرُ الـخَـلاَئِـقِ عَـالِـيـهَـا وَسَـافِـلِـهَـا خَـيْـرُ الـبَـرِيَّـةِ مَـاضِـيـهَـا وَآتِـيـهَـا
أَلـعَـاقِـبُ الـحَـاشِـرُ الـمَـاحِي الَّـذِي بَـهَـرَتْ آيَـاتُـهُ فَـلِـسَـانُ الـصِّـدْقِ يُـمْـلِـيـهَـا
خَـرَّتْ لِـمَـوْلِـدِهِ الأَصْـنَـامُ حَـاكِـيَـةً هَـامَـاتِ مَـشْـيَـخَـةٍ كَـانَـتْ تُـحَـيِّـيـهَـا
وَالـجِـنُّ فِي الأُفْـقِ قَـدْ عَـادَتْ مَقَاعِـدَهَـا لِلسَّمْعِ فَالشُّهْبُ قَبْلَ السَّمْعِ تَرْمِيهَا
وَارْتُـجَّ إِيـوَانُ كِـسْـرَى مُـظْـهِـراً عِـبَـراً عِـبَـارَةُ الـفُـرْسِ عَـنْـهَـا لاَ تُـوَافِـيـهَـا
وَالـنَّـهْـرُ غِـيـضَ[2] لَـهُـمْ وَالـنَّـارُ قَـدْ طُـفِـيَـتْ كَـأَنَّ مَـا فَـاضَ مِـنْ مَـاءٍ سَـرَى فِـيـهَـا
وَالـبَـدْرُ شُـقَّ لَـهُ فِـي لَـيْـلَـةٍ كَـرُمَـتْ فَـلَـمْ تُـدَاجِ أَخَـا الـتَّـقْـوَى دَيَـاجِـيـهَـا[3]

---

(1) زار وهنا: أي في نحو من نصف الليل، أو بعد ساعة منه. (القاموس المحيط).

(2) الأصل: غيظ، وللناسخ خلط كبير بين الضاد والظاء عرضنا أمثلة عنه في بعض هوامش الديوان.

(3) داجاه: ساتره بالعداوة ولم يُبدِها له. والدياجي: الظلمات.

وَالشَّمْسُ قَدْ رَدَّهَا مِنْ بَعْدِمَا غَرُبَتْ فَحُبُّهُ لِعَلِيٍّ ظَلَّ يُغْلِيهَا[1]
وَالجِذْعُ حَنَّ لَهُ كُلَّ الحَنِينِ فَمَا أَشْجَى بِطِيبَةَ جِذْعاً كَادَ يُعْدِيهَا[2]
كَأَنَّمَا الوُرْقُ إِذْ غَنَّتْ بِأَغْصُنِهِ قَدْ عَلَّمَتْهُ فَأَضْحَى بَعْدُ يَحْكِيهَا
وَأَرْسَلَ المَاءَ نَبْعاً مِنْ أَصَابِعِهِ هَذَا وَنَبْعُ النَّدَى لَوْ شَاءَ كَافِيهَا
وَالسُّحْبُ جَادَتْ بِسُحْبِ الغَيْثِ حِينَ دَعَا فَأَضْحَكَ النَّوْرَ وَسْطَ الرَّوْضِ بَاكِيهَا
وَظَلَّلَتْهُ الغَمَامُ الوُطْفُ وَاقِيَةً شَمْساً[3] عَلَى الأَرْضِ لاَ شَمْسٌ تُضَاهِيهَا
وَأَقْبَلَتْ نَحْوَهُ الأَشْجَارُ مُعْجِلَةً غُصُونُهَا لَيْسَ يَثْنِيهَا تَثَنِّيهَا
وَعَادَ سَيْفاً قَضِيبُ النَّخْلِ فِي يَدِهِ فَالهَامُ كَالرُّطَبِ انْثَالَتْ لِجَانِيهَا
[رَدَّ][4] حُنَيْناً لأَهْلِ الكُفْرِ مُنْهَزِماً بِقَبْضَةِ الرَّمْلِ قَبْلَ البِيضِ يُمْضِيهَا
وَإِنَّ أَنْدَلُساً هَذِي لَمُعْجِزَةٌ بَقَاؤهَا وَقَرارٌ فِي نَوَاحِيهَا
لَكِنْ مَتَى خَشِيَتْ إِتلافَهَا فَعَلَى رَبُّ الوَرَى وَبَنِي نَصْرٍ تَلاَفِيهَا
وَقَدْ أَطَلَّ[5] زَمَانَ الفَتْحِ طُولُ نَدَى مُحَمَّدٍ غَوْثِ أَهْلِيهَا وَحَامِيهَا
مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي الحَجَّاجِ خِيرَةِ مَنْ أَرْضَى[6] الإِلَهَ بِسَعْيٍ فِي مَرَاضِيهَا
فَمِنْ فُرُوضٍ يُمِيتُ العَائِقَاتِ لَهَا وَسُنَّةٍ لِرَسُولِ اللَّهِ يُحْيِيهَا
صَحَّتْ أَحَادِيثُ بِيضِ الجُودِ عَنْ يَدِهِ فَكُلُّ[7] عَافٍ تُرَوِّيهِ وَيَرْوِيهَا

---

(1) الإشارة إلى ما ورد في بعض كتب السيرة من أن الرسول (ص) نام على ركبة عليٍّ، كرم الله وجهه، فلم يوقظه حتى غربت الشمس، ولم يصل العصر فسأل الرسول (ص) ربه أن يرد عليه الشمس، فعادت بقدر صلاته.
(2) الإشارة إلى حنين الجذع الذي كان يخطب عليه الرسول (ص) قبل بناء المسجد.
(3) في الأصل: شمس.
(4) في الأصل: ورد، ولا يستقيم به الوزن.
(5) أطل: كذا.
(6) في الأصل: تشبه رسم «أوصى».
(7) العافي: طالب العطاء.

لاَ عُذْرَ لِلتَّارِكِ الأَشْعَارَ فَهْيَ بِهِ كُثْرٌ بَوَاعِثُهَا كُثْرٌ دَوَاعِيهَا
خَيْرُ المُلُوكِ الَّتِي جَلَّتْ عُلاً فَغَدَتْ حُمْراً وَقَائِعُهَا بِيضاً أَيَادِيهَا
اَلقَاتِلُ المَحْلَ[1] قَتْلَ المُشْبِهِينَ لَهُ مِنَ الأَعَادِي الَّتِي مَا زَالَ يَكْفِيهَا
فَمِنْ سَحَابِ نَدَى يُرْضِيهِ هَامِلُهَا وَمِنْ سَحَابِ دَمٍ[2] يَشْفِيهِ هَامِيهَا
مِنْ آلِ يَعْرُبَ فِي العَدِّ الصَّرِيحِ لَهُ مَحَاتِدٌ رَقِيَتْ أَعْلَى مَرَاقِيهَا
مِنْ سِرِّ قَحْطَانَ فِي أَسْمَى ذَوَائِبِهَا من بيتَةٍ لَيْسَ مِنْ نَجْمٍ يُسَامِيهَا
مِنْ ضِئْضِىءِ الخَزْرَجِ الغُرِّ الَّذِينَ هُمُ مَا هُمْ إِذَا مَا دَعَا لِلحَرْبِ دَاعِيهَا
الرَّاكِبُونَ إِلَى الهَيْجَاءِ ضَامِرَةً قُبَّ البُطُونِ مُنِيفَاتٍ هَوَادِيهَا
يَجْلُو بِصُبْحٍ حَجُولٍ كَادَ يَبْهَرُهَا بِالنُّورِ لَيْلَ عَجَاجٍ كَادَ يُخْفِيهَا
وَالمُرْسِلُونَ لَهَا وَالأَرْضُ بَحْرُ دَمٍ سَفَائِناً بِأْسُهُمْ لا الرِّيحُ مُجْرِيهَا
وَالمُنْهِدُونَ وَسُمْرُ الخَطِّ مُشْرَعَةٌ كَتَائِباً بَاتَتِ التَّقْوَى تُنَاجِيهَا
كَتَائِبٌ لِمَعَالِيهِمْ مُنَاسِبَةٌ يُحْصَى الحَصَى قَبْلَ أَنْ يَنفَكَّ مُحْصِيْهاَ
أُولَئِكَ القَوْمُ أَنْصَارُ النَّبِيِّ وَمَنْ تَلاَ مَدَائِحَهُمْ فِي الآيِ تَالِيهَا
وَإِنْ يُحَاكِ بَنُو نَصْرٍ فِعَالَهُمُ فَالأُسْدُ أَشْبَالُهَا فِعْلاً تُحَاكِيهَا
وَحَضْرَةٍ زَيَّنَتْهَا بُقْعَةٌ جُعِلَتْ وُسْطَى لِعِقْدِ نَفِيسٍ مِنْ مَبَانِيهَا
يَاقُوتَةٍ فَهْيَ بِالحَمْرَاءِ قَدْ دُعِيَتْ لاَ زَالَ جَوْهَرُ أَمْدَاحِي يُوَافِيهَا
وَكَمْ بِغَرْنَاطَةٍ مِنْ بُقْعَةٍ حَمَلَتْ أَبْنَاءَ نَصْرٍ فَهَزَّتْ عِطْفَهَا [تِيهًا][3]
اَلمِسْكُ تُرْبُ مَوَاطِ لِلْكِرَامِ بِهَا وَالدُّرُّ مَهْمَا مَشَوْا حَصْبَا[4] أَرَاضِيهَا

(1) في الأصل: المجل.
(2) في الأصل: دما.
(3) في الأصل: فيها. والتيه: التكبر.
(4) في الأصل: حصباء، والقصر لضرورة الوزن.

مِـنْ آلِ قَـيْـسِ بْـنِ سَـعْـدٍ سَـادَةٍ نُـجُـبٍ   تُرْوَى الحِسَانُ العَوَالِي عَنْ عَوَالِيهَا
إِنْ يَشْتَكِ السَّيْفُ فِي يَوْمِ الوَغَى قِصَراً   فَـوَصْـلُـهُ خَـطْـوُهَـا زَحْـفاً وَأَيْـدِيـهَـا
لِـلَّـهِ دَرُّ إِمَـامٍ جَـاءَهَـا خَـلَـفـاً   وَزَادَ عِـزَّ مَـعَـالٍ فِـي مَـعَـالِـيـهَـا
لاَ عَيْبَ فِيهِ يَقِي عَيْنَ الكَمَالِ سِوَى   أَنَّ السَّيُوفَ بِضَرْبِ الهَامِ يُفْنِيهَا
أَبْـقَـتْ لَـنَـا كُـلَّ مَـنْ نَـرْجُـوهُ دَوْلَـتُـهُ   وَمَـا نُـؤَمِّـلُـهُ، فَـالـلَّـهُ يُـبْـقِـيـهَـا

118

وقال في القاضي وجيه الدين يحيى بن محمد الصنهاجي(*): [كامل]

أَضْحَى وَجِيهُ الدِّينِ أَسْبَقَ سَابِقٍ   فِي العِلْمِ وَالعَلْيَاءِ والخُلُقِ النَّزِيهْ[1]
عَجِبَ الوَرَى مِنْ سَبْقِهِ وَتَعَجَّبُوا   فَأَجَبْتُهُمْ: لاَ تُنْكِرُوا سَبْقَ الوَجِيه

(*) تاج المفرق: 200/1، والنفح: 111/7.
قال البلوي: «أنشده إياهما بمحضري».

(1) في النفح: النبيه، والوجيه اسم فرس ورد في أشعار العرب وأخبارهم، وأيضاً الوجيه من الخيل: الذي تخرج يداه معاً عند النتاج.



119

«ومن كلامه أيضاً[*]: [طويل]

أَيَـا دَارِيَ الأَوْلَـى بِـمُـنْـعَـرِجِ الـلِّـوَى ... أَعِـنْـدَكِ عِـلْـمٌ بِـالَّـذِي جَـرَّتِ الـنَّـوَى
وَمَـا فَـعَـلَ الـحَـيُّ الَّـذِيـنَ تَـرَحَّـلُـوا ... وَأَبْقَـوْا بِقَلْبِي لاَعِجَ الـوَجْـدِ وَالـجَـوَى
وَشَبُّوا شُجُونِي فَاحْتَمَى الرَّمْلُ، لاَ احْتَمَى، ... وَأَجْرَوْا دُمُوعِي فَارْتَوَى البَانُ لاَ ارْتَوَى
وَحَانَ بِمَرْعَى العِيسِ مَا كَانَ يُخْتَشَى ... مِنَ الكَـبِـدِ الـحَـرَّى فَـسُـرْعَـانَ مَـا ذَوَى
وَقَدْ كَانَ لِي خَمْرٌ مِنَ الرِّيقِ مُسْكِرٌ ... فَـبُـدِّلْـتُـهُ لَـكِـنْ بِـخَـمْـرٍ مِـنَ الـهَـوَى
وَفِـي الـجِـيـرَةِ الـغَـادِيـنَ بَـدْرُ مَـنَـازِلٍ ... تَـحَيَّرَ مِنْهَا الطَّرْفُ وَالقَلْبُ إِذْ ثَـوَى
وَلِـلَّـهِ صَـبٌّ دَانَ بِـالـحُـبِّ مُـخْـلِـصـاً ... وَلَـكِـنَّـهُ مَـا ضَـلَّ يَـوْمـاً وَمَـا غَـوَى[1]
وَمَـــا إِنْ نَـــوَى إِلاَّ الـــوَفَـــاءَ وَإِنَّـــمَـــا ... لِكُلِّ امْرِىءٍ فِي السِّرِّ والجَهْرِ مَا نَوَى[2]
وَيَـا بِـأَبِـي حَـسْـنَـاءَ مِـنْ غُـنْـجِ طَـرْفِـهَـا ... هُـوَ الـدَّاءُ لَـكِـنْ مِـنْ مَـرَاشِـفِـهَـا الـدَّوَا
تَــزِيــدُ غَــرَامِــي شِــدَّةً بَــعْــدَ شِــدَّةٍ ... وَلَكِنْ بِضَعْفِ الخَصْرِ قَدْ أَعْدَتِ القُوَى
بَـعِـيـدَةُ[3] مَـهْـوَى الـقِـرْطِ أَقْـسَـمْـتُ إِنَّـهُ ... [لأَبْـعَـدُ][4] مِـنْ نَـجْـمِ الـسَّـمَـاءِ إِذَا هَـوَى
وَمَـا زَالَ غُـصْـنُ الـبَـانِ يَـحْـكِـي قَـوَامَـهَـا ... فَـلَـمَّـا رَأَتْ مِـنْـهُ الـصَّـبَـا الـحَـسَـدَ الـتَـوَى

(*) المزاين: 31.

(1) أخذ من قوله تعالى: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾ (النجم: 2).

(2) إشارة إلى الحديث النبوي الشريف: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكلِّ امْرِىءٍ مَا نَوَى.. الحَدِيث» وهو أول حديث في صحيح البخاري. (أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري لأبي سليمان الخطابي: 1/107-119.

(3) في الأصل: بعيد.

(4) في الأصل: لأبدع.

وَآيَــةُ شَــمْــسٍ فِــي فُــؤَادِيَ أُفْــقُــهَــا إِذَا مَـا تَـبَدَّتْ أُخْـتُـهَا فَـهُـمَـا[1] سَـوَى
تَـنَـاءَتْ بِـهَـا أَيْـدِي[2] الـرِّكَـابِ فَـأَدْمُـعِـي تَـصُـوبُ وَقَـلْـبِـي بِـالـفِـرَاقِ قَـدِ اكْـتَـوَى
وَمَـا رَاعَـنِـي بِـالـجَـزْعِ إِلاَّ ضَـعَـائِـنٌ تُـذَكِّـرُنِـي عَـهْـداً قَـدِيـمـاً بِـذِي طُـوَى
وَأَسْـرَابُ غِـرْبَـانٍ بِـكُـحْـلِ عُـيُـونِـهَـا رَوَاقِعُ مَا تُبْدِي السُّيُوفُ مِنَ الكُوَى[3]
وَرَبْعٌ كَبَاقِي الـوَشْـمِ بِـالنَّـعْـفِ دَارِسٌ[4] أَصَمُّ الصَّدَى بَادِي البِلَى طَامِسُ الصُّوَى
وَقَـفْـتُ بِـهِ أَبْـكِـي وَأَسْـفَـحُ أَدْمُـعـاً عَـلَـى مِـثْـلِـهَـا وَدَّ الـغَـمَـامُ لَـوْ احْـتَـوَى
وَلَـمْ أَنْـسَ سَـيْـرِي فِـي دَيَـاجٍ كَـأَنَّـهَـا جُيُوشُ ابْنِ نَصْرٍ خَافِقٍ فَوْقَهَا اللِّوَى
كَـرِيـمٌ لَـهُ الـغَـايَـاتُ فِـي الـبَـأْسِ وَالـنَّـدَى إِذَا جَدَّ جِدُّ الطَّعْنِ أَوْ شُكِيَ الطَّوَى
فَـعَـنْ نَـافِـعٍ مِـنْـهُ الـتَّـكَـرُّمُ مُـسْـنَـدٌ وَعَـنْ عَـاصِـمٍ مِـنْـهُ الـتَّـفَـرُّسُ قَـدْ[5] رَوَى
وَمِـنْ بَـأْسِـهِ نَـارٌ بِـخَـيْـرِ يَـدٍ[6] وَمِـنْ نَـدَاهُ بِـهَـا لِـلْـمُـحْـتَـدِي[7] مَـنْـهَـلٌ رَوَى

---

(1) في الأصل: فيما.

(2) في الأصل: أيد.

(3) السّجوف: جمع سجف وهو أحد السترين المقرونين بينهما فرجة.
والكوى: جمع كوة وهي الثقب في الجدار ونحوه. والبيت يصوِّر العيون البادية من خلال تلك الكوى وكأنها ترقعها.

(4) النّعف: مكان يرتفع قليلاً، ويكون فيه صعود وهبوط (وسيط).
والشعر يمتح من طليات الاتجاه القديم في صورته وألفاظه، ومنه في شعرهم:
لـمـن طـلـل.................. يـلـوح كـبـاقـي الـوشـم فـي ظـاهـر الـيـد

(5) هو نافع بن عبد الرحمن الليثي المدني: أحد القراء السبعة (ت 169هـ) (غاية النهاية: 330/2، وفيات الأعيان: 151/2، وأعلام الزركلي).
هو عاصم بن أبي النجود الكوفي: أحد القراء السبعة. (تهذيب التهذيب: 38/5، والوفيات: 243/1، وغاية النهاية: 346/1، وميزان التهذيب: 38/5، والوفيات: 243/1، وغاية النهاية: 346/1، وميزان الاعتدال: 5/2).

(6) في الأصل: ند، ويدل على أن المراد بالكلمة «اليد» عود الضمير عليها في الشطر الثاني.

(7) المحتدي: هو من يطلب الشيء ويحث في متابعته.

وَمَا شَرَّفَ العَبْدَ المُطِيعَ سِوَى التُّقَى وَقَلْبٍ عَلَى عِلْمٍ لَدُنِّيِّ انْطَوَى
وَكَمْ ثَمَّ مِنْ وَادٍ وَلَكِنْ بِقُدْسِهِ تَشَرَّفَ لَمَّا مَرَّ مُوسَى [بِذِي][1] طُوَى
هُمَامٌ أَطَاعَتْهُ البِلاَدُ وَأَهْلُهَا وَلاَ عِزَّ إِلاَّ جَلَّ مِنْهُ بِمُسْتَوَى
هُوَ النَّارُ وَالنَّاسُ الهَوَاءُ إِذَا بَدَا وَلاَ شَكَّ أَنَّ النَّارَ تَعْلُو عَلَى الثَّوَى
مِنَ الخَزْرَجِيِّينَ الَّذِينَ سُيُوفُهُمْ بِهِنَّ النَّوَى عَنْ أَهْلِ مِلَّتِنَا الْتَوَى
مِنَ القَاتِلِينَ المَحْلَ بِالجُودِ صَوْبُهُ يَنُوبُ مَنَابَ السُّحْبِ وَالنَّجْمُ قَدْ [هَوَى][2]
هُوَ الغَيْثُ مَهْمَا بَلَّ أَرْضاً فَبَرْقُهُ حُسَامٌ بِهِ جَنْبَ المُنَاجِزِ قَدْ كَوَى
وَلَيْثٌ إِذَا مَا ظَلَّ يَهْدِرُ غَاصَ[3] فِي دِمَاءِ العِدَى الذِّئْبُ الذي إِثْرَهُ عَوَى
أَمِيرٌ لَهُ قَدْ أَنْجَزَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَمَا إِنْ لَوَى الدَّيْنَ الَّذِي كَانَ قَدْ لَوَى[4]
وَخَصَّصَهُ الفَتْحَ المُبِينَ بِمَا اقْتَنَى وَأَوْطَأَهُ مَا كَانَ مِنْ [أَرْضِهِمْ][5] رَوَى
وَأَشْبَهَ بِشْراً[6] فِي اسْتِوَاءٍ فَلَيْتَهُ بِحَرْبٍ عَلَى أَرْضِ العِرَاقِ قَدِ اسْتَوَى
جَرِيٌّ أَحَبَّ الأَرْضَ تُشْرِقُ بِالقَنَا وَكُلُّ مُحِيطٍ مِنْ مَدَائِنِهِ احْتَوَى
إِذَا نَشَرَ الأَعْلاَمَ أَقْبَلَ زَاحِفاً بِجَيْشٍ بَرُودَ البِيدِ لِلطَّعْنِ قَدْ طَوَى
حَلِيفُ ضِرَابٍ خَيْلُهُ بِدَمِ العِدَى لَهُنَّ إِذَا عَبَّ[7] الفَوَارِسُ مُرْتَوَى

---

(1) في الأصل: به، وذو طوى: هو الجبل الذي كلم الله فيه سيدنا موسى عليه السلام. (انظر سورة طه، آية: 12.

(2) في الأصل: حوى، ولا معنى فيه ولا إشارة، بعكس الكلمة المختارة التي تشير إلى الآية الأولى من سورة النجم، وتضع الجملة في موضع الحال فيستقيم بها معنى البيت.

(3) في الأصل: غاض.

(4) لوى الدَّين: مطله، ولواه أيضاً: ستره وأخفاه.

(5) في الأصل: «وَأَوْطَأَهُ مَا كَانَ مِنَ أَرْضِ العِدَى رَوَى» ولا يستقيم بذلك الوزن، وواضح أن «العدى» حلّت محل الضمير الذي يعود إلى «العدى» في البيت الثاني قبله، ولعله كان تعليقاً في الأصل فضمنه الناسخ في البيت وحذف ضميره.

(6) بشر: هو.

(7) عب الماء عباً: شربه بلا تنفس.

مُـثِـيـرُ عَـجَـاجٍ حَـلَّـقَ[1] الـنِّـسْـرُ فَـوْقَـهُ   فَلَمَّا اسْتَحَرَّ الطَّعْنَ مِنْ جَنْبِهِ اشْتَوَى[2]

لَـهُ جَـمَـعَ الـلَّـهُ الـشَّـجَـاعَـةَ كُـلَّـهَـا   فَـكَـانَ سِـوَاهُ مِـنْ شُـجَـاعٍ كَـلاَ سِـوَى

هَـنِـيـئـاً أَمِـيـرَ الـمُـسْـلِـمِـيـنَ بِـمَـقْـدَمٍ   سَعِيدٍ حَوَى مِنْ بَهْجَةِ الحُسْنِ مَا حَوَى

وَعَـوْدٍ إِلَـى جَـنَّـاتِ أَشْـرَفِ حَـضْـرَةٍ   غَـدَتْ وَهْـيَ لِلأَعْدَاءِ نَزَّاعَةُ الشَّـوَى[3]

وَيَـا خُـسْـرَ عَـاصٍ مَـرَّ عَـنْـكَ مُـغَـاضِـباً   وَيَـا فَـوْزَ مَـطْـرُودٍ إِلَـى بَـابِـكَ انْـطَـوَى

---

(1) في الأصل: خلق.

(2) استحر: اشتد وصار حاراً، وجبنه، في الأصل: «يحته» وليس لها معنى فيما أعلم.

(3) اقتباس من قوله تعالى: ﴿نَزَّاعَةً لِلشَّوَى﴾. (المعارج: 16).

اللام ألف

120

وقال أيضاً[*]: [كامل]

مَا ضَرَّ طَيْفَكَ لَوْ أَقَامَ قَلِيلاَ ... وَلَعَلَّنِي أَشْفِي بِذَاكَ غَلِيلاَ
طَيْفٌ أَتَى لَيْلاً وَنَجْدٌ دَارُهُ ... صَبًّا بِأَكْنَافِ الشَّآمِ نَزِيلاَ
لَكِنَّهُ لَمْ يُبْقِ غَيْرَ صَبَابَةٍ ... تَسْرِي[1]، لَعَمْرِي، بُكْرَةً وَأَصِيلاَ
وَغَدَا خَلِيلِي بَعْدَهُ بَرِحَ الأَسَى ... يَا لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْهُ خَلِيلاَ[2]
وَلَقَدْ أَرِقْتُ لِبَارِقٍ وَدَّ الدُّجَى ... لَوْ كَانَ قَبَّلَ[3] ثَغْرَهُ تَقْبِيلاَ
وَأَثَارَ شَوْقِي بِالغُوَيْرِ[4] حَمَائِمٌ ... تَبْكِي بِأَغْصَانِ الأَرَاكِ هَدِيلاَ
وَنَوَاسِمٌ أَهْدَتْ إِلَيَّ تَحِيَّةً ... مِنْ ظَاعِنٍ عَنِّي أَطَالَ رَحِيلاَ
وَنَأَى وَخَلَّفَ دُونَ أَكْثِبَةِ الحِمَى ... رَبْعاً غَدَا بَعْدَ الفِرَاقِ مَحِيلاَ
كَالأَرْضِ أَرْضِ الكُفْرِ لَمَّا حَلَّهَا ... جَيْشُ ابْنِ نَصْرٍ بُدِّلَتْ تَبْدِيلاَ
وَأَبَادَ أَهْلِيهَا الأَمِيرُ مُحَمَّدٌ ... بِالسَّيْفِ أَسْمَعَهُمْ هُنَاكَ صَلِيلاَ
وَأَدَامَ وَطْأَهُمُ بِخَيْلٍ أَسْمَعَتْ ... فِي الحَرْبِ حَمْحَمَةً لَهَا وَصَهِيلاَ
مَلِكُ المُلُوكِ وَنُخْبَةُ البَيْتِ الَّذِي ... قَدْ طَابَ أَعْرَاقاً وَعَزَّ قَبِيلاَ

(*) المزائن: 32.

(1) في الأصل: سرى.

(2) اقتباس من قوله تعالى: ﴿يَا لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاَنًا خَلِيلاً﴾ (الفرقان: 28).

(3) في الأصل: يقبل.

(4) الغوير: اسم لموضع في الحجاز به ماء لبني كلب. ومن أمثالهم: «عسى الغوير أبؤساً». (اللسان: غور).

مِـنْ ضِـئْـضِـىءِ الأَنْـصَـارِ أَكْـرَم أُسْـرَةِ ... نَـصَـرُوا الـنَّـبِـيَّ فَـفُـضِّـلُـوا تَـفْـضِـيـلاَ
الـفَـائِـزِيـنَ بِـجَـنَّـةٍ طَـابَـتْ شَـذًى ... وَقُـطُـوفُـهَـا قَـدْ ذُلِّـلَـتْ تَـذْلِـيـلاَ
مِـنْ آلِ سَـعْـدٍ[1] ذَلِـكَ بْـنِ عُـبَـادَةٍ ... مَـوْلًـى بِـنَـصْـرِ الـدِّيـنِ كَـانَ كَـفِـيـلاَ
وَعَـلَـى أَبِـي[2] قَـيْـسٍ رَسُـولُ الـلَّـهِ قَـدْ ... أَثْـنَـى وَكَـمَّـلَ بِـرَّهُ تَـكْـمِـيـلاَ
وَمُـحَـمَّـدٌ ذَاكَ ابْـنُ يُـوسُـفَ وارِثٌ ... عَـلْـيَـاءَهُـمْ وَالـتَّـاجَ وَالإِكْـلِـيـلاَ
أَلْـمَـاجِـدُ ابْـنُ الـمَـاجِـدِيـنَ فَـفَـخْـرُهُ ... فِـي مَـحْـفَـلِ الأَشْـرَافِ أَقْـوَمُ قِـيـلاَ
خَـيْـرُ الـسَّـلاَطِـيـنِ الَّـذِيـنَ هُـمُ هُـمُ ... وَالـحَـرْبُ تُـوضِـحُ لِـلْـحَـمَـامِ سَـبِـيـلاَ
قَـوْمٌ إِذَا دُعِـيَـتْ نَـزَالِ رَأَيْـتَـهُـمْ ... كَـالأَسْـدِ تَـحْـمِـي عَـنْ شُـبُـولٍ غِـيـلاَ
مَـوْلاَيَ إِنِّـي قَـدْ أَتَـيْـتُـكَ مَـادِحـاً ... وَعَـلَـيْـكَ يَـا مَـوْلاَيَ جِـئْـتُ دَخِـيـلاَ
فَـاصْـفَـحْ وَكُـنْ بِـي مِـنْ قَـبُـولِكَ مُـظْـهِـراً ... يَـا صَـاحِـبَ الـوَجْـهِ الـجَـمِـيـلِ جَـمِـيـلاَ

(1) سعد بن عبادة: صحابي من الأنصار، كان سيد الخزرج. (انظر تهذيب ابن عساكر: 84/6، وصفوة الصفوة: 102/1، والإصابة: ترجمة: 367، وطبقات ابن سعد: 142/3، والبدء والتاريخ: 123/5.

(2) في الأصل: «وعلى أبيه قيس» ولا يستقيم بذلك الوزن، ثم إن سعد بن عبادة هو نفسه أبو قيس. وجاء في اللمحة البدرية أن الناس صنّفوا غير ما تصنيف في اتصال نسب بني نصر بقيس بن سعد بن عبادة. (اللمحة البدرية): 33.

اليـاء

121

قال ابن الحاج النميري:

«مِمَّا كُنْتُ نَظَمْتُهُ وَوَجَدْتُهُ بِخَطِّي فِي بَعْضِ التَّقَايِيدِ(*): [رجز]

أَنَجِدْ بِهَا وَمَا حِمَى[1] نَجِدٍ إِذَا ... أَتْهَمَ سُكَّانُ الحِمَى بِدَارِيَهْ
يَا سَعْدُ! هَلْ عِنْدَ الصَّبَا تَحِيَّةٌ ... تُحْيِي بِهَا عَلَى النَّوَى فُؤَادِيَهْ
إِنِّي أَرَى قُضْبَ النَّقَا مَوَائِلاً ... بِهَا مِنَ الشَّوْقِ الشَّدِيدِ مَا بِيَهْ
آهاً لِنَفْحٍ مِنْ رُبَا كَاظِمَةٍ[2] ... ذَكَّرَنِي العَهْدَ وَلَسْتُ نَاسِيَهْ
وَالَهْفَتَا لِعِيشَةٍ إِلَى الكَرَى ... أَنْ لاَ أَرَاهُ بَعْدَهَا أَنَّى لِيَهْ
أَبْكِي اللَّيَالِيَ الَّتِي عَنَّا خَلَتْ ... بِأَدْمُعٍ تَرْوِي الرُّبُوعَ الخَالِيَهْ
كَانَ الشَّبَابُ عِنْدَهَا أَرَاكَةً ... تُسْقَى بِكَأْسَاتِ الرِّضَا المُصَافِيَهْ
فَالْيَوْمَ قَدْ جَفَّ الثَّرَى وَصَوَّحَتْ ... وَأَنْكَرَ الجَزْعُ صَبَاحاً وَادِيَهْ
مَاذَا عَلَى عَصْرِ الصِّبَا لَوْ رَاجَعَتْ ... أَزْمَانُهُ مَا عَزَّ مِنْ لَذَّاتِيَهْ
وَمَا عَلَى سُكَّانِ أَكْنَافِ النَّقَا ... لَوْ أَسْعَدُوا بِوَصْلِهِمْ أَوْقَاتِيَهْ
هُمُ عَلَى قُرْبٍ وَهُمْ عَلَى النَّوَى ... أَقْصَى المُنَى وَمُنْتَهَى مُرَادِيَهْ
أَقْسَمْتُ لَوْ أَبْصَرْتُ تُرْبَ أَرْضِهِمْ ... لَعَفَّرَتْ خَدِّي بِهِ أَشْوَاقِيَهْ
وَلَسَقَيْتُ بَانَهُمْ مِنْ أَدْمُعِي ... سُحْباً تَسِحُّ الدَّهْرَ مِنْ أَجْفَانِيَهْ

(*) مذكرات ابن الحاج: 29 مقارنة مع تحقيق برمبير: 123-124.

(1) حمى: كُتبت بالألف الممدودة حيثما وجدت.

(2) كاظمة: منطقة على سيف البحر من البصرة على مرحلتين.

وَفِـي الـقِـبَـابِ بِـالـغُـوَيْـرِ[1] طَـفْـلَـةٌ وَسْـنَـانَـةٌ تَـرْنُـو بِـعَـيْـنَـيْ جَـارِيَـهْ

122

«وقال(*) : [طويل]

بِـرَوْضَـتِـنَـا الـظَّـمْـيَـاءِ طَـالَ اكْـتِـئَـابُـنَـا فَـلِـلَّـهِ غَـيْـثٌ مَـيْـتَ آمَـالِـنَـا أَحْـيَـا
وَأَشْـبَـهَ مِـهْـيَـاراً[2] فَـهَـا تِـلْـكَ عَـيْـنُـهُ تَـفِـيـضُ إِذَا شَـامَ الـبُـرُوقَ عَـلَـى ظَـمْـيَـا

123

«وله من قصيدة(**) : [خفيف]

سَـلَّـمَ الـلَّـهُ بِـالـعَـقِـيـقِ مَـطَـايَـا عِـنْـدَ أَهْـلِ الـهَـوَى لَـهُـنَّ مَـزَايَـا
حَـامِـلاَتٍ عَـلَـى الـغُـيُـودِ شُـمُـوسـاً مُـظْـهِـرَاتٍ مِـنَ الـغَـرَامِ خَـفَـايَـا
كُـلُّ شَـمْـسٍ تَـغِـيـرُ عِـنْـدَ طُـلُـوعٍ كُـلَّ شَـاكٍ ضَـنَـاهُ لَـوْنُ الـعَـشَـايَـا[3]
أَتَـمَـنَّـى لِـقَـاءَهَـا وَالأَمَـانِـي ضِـمْـنَـهَـا أُودِعَـتْ حُـرُوفُ الـمَـنَـايَـا
وَلَـقَـدْ قُـلْـتُ حِـيـنَ شَـبَّ هَـوَاهَـا نَـمْ هَـنِـيـئـاً وَمِـنْ حَـشَـايَ[4] حَـشَـايَـا
وَلَـكَـمْ شِـمْـتُ لِـلـثَّـنَـايَـا بُـرُوقـاً ذَكَّـرَتْـنِـي لَـهَـا بُـرُوقُ الـثَّـنَـايَـا[5]

---

(1) الغوير : ماء لكلب معروف بناحية السماوة.

(*) النفح : 116/7.

(2) هو أبو الحسن مهيار بن مرزويه الديلمي : شاعر فارسي الأصل، أسلم سنة 394هـ وتشيع. لأسلوبه تأثير في جماعة من شعراء الأندلس في هذا القرن كابن هذيل والساحلي. . (انظر أعلام الزركلي ومراجعه).

(**) المزاين : 33.

(3) تغير : تنفع. والعشايا، جمع عشية : وهي آخر النهار، وفي لون المضني شبه من لونها الأصفر.

(4) حشاي : أراد صدري، فالحشا ما دون الحجاب مما يلي البطن. والحشايا : جمع حشية وهي الفراش المحشو.

(5) شام البرق : نظر إليه، والثنايا : الأسنان في مقدم الفم من أعلى ومن أسفل. والثنايا : الطُرق في الجبال أو الجبال نفسها، وقد أراد في بيته المعنيين على التوالي.

وَفُـؤَادِي الـمَـشُـوق أَهْـدَيْـتُ لَـكِـنْ   كَـمْ رَقِـيـبٍ أَبَـى قَـبُـولَ الـهَـدَايَـا
يَـا نَـسِـيـمَ الـصَّـبَـا أُحَـيِّـيـكَ فَـابْـثُـثْ   طِـيـبَ ذَاكَ الـشَّـذَا وَرُدَّ الـتَّـحَـايَـا
وَعَـنِ الـظَّـاعِـنِـيـنَ هَـاتِ حَـدِيـثـاً   لَـيْـسَ يَـحْـظَـى[1] بِـهِ مُـحِـبٌّ سِـوَايَـا
وَقِـفُـوا بِـي، أُهَـيْـلَ وُدِّي قَـلِـيـلاً   مَـسْـقِـطَ الدَّمْـعِ مِنْ عُـيُونِ السَّـبَايَا
حَـيْـثُ تُـهْـدِي الـحُـدَاةُ مِـثْـلَ سِـهَـامٍ   سُـدِّدَتْ، والـمَـطِـيُّ مِـثْـلُ الـحَـنَـايَـا[2]
وَكَـأَنَّ الـدُّجَـى سُـوَيْـدَاءُ قَـلْـبٍ   كَـاتِـمٍ، وَالـنُّـجُـومُ فِـيـهِ خَـبَـايَـا
أَتَـظُـنُّـونَ أَنَّ طُـولَ انْـتِـزَاحِـي   قَـدْ بَـرَى الـجِـسْـمَ، إِي[3] وَرَبِّ الـبَـرَايَـا
وَكَـأَنَّ الـصَّـبَـاحَ سَـيْـفُ[4] ابْـنِ نَـصْـرٍ   حَـوْلَـهُ مِـنْ سَـوَادِ نَـقْـعٍ بَـقَـايَـا
مُـغْـرَبُ الـفِـعْـلِ حِـلْـمُـهُ كَـادَ يُـغْـرِي   مَـنْ دَرَى فَـضْـلَـهُ بِـعَـوْدِ الـخَـطَـايَـا
خَـافَـتِ الـشُّـهْـبُ أَنْ يَـكُـرَّ عَـلَـيْـهَـا   مِـنْـهُ بَـذْلٌ لِـلْـوَفْـدِ غَـيْـر الـخَـزَايَـا
وَإِذَا مَـا أَهَـابَ لِـلْـجُـودِ مُـعْـطٍ   فَـعَـلَـى قَـدْرِهِ تَـكُـونُ الـعَـطَـايَـا[5]

(تمَّ بحمد اللّه)

(1) الظاعنين: في الأصل الضاعنين، ويحظى: في الأصل يخطى.

(2) الحداة: ساقة الإبل.

(3) إي: حرف جواب بمعنى: نعم يسبق القسم.

(4) في الأصل: سيوف، وبه يختل الوزن، والمعنى، إذ في قوله: «حوله» دليل على الإفراد فضلاً عن إفراد صاحب السيف.

(5) وفي آخر هذه القصيدة كتب في (مزاين القصر): «كمل بحمد الله وحسن عونه والصلاة على نبيه وآله ليلة الأحد في شهر شعبان بعد انقضاء نصفه عام 924». ورقم المئات غير واضح في الأصل.



فهرس القوافي

- ث -

- ج -

- ح -

- خ -

- د -



فهرس المصادر والمراجع

المخطوطات:

- الإحاطة في أخبار غرناطة، لسان الدين ابن الخطيب. مخطوطة المكتبة الوطنية بتونس، رقم: 8134.
- فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب، لابن الحاج النميري. مخ. الخزانة الملكية بالرباط، رقم: 3267.
- الكتيبة الكامنة، لابن الخطيب. مخ. الخزانة الملكية بالرباط، رقم: 756.
- مذكرات إبراهيم بن الحاج النميري. صورتين لقطعتين بالاسكريال، تحت رقم: 1734 و483 (بمكتبة الدكتور عبد السلام شقور).
- مزاين القصر ومحاسن العصر، لابن الحاج النميري. مخطوطة مكتبة المتحف البريطاني، رقم: 5670.
- مسالك الأبصار وممالك الأمصار، لابن فضل الله العمري، صورة عن نسخة المكتبة الوطنية، بباريس.
- نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، لابن الخطيب. مخ. الخزانة العامة بالرباط، رقم: 256.


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com